
2020
7.1.2020


توم
هانكس


نمط
غير شائع
بعض القصص


ترجمة: مجدي عبد المجيد خاطر

توم هانكس

نمط غير شائع

(بعض القصص)

ترجمة: مجدي عبد المجيد خاطر

نمط غير شائع

هذا الكتاب بدعم من:



نمط غير شائع

تأليف: توم هانكس
ترجمة: مجدي عبد المجيد خاطر
تحرير: أحمد العلي

الترقيم الدولي (ISBN): 978-9948-39-146-3



إصدارات روايات (إحدى شركات مجموعة كلمات)
الطبعة الأولى 2020

القصباء - مبنى D
هاتف: 5566696 6 971+ فاكس: 5566691 6 971+
ص. ب. 21969 الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
info@rewayat.ae
www.rewayat.ae

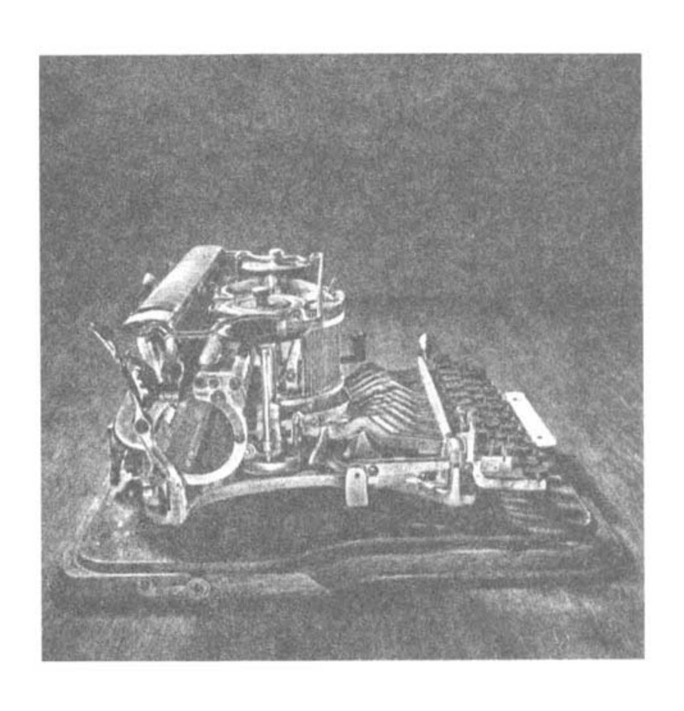
يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
Uncommon Type



لأجل ريتا وبقيّة الأطفال،

وبسبب نورا.

الفهرس



ثلاثة أسابيع مُضنية

——————••••••——————

اليوم الأوّل

قالت آنا إنه لا يوجد سوى مكان واحد نجد فيه هديّة معقولة لمداش، وهو حانُوت ورهاوس للأنتيكات. يُشبه الحانوت سوقًا دائمة للسلع الرخيصة أكثر منه محلًّا للكنوز العتيقة داخل ما كان يومًا دار سينما اللوكس ثيتر، قبل أن تتسبب HBO والنتفلكس ومنافذ الترفيه المائة وسبعة الأخرى في إفلاس الدار. كنتُ أقضي ساعات طوال داخل سراى السينما تلك التي كانت مهيبة يومًا، أشاهدُ أفلامًا. أمّا الآن فتمتلئ بأكشاك: كشك لصق الآخر، تضمّ ما يُمكن اعتباره أنتيكات، تفحّصناها أنا وآنا.

كان مداش على وشك الحصول على الجنسيّة الأمريكيّة، وكان هذا

أمرًا جللًا بالنسبة له ولنا. إذْ لم يحصل جدّا ستيف وونج على الجنسية الأمريكيّة سوى في عقدهما الرابع، ولم يُفلت أبي من قبضة سفّاحي أوروبا الشرقيّة الشيوعيين الأنذال إلا إبان السبعينيات. قبلهم بفترة طويلة صفّ أسلاف آنا القوارب عبر شمال الأطلسي سعيًا لنهب كل ما يُمكن نهبه في العالم الجديد، حيثُ تعوّل أسطورة عائلة آنا على اكتشافها جزيرة مارثاز فينيارد.

كان محمد دياكس-عبده سيغدو قريبًا الأمريكي عبده باي؛ بالتالي أردنا أن نقدّم له شيئًا عتيقًا، شيئًا وطنيًّا مُحمّلًا بإرث ومِزاج بلاده الجديدة. تصوّرت أنّ عَرَبة الراديو فلاير القديمة في كشك البضائع الثاني هي اختيار مثالي، وقلت لآنا: "سيعطيها لأطفاله الأمريكيين حين يصير أبًا."

لكن آنا ما كانت لتشتري أول شيء نُصادفه؛ هكذا تابعنا البحث. اشتريتُ علمًا أمريكيًّا يضم ثمانية وأربعين نجمة يعود إلى فترة الأربعينيات. من شأن هذا العلم أن يُذكّر مداش أنّ بلاده الجديدة لن تتوقّف عن الاتساع أبدًا، وأنّ للمواطنين الصالحين مكان في سهولها الخصبة، مثلما يُفسح الحيز الأزرق الموجود فوق الخطوط الحمراء والبيضاء لمزيدٍ من النجوم. استحسنت آنا الفكرة، لكنّها لم تكفّ عن البحث عن هدية مميّزة أكثر. كانت ترغب في هدية فريدة، لا أقل من أن تكون لا مثيل لها. لكنّها قررت بعد ثلاث ساعات من البحث أنّ عربة الراديو فلاير كانت فكرة لا بأس بها.

بدأ المطر يتساقط. آنذاك كُنّا نُحاول الخروج من باحة انتظار السيارات بشاحنتي الفولكس فاجن؛ فكان علينا أن نقود ببطء أثناء الرجوع للمنزل لأنّ شفرات مسح الزجاج قديمة جِدًّا وتترك آثارًا على

زجاج السيّارة الأمامي. لم تهدأ العاصفة إلى أن حلّ المساء؛ لذلك بدلًا من العودة للمنزل نزلت آنا عندي، وأدارت مُختارات أمّي الموسيقيّة القديمة التي نقلْتها على أسطوانات مدمجة. ثمّ انفجرت بالضحك على ذائقة ماما في انتقاء الموسيقى التي تتنقل دون توقّف بين فرق موسيقى الروك؛ البرتندرز والأوجايز وتاج محل.

سألتني عندما بدأ إيغي بوب غناء «ريال وايلد تشايلد»: "هل لديك أي موسيقى من السنوات العشرين الأخيرة؟"

حضّرتُ لفائف اللحم المكسيكيّة. شربتْ نبيذًا وشربتُ بيرة. أوقدتْ المدفأة وقالت إن لديها إحساس بأنّها امرأة تستكشف البراري. خيّم المساء، جلسنا فوق كَنَبة، الأضواء الوحيدة تنبعث من نار المدفأة ومؤشر مستوى الصوت بالمسجِّل الّذي يتواثب من الأخضر إلى البرتقالي، والأحمر أحيانًا. والتمع برق بعيد على مسافة أميال في قلب العاصفة.

قالت: "هل تعلم أنّ اليوم هو الأحد؟"

أجبت: "بالطبع. لستُ منفصلًا عن الدنيا."

"أعشق هذا بك. لمّاح؛ حنون؛ متأن لحد الكسل."

"ها أنتِ انتقلتِ من الإطراء إلى الإهانة."

ارتشفت النبيذ، واستطردت: "استبدل الخمول بالكسل. ما أقصده هو أنّك تعجبني."

"أنا أيضًا معجب بك." كنتُ أتساءل إلى أين يمضي هذا الحديث. "هل أعتبر هذا غزلًا؟"

قالت آنا: "لا. بل مراودة. الأمران مختلفان. الغزل صيد؛ ربّما تقع في الشباك وربّما لا. أمّا المراودة فهي الخطوة الأولى في وضع صفقة ما قيد التنفيذ."

ضعْ في اعتبارك أنّي وآنا يعرف بعضنا الآخر منذ المدرسة الثانويّة (ثانوية القديس أنطوني كنتري داي! هيّا يا وحوش!). لم نتواعد، لكن كُنّا نمضي أوقاتنا سويًّا داخل الجماعة ذاتها، وكان بيننا استلطاف ما. لكن بعد عِدّة سنوات في الجامعة، وسنوات أخرى من السهر على أمّي، حصلت على رخصة العمل وادّعيت الارتزاق من سمسرة العقّارات بعض الوقت. فوجئت بها يومًا تدخل مكتبي لأنّها كانت في حاجة لاستئجار شقّة تُدير فيها أعمال الجرافيكس خاصتها، وكنتُ السمسار الوحيد الّذي تثق فيه لأنّني واعدت يومًا إحدى صديقاتها ولم أكن نذلًا معها حين انفصلنا.

كانت آنا لا تزال تحتفظ بألقها، ولم تخسر قطّ قوامها الرشيق المشدود الّذي كانت تتمتع به. قضينا نهارًا كاملًا عرضت عليها خلاله بعض الأماكن المتاحة التي رفضتها كلّها لأسباب لم تبد معقولة بالنسبة لي. كانت لا تزال مفعمة النشاط؛ شديدة التركيز والتحفّز، تمامًا كما كانت في ثانوية القديس أنطوني كنتري. لديها عين ثاقبة لأدق التفاصيل، فلم تترك ركنًا لم تقلبه أو تُعاينه أو تتأكّد منه أو تستبدله إن كان في حاجة إلى استبدال. كانت آنا البالغة امرأة مُرهِقة، ولم تختلف آنا المرأة عن آنا المراهقة؛ إذْ لم تشدّني أي منهما.

الطريف أنّنا غدونا فيما بعد صديقين مُقربين، أقرب مما كنا في طفولتنا. بالنسبة لي، أنا واحد من أولئك المنعزلين الكسالى الّذين يُمكنهم التسكّع طوال النهار دون أن يساورهم أدنى قلق أن ثانية واحدة ضاعت. في الواقع، بمجرد أن بعت منزل أمّي ووضعت النقود في استثمارات منخفضة المخاطر، تخليت عن مهنتي المصطنعة وركنت إلى حياة بلا هموم. أعطني بعض أكوام الغسيل ومباراة هوكي مُذاعة

على قناة «إن. إتش. إل» وانسني الظهيرة بأكملها. لكن في نفس الوقت الّذي أقضيه غير مشغول سوى بفرز ثيابي الخارجية عن الداخليّة، ستطلي آنا السندرة بالجصّ وتجهِّز ضرائبها وتطبخ المعكرونة وتستهل مقايضة للثياب عبر الإنترنت. تغفو فترات متقطّعة بين منتصف الليل إلى مطلع الفجر، وتصحو ممتلئة بطاقة تكفيها للعمل بهمّة طوال النهار. في حين أنام بعمق أطول فترة ممكنة، بل وأنام القيلولة كل يوم في الثانية والنصف ظهرًا.

"سأقبّلك الآن." وأوفت آنا بما قالت بالضبط.

لم يسبق أن فعلنا ذلك قطّ، باستثناء تلك النقرات السريعة على الخدّين المصحوبة بأحضان سريعة. أمّا تلك الليلة، فكانت تبذل نسخة جديدة تمامًا من نفسها؛ لذا توتّرت وارتبكت.

همست: "أنت، استرخِ." أحاطت عنقي بذراعيها وكانت تفوح منها رائحة طيبة وشفتيها رطبتين من أثر النبيذ. أردفت: "اليوم يوم راحتنا. ما من عملٍ فيه."

تبادلنا القبلات من جديد، لكن هذه المرّة كشريك فاعل رابط الجأش. ثمّ أحطتها بذراعيّ وجذبتها من الثياب.

انحنى كل منّا نحو الآخر وتفككت أعضاؤنا. بدأت: أنا وهي، بتقبيل العنق صعودًا إلى الشفتين. لم أقبِّل امرأة هكذا منذ عام تقريبًا، تحديدًا منذُ هجرتني صاحبتي الشريرة مونا وسطت على محفظة نقودي (كانت لمونا متاعبها، لكن في التقبيل؟ كانت مُذهلة.)

تنهدت آنا: "رائع يا صغيري."

تنهدت أنا الآخر: "يوم أحد مبارك. كان علينا أن نفعل ذلك منذ سنين."

همست آنا: "في رأيي أنّنا نستطيع قضاء بعض الوقت متلاصقين. هيّا اخلع ثيابك." خلعت ثيابي. لكن حين خلعت ثيابها كنتُ في حالة يرثى لها.

اليوم الثاني

كان فطوري صباح الاثنين فطائر الحنطة السوداء وسجق شوريزو وطبق كبير من التوت وقهوة مصفّاة. فضّلت آنا شايًا عشبيًّا كنتُ وضعته في خزانة المؤن، وطبقًا من الجوز كسرته بساطور. أحصت ثماني حبّات توت بري كي تُكمل فطورها حسب النظام الغذائي. طبعًا لا داعي للقول أننا كنّا عاريين أثناء تناول الفطور؛ ذلك أنّ قولًا كهذا سيصورنا كمهووسين بالعري، لكن الحقيقة هي أنّنا خرجنا من الفراش بلا أدنى خجل.

كانت ترتدي ثيابها حين قالت لي إننا سجّلنا في دروس للغوص، فسألتها: "نحنُ الاثنان؟"

قالت: "بلى. سنحصل على شهادة. ستحتاج ثيابًا للتمرين، وحذاءً وسترة للجري. اذهب إلى متجر فوت لوكر في الأردن مول، وقابلني بعدها على الغداء في مكتبي. أحضرْ العربة والراية لمداش وسنغلّفهما."

قلت: "لا بأس."

"سأحضّر عشاءً في منزلي الليلة وسنشاهد فيلمًا وثائقيًا، بعدها سنمارس في فراشي ما أمضينا الليلة الفائتة نمارسه في فراشك."

قلت أكرر: "لا بأس."

اليوم الثالث

اضطرت آنا لاصطحابي إلى متجر الفوت لوكر، وأجبرتني على تجربة خمسة أحذية مختلفة (اخترنا منها حذاءً رياضيًّا برباط)، وأربعة بناطيل وسترات للتمرين (اخترنا واحدة ماركة نايك). بعدئذ اشترينا طعامًا ومشروبات من أجل الحفل الّذي أرادت آنا عمله لمداش. قالت إنّ منزلي هو المكان الوحيد المناسب لمثل هذه الاحتفاليّة.

عند الظهر تقريبًا، كان مداش واحدًا من ألف وستمائة فرد على وشك أن يصيروا أمريكيين، يقفون فوق أرض السّاحة الرياضيّة رافعين أيديهم اليمني وهم يقسمون على الولاء لأمريكا. مواطنون جُدد يصونون ويحمون ويُدافعون عمّا صار الآن دستورهم، متساوين في ذلك مع الرّئيس. وقفت أنا وآنا وستيف وونج داخل مقصورة نشاهد تجنيس بحر مُهاجرين ينتمون لإثنيّات العالم المختلفة. كان المشهد مجيدًا وأصابنا نحنُ الثلاثة برعشة. آنا كانت أكثرنا انفعالًا، فبكت ودفنت وجهها في صدري.

قالت وهي تواصل البكاء: "هذا...مشهد...رائع. يا إلهي! لكم أحبّ هذه البلاد."

جاء زملاء مداش في شركة هوم ديبوت مِمّن تمكنوا من الاستئذان للاحتفال، يرفعون الكثير من الرايات الأمريكيّة الرخيصة التي اشتروها بتخفيضات الموظفين. نَصَبَ ستيف وونج جهاز كاريوكي، ثمّ حملنا مداش على ترديد أغاني تضم كلمة «أميركا» بين كلماتها مثل "امرأة أمريكيّة" و"فتاة أمريكيّة". في الواقع أغنية "روح أميركا" للبيتش بويز تدور حول سيارة، لكننا جعلناه يغنيها على أي حال. استعملنا

عربة الراديو فلاير كصندوق ثلج وغرس ستة مِنّا العلم ذا النجمات الثماني والأربعين، وكأننا جنود المارينز في إيوجيما ومداش هو الجندي الّذي يتصدّرنا.

امتد الحفل طويلًا، إلى أن بقينا نحنُ الأربعة نتفرّج على طلوع القمر، وننصت إلى العلم الأمريكي يرفرف فوق صاريه. كنتُ قد فتحت للتوّ علبة بيرة أخرى من الثلج المخضوض داخل العربة، حين انتزعتها آنا من يدي.

قالت: "مهلًا يا صغيري. عمّا قريب ستحتاج كل قدراتك، ما أن يرحل هذان الاثنان إلى منزليهما."

بعد ساعة، غادر ستيف وونج ومداش؛ المواطن الأمريكي الجديد الّذي يُغنّي "جواد بلا اسم" (لفريق أميركا). وما أنْ خرجت سيارة ستيف وونج من الممر، حتّى أمسكت آنا بيدي ورافقتني إلى الباحة الخلفيّة. وهناك، رصّت وسائد فوق العشب الطري ثمّ تمددنا نتبادل القبل. بعدئذ، في الواقع، خضعت قدراتي للاختبار.

اليوم الرّابع

تقطع آنا ركضًا قدر ما يُمكنها من الأميال خلال أربعين دقيقة، وهي العادة التي كانت سترغمني على اتباعها. هكذا اصطحبتني إلى أحد طرقها؛ وهو درب منحدر يلتف حول فيستا بوينت ثمّ يعود، وطلبت منّي الركض. ولأنّها تعرف أنّي لن أجاريها أبدًا، انطلقت بكل سرعتها أمامي وقابلتني أثناء نزولها عائدة.

بطبيعة الحال هذا التمرين ليس مفروضًا. ذلك أنّي بين الحين والآخر سأمتطي درّاجتي ذات السرعات الثلاث إلى ستاربكس، أو ألعب بضع مباريات من جولف القرص الهوائي (كنتُ لاعبًا محترفًا ضمن فريق). لكن هذا الصباح كنت أسفّ تراب الطريق، آنّا تتقدمني بمسافة كبيرة ولا أراها، وساقي مهيضة داخل حذاء التمرين الجديد (أذكّر نفسي: اشتر نصف مقاس زيادة في المرّة القادمة). كان دمي يجري في عروقي بضراوة غير معهودة، وأحسست بتعب شديد بالكتفين والعنق ودقّ فوق رأسي. هُنا رأيتُ آنا تصفّق لي وهي تحاول كبح اندفاعها قادمة من الفيستا بوينت.

هتفت أثناء المرور: "مرحى يا صغيري! جهد أول رائع!"

"فخذاي يزعقان ألمًا" ودرت كي ألحق بها.

فصاحت مرّة أخرى من فوق كتفها: "بل يعلنان تمردهما. سيذعنان في الوقت المناسب."

تعرّفت آنا على مكان المطبخ أثناء وجودي في الحمّام، وتصوّرت أنّي أضع المقال والمفارش داخل الدواليب الخطأ، ثمّ لِم يوجد درج أدوات المائدة بعيدًا عن غسّالة الصحون؟ لم أجد ردًّا. "هيّا بنا، لا يُمكن أن نتأخر عن أول دروس الغوص." كانت رائحة بدلات المطاط المبللة وبركة الغوص المُعالجة بالكلور تغمر المكان. عبأنا أوراقًا وأعطونا دفترين ندرسهما، إضافة إلى جدول حصص وعدة خيارات لموعد التقدّم للحصول على شهادة الغوص بالمياه المفتوحة. اختارت آنا يوم أحد بعد أربعة أسابيع، وحجزت مكانين اثنين لنا فوق القارب الموعود.

ذهبنا إلى مقهى الفيفا فيردي سالاد لتناول غداء يتكوّن من سلطات محضّرة من سلطات وطبق سلطة آخر جانبًا، بعدئذ أردت الرجوع

للمنزل كي أغفو قليلًا. لكن آنا قالت إنّها تحتاج مساعدتي في نقل بعض الأغراض بالقرب من منزلها؛ مهمة شاقها كانت ترجتها، ولم يكن هذا صحيحًا، كانت تكذب. في الواقع كانت تريد أن أساعدها في إعادة لصق الرواق والمكتب المنزلي بورق الحائط، وهو ما يعني أنّي كنتُ مضطّرًا لنقل الحاسوب والطابعة والناسخات الضوئيّة ومعدات الجرافيك، ثمّ قضاء الظهيرة كلها في تنفيذ رغباتها.

لم أعد للمنزل تلك الليلة، تناولنا العشاء-لازانيا الخضروات إضافة إلى طبق خضروات أخرى، وشاهدنا فيلمًا على نتفليكس عن نساء بارعات يرافقن أصدقاء حمقى. "انظر يا صغيري، هذا الفيلم عنّا!" همست آنا، ثمّ ضحكت ومدّت يدها داخل بنطلوني وهي تهبني قبلات خاطفة. كنت إمّا أسعد رجال العالم حظًّا، أو أكبر مغفّل. وحتّى بعد أن سمحت آنا لي أن أدسّ يدي داخل بنطلونها، كنت لا أزال أجهل أيهما أنا: المحظوظ أم المغفّل.

اليوم الخامس

اضطرت آنا للعمل في مكتبها. توظّف أربع نساء صارمات ومتدرّبة مهددة بالرسوب في المدرسة الثانويّة. كانت قد وقّعت في العام الماضي عقدًا مع ناشر كُتب ورقيّة لتنفيذ أعمال الجرافيكس، عمل ثابت لكن مضجر يُشبه لصق ورق الحائط. قلت لها أنّي سأعود للمنزل.

سألتني: "لم؟ ليس لديك ما تفعله اليوم."

قلت: "سأركض قليلًا" هكذا طرأت لي الفكرة بغتة.

"رائع يا صغيري."
عدت للمنزل ولبست حذاء التمرين، ثمّ انطلقت أعدو حول الحي. رآني السيد مور الشرطي المتقاعد وجاري من ناحية السور الخلفي، أمرّ به جريًا فصاح متعجبًا: "ماذا حلّ بك؟"
هتفت: "امرأة!" ولم يكن ذلك صحيحًا فحسب، بل كنتُ أشعر بالسعادة لأنّي قلته. حين يغدو الرجل مشغولًا بامرأة، وينتظر اللحظة التي يُخبرها فيها أنّه ركض أربعين دقيقة، آنئذ أقول لك يا صديقي أنّه صارت له صاحبة.
بلى، لديّ صاحبة. صاحبة تُغيّر رجلًا من الحذاء الّذي يتمرّن به، وصولًا للطريقة التي يقصّ بها شعره (وهو ما فعلته أنا اليوم التالي مباشرة، أمام حلّاقي). كانت تغييرات واجبة. لكن بسبب غواية أدرينالين الرومانسيّة ركضت أطول مما يتحمّل جسدي.
اتصلت آنا. كنتُ قد استسلمت لغفوة قصيرة لأنّ ربلتيّ ساقيّ كانتا مشدودتين كأنّهما علبتي بيرة. طلبت مني أن أحاول زيارة معالجها المتخصص بالإبر الصينيّة، وقالت إنّها ستتصل به لترتيب موعد عاجل.
الإيست فالي ويلنيس أوسيز هو مركز تسوّق مهني مصغّر أسفله مكان مُخصص للسيارات. استنفدت قيادة شاحنة الفولكس فاجن الخالية من نظام التوجيه الكهربي، مرّات ومرّات حول تلك المنحدرات الدائريّة، طاقتي البدنيّة. وأبهظ استكشاف مصاعد المبنى المتعددة قدرتي على التفكير. لكني عثرت أخيرًا على المكتب رقم W-606 وعبأت استبيانًا عن الرفاهية يتكوّن من خمس صفحات، جلست بعدها إلى جانب فسقيّة كانت مضختها الكهربائيّة تُصدر ضجيجًا يفوق صوت الماء المتدفّق.

هل تقبل ممارسة الخيال؟ بالتأكيد، لِم لا؟ هل أنت منفتح على التأمّل الموجّه؟ لا أرى ما يضرّ. اشرح أسباب سعيك للعلاج. كُن محددًا رجاءً. قالت لي صاحبتي أن أحمل لكم ساقي المنهكة المسكينة المهيضة أملًا في الشفاء.

سلّمت إجاباتي وانتظرت. في النهاية، نادى رجل يرتدي معطف المختبرات الأبيض اسمي واصطحبني إلى غرفة العلاج. انهمك في قراءة أوراقي، وأنا خلعت ثيابي الخارجيّة.

سألني: "تقول آنا أنّ ساقيك يؤلمانك؟"، وكان يُعالج آنا طوال السنوات الثلاث الماضية.

أجبت: "بلى. إذْ أعلنت ربلتاي وأعضاء أخرى تمرّدها عليّ."

قال وهو ينقر فوق أوراقي: "آنا هي صاحبتك إذن."

قلت: "تطوّر جديد."

"حظًّا سعيدًا. تمدد فوق بطنك." غرس الإبر في جسدي فسرت فيه رعشة خفيفة وانتفضت ربلتاي لا إراديًّا. ثمّ أدار أسطوانة مدمجة بمسجِّل قديم من أجل التأمّل الموجّه قبل أن يُغادر الحجرة. سمعت صوت امرأة تطلب مني أن أفرغ رأسي من أي أفكار وأتخيّل نهرًا. بقيت على هذا الحال نصف ساعة تقريبًا، يساورني النوم ولا أستطيع بسبب الإبر المغروسة في جسدي.

كانت آنا في انتظاري بمنزلي، وقد أعدت عشاءً من النباتات الورقيّة والبذور وأرزًا بلون التراب، ثمّ دلّكت ساقيّ بقوّة مؤلمة، وقالت إنّها لم تُمارس الحُبّ خمس سنوات متتالية منذ أنهت الجامعة، لكنّها ستجرّب الآن من جديد.

اليوم السّادس

ضبطت مُنبه هاتفها على السادسة إلا الرّبع صباحًا، بسبب ما ينتظرها من مهام. وقد جعلتني استيقظ أنا الآخر، وسمحت لي بكوب واحد من القهوة، ثمّ قالت لي أن أرتدي ثياب التمرين.

"ساقاي لا زالتا تؤلماني."

"هذا لأنّك تردد هذا الهراء بينك وبين نفسك."

قلت متبرّمًا: "لا أرغب في الجري هذا الصباح."

ألقت بنطلون التمرين ناحيتي وهتفت: "تجلّد يا صغيري."

كان الصباح باردًا ومغبشًا. قالت: "صباح مثالي للجري." وأجبرتني على تقليد تمارينها اليوميّة طوال اثنتي عشرة دقيقة بالممر المواجه لمنزلي. كانت قد ضبطت مؤقّتًا في هاتفها يُصدر صوتًا كل ثلاثين ثانية. أربعة وعشرون وضعًا جسديًّا كان عليَّ اتخاذها، كل وضع منها يشدّ وتر أو عضلة داخلي، كل وضع منها يشعل فيّ ألمًا، وينتزع منّي سبابًا، ويصيبني بدوّار.

قالت: "رائع يا صغيري." بعدها أوضحت الطريق الّذي سنتبعه حول الحي، مرّتان بالنسبة لها ومرّة واحدة بالنسبة لي. وكان السيد مور يلتقط صحيفته الصباحية من حديقته الأماميّة حين مررت به.

صاح بي: "هل كانت هذه صاحبتك؟ المرأة التي مرّت من هنا منذ دقيقة؟" كنتُ ألهث بقوّة فاكتفيت بالإيماء. "تبًّا! ماذا ترى فيك؟" بعد دقائق قليلة، أتمّت آنا اللفّة الأولى فصفعت ردفيّ أثناء مرورها.

"رائع يا صغيري!"

عدتُ إلى المنزل ودخلت الحمّام حين لحقت بي. تبادلنا قبلات كثيرة

ولمس كل منّا الآخر في مواضع أروع. علّمتني كيف أدعك ظهرها وطلبت مني المجيء إلى مكتبها في موعد الغداء كي ندرس كتاب الغوص. رغم ذلك، اضطررت لقراءة الصفحات القليلة الأولى، في الوقت الّذي كانت قد أنهت فيه قراءة نصف الكتاب. وكانت مسألة عثورها على الوقت لذلك تتجاوز مقدرتي.

أمضيت الظهيرة في مكتبها، أجيب على أسئلة اختيار من متعدد عن أدوات الغوص واستعمالاتها، وأتصفّح بعض قوائم العقارات (إذْ لا أزال أمتهن السمسرة)، وأحاول تسلية النساء اللائي انكببن على أعمال الجرافيك. ما من خيار آخر. كل هذا أثناء إجراء آنا اجتماعًا هاتفيًّا مع زبون في فورت ورث بتكساس، حول تصميم أغلفة جديدة لسلسلة كُتب، وتصحيح التجارب الطباعيّة لثلاثة مشاريع، ومساعدة المتدربة في فرض الهندسة، والبحث في دولاب، وإتمام النصف الثاني من فروض الغوص. وكُنّا لم نزل بعد لم نتلق حصتنا الأولى.

لا بأس. كُنّا الطالبين الوحيدين. شاهدنا أفلامًا عن العالم المهيب تحت الماء، ثمّ نزلنا بركة الغوص. وقفنا في الطرف غير العميق، وشرح مدرّبنا فِن كل قطعة في جهاز التنفّس تحت الماء. استغرق ذلك وقتًا طويلًا أغلبه كان بسبب أسئلة آنا الكثيرة عن كل جزئيّة. في النهاية حشر كل مِنّا منظم الهواء في فمه، وجثا على ركبتيه كي يغمر الماء رأسه، والتنفّس من هواء معدني مضغوط، وإطلاق الفقاقيع. انتهى الدّرس بخوض اختبار لياقة مائيّة نسبح فيه عشر لفّات. أقدمت آنا على الاختبار كأنّها لاعبة في الأولمبياد، وخرجت من بركة السباحة وجففت نفسها في غضون دقائق قليلة. أمّا أنا فسبحت زحفًا مقطوع الأنفاس لأحلّ ثانيًا في سباق بين متنافسين اثنين.

ثمّ، سقت الشّاحنة إلى مركز تسوّق الإيست فيلج كي نقابل ستيف وونج ومداش في اليولدي سويت شوب للحليب المخفوق. أخذت آنا كوبًا من الزبادي الخالي من الدسم والسكّر مع بعض القرفة، وجلسنا نتلذذ بهدايانا الصغيرة، ودسّت آنا كفّها في كفّي إشارة على محبّة لا تخطئها عين.

في تلك الليلة، كانت آنا تتصفّح لوحها الذّكي قبل أن تنام، ووصلتني رسالة نصيّة من ستيف وونج.

س وونج: هل تعاشر آنا؟

أطلقت الرد.

موونووكر 7: ليس من شأنك.

س وونج: نعم أم لا؟

موونووكر 7: 😁

س وونج: أنت مُختل؟؟؟

موونووكر 7: 😊🏁🚀✈️ !!

ثمّ انضم مداش للحديث-

فيس أوف أميركا: 😮

مووونووكر 7: لقد أغوتني.

فيس أوف أميركا: "لو تناكح الطهاة، لاحترق الحساء."

موونووكر 7: من يقول ذلك؟ ساحر القرية؟

فيس أوف أميركا: "لو تناكح المدربون، لخسر الفريق." فينس لومباردي.

تواصل الحديث على هذا المنوال، حيثُ لم ير ستيف وونج ومداش

فائدة تُرجى من الجمع بيني وبين آنا. لكم هو مؤسف! ذلك أنّنا بتنا ليلتنا هذه بالتحديد عازمين على المتعة مثل طهاة الحساء في غرين باي بولاية ويسكنسون.



اليوم السّابع

"ألا ينبغي أن نتحدّث قليلًا بشأن علاقتنا؟"

كنت أنا من يسأل. وكنتُ أقف في مطبخ آنا الصغير، ملفوفًا داخل منشفة بعد الاغتسال، أُدخِل قابس ماكينة القهوة السويسريّة لتحضير إكسيري الصباحي. أمّا هي فكانت قد نهضت من النوم منذ ساعتين ونصف وجاهزة في ثياب التمرين. ولحسن الحظّ كان حذاء التمرين في منزلي، هكذا ما من تدريب ماراثوني بالنسبة لي.

سألتني وهي تنظّف آثار القهوة القليلة العالقة، التي سقطت فوق كونتر مطبخها المصقول: "هل تريد أن نتبادل حديثًا بشأن علاقتنا؟"

سألتها: "هل تربطنا علاقة رومانسيّة؟"

سألتني بدورها: "تُرى، ما رأيك أنت؟"

"هل تريني صاحبًا؟"

"وأنت، هل تراني صاحبة؟"

"هل سيُفصح أي منّا عما يراه؟"

"وكيف أعرف؟"

جلست وارتشفت القهوة القويّة. ثمّ سألتها: "هل أستطيع أن أضيف بعضًا من الحليب إلى هذه القهوة؟"

ناولتني قنينة صغيرة من حليب اللوز الخالي من المواد الحافظة، الواجب استعماله في غضون أيام قليلة، والّذي يُباع باعتباره «حليبًا»لكنّه في الواقع لوز مُسال، وسألتني: "هل تعتقد أنّ هذا السّائل اللزج مفيد لصحتك؟"

"من فضلك اشترِ لنا حليبًا حقيقيًّا أستطيع إضافته إلى قهوتي."

"ما بالك كثير المطالب؟"

"وهل الحليب مطلب مُبالغ فيه؟"

ابتسمت واحتضنت وجهي بكفيها هامسة: "هل تتصور أنّك النموذج المثالي للرجل بالنسبة لي؟"

وقبّلتني. أوشكت على قول شيء ما، لكنّها جلست فوق ركبتيّ وفكّت المنشفة التي ألفّها حولي. ولم تذهب إلى تمرينها الصباحي.

الأيام من الثامن إلى الرابع عشر

كان الارتباط بآنا يُشبه التدريب كجندي عمليات خاصّة في البحرية الأمريكيّة، أو العمل بدوام كامل في مركز شحن تابع لشركة أمازون بمنطقة أوكلاهوما بانهاندل خلال موسم الأعاصير. هناك شيء دائمًا يحدث كل لحظة وكل يوم. هكذا باتت ساعات النوم أثناء الظهيرة شيئًا من الماضي.

أتمرّن بانتظام، لا هذه الهرولة الصباحيّة فحسب بل السباحة أيضًا في درس الغوص، وأمارس تمارين اليوجا لما يقترب من النصف ساعة، وانضم إلى آنا في التمرين على درّاجة رياضيّة داخل حجرة

ساخنة؛ وهو تمرين شاق جِدًّا جعلني أتقيأ. كان عدد الجولات التي قمنا بها يثير الجنون، ولم يكن الدافع لها قائمة فروض أو تطبيق هاتفي للمساعدة على التسوّق، بل كانت كلها جولات مُرتجلة، دون تخطيط مُسبق. بلا توقّف. كانت آنا ما لم تكن مشغولة بعملٍ ما أو تدريبي أو إنهاكي في الفراش، تختلق شيئًا، تبحث عن شيء، تطلب أن ترى ما يضعه المتجر في الخلف، تسوق الشّاحنة إلى مزاد عقّاري على الجانب الآخر من المدينة، أو تذهب إلى هوم ديبوت لتسأل ستيف وونج عن مِبْرَد كهربائي لي، لأنّ سطح الطاولة المصنوعة من الخشب الأحمر والموجودة في باحتي الخلفيّة كانت في حاجة إلى الصقل. أقضي كل يوم؛ حرفيًّا، في تنفيذ أوامرها التي تشمل تعليمات محددة أثناء قيادة الشّاحنة.

"انحرف يسارًا. لا تنزل هنا. التزم شارع الوبستر. لماذا تنحرف إلى اليمين الآن؟ لا تمرّ بالمدرسة! إنّها الثالثة تقريبًا! موعد خروج الأطفال!"

بل رتّبت عرضًا لتسلّق الصخور لأجلي ومداش وستيف وونج داخل مستودع كبير أُفتتح حديثًا للمغامرة، يضم حائطًا للتسلّق ونهرًا داخليًّا لممارسة التجديف بالقوارب في المياه السريعة، وقاعة للقفز بالمظلات في داخلها مروحة ضخمة تطلق تيارات هواء قويّة نحو صومعة لمحاكاة تجربة السقوط الحُرّ للزبائن لابسي الخوذات. هل أحتاج أن أقول أنّنا جرّبنا نحن الأربعة كل تلك المغامرات في ليلة واحدة؟ وبقينا هناك حتّى أغلقوا الأبواب. وساور ستيف وونج ومداش إحساس باكتمال رجولتهما بعد يوم كامل من العمل مرتدين تلك المآذر الموحّدة للجنسين في هوم ديبوت. كنتُ منهكًا بعد بقائي طويلًا على جدول آنا المثقل. كنتُ أحتاج إلى غفوة.

سنحت لنا فرصة لتناول وجبة خفيفة من البروتينات في الإنرجي ستاند أمام المستودع، حين ذهبت آنا إلى الحمّام.

سألني مداش: "كيف الحال؟"

قلت: "حال ماذا؟"

"أنت وآنا. تستظلان بشجرة وتتبادلان ا-ل-قُ-ب-ل-ا-ت."

وسألني ستيف وونج: "ما بالك تبطيء؟ تبدو متعبًا."

"بلى؛ خرجت للتوّ من محاكاة قفز بالمظلات."

ألقى مداش لوح بروتين لم يأكل سوى نصفه في سلّة المهملات، واستطرد: "في الماضي كنتُ أنظر لك وأقول لنفسي، هذا الفتى حل المعضلة. فلديه منزله الصغير الأنيق ذا الباحة الخلفيّة اللطيفة، وهو ليس موظفًا لدى أحد سوى نفسه. وفي مستطاعه أن يرمي ساعته لأنّه ليس مضطرًّا للذهاب إلى أي مكان. كنت بالنسبة لي أمريكا التي أتمنّى أن أعيش فيها. الآن، تتملّق امرأة تقودك. يا للأسف!"

قلت: "أحقًّا تأسف؟"

وقال ستيف: "قل له الأمثولة التي قلتها لي."

فتساءلت: "أهي شيء آخر علّمه لك ساحر القرية؟"

أجابني مداش: "بل مُعلِّم اللغة الإنجليزيّة في الواقِع. كان يقول أنّ السفينة كي تلف العالم لا تحتاج إلا إلى شراع وعجلة قيادة وبوصلة وساعة."

"كلمات حكيمة من أمّة مُحاطة باليابسة." قلت. وكان مداش قد نشأ في جنوب الصحراء الكبرى.

قال مِداش يُفصّل: "آنا هي البوصلة. وأنت السّاعة. لكن مكوثك معها يعني أنّك تغدو ساعة غير مملوءة. يداك لا تتجهان ناحية الشرق إلا

مرّتين يوميًّا، لذلك لن تعرف خطّ طولنا أبدًا."
قلت: "هل أنت متأكّد أنّ آنا ليست الشراع. لِم لا أكون أنا العجلة وستيف هو البوصلة؟ لا أتبنّى هذه التشبيه."
قال ستيف: "سأصوغ الموقف بلغة تستطيع استيعابها. نحنُ نُشبه برنامج تليفزيوني يضم أبطالًا متنوعين. الأفريقي؛ مداش. الأسيوي، أنا. القوقازي الهجين؛ أنت. المرأة الصارمة قوية الإرادة؛ آنا، التي لن تسمح لرجل أن يُعيّن لها حدودًا. ارتباطكما سويًّا يُشبه مُجرّد خطّ قصصي في الموسم الحادي عشر تسعى به الشبكة للإبقاء على وجودنا على الهواء."
التفت إلى مداش وقلت: "هل تعي هذه الاستعارة الثقافيّة الشعبيّة؟"
"أعي صميمها؛ لديّ وصلة."
أوضح ستيف: "نحنُ الأربعة نُشبه مربّعًا مثاليًّا، ونومك مع آنا سيشوِّه هندستنا."
"كيف؟"
"لأنّها تؤثّر على حياتنا. انظر لحالنا. أوشك الليل أن ينتصف وكُنّا نتدلّى فوق حائط ونجدّف ونقفز بالمظلات. أشياء لم أفعلها قطّ في ليالي الدراسة. آنا هي عاملنا المُحفِّز."
"شبّهتنا بقارب شراعي وبرامج تليفزيونيّة، واستعنت بعلم الهندسة والكيمياء كي تدلل على وجوب أن أقطع علاقتي بآنا. ورغم ذلك لم تقنعني كلمة واحدة."
استطرد مداش: "أرى دموعًا لأجلك ولأجل آنا ولأجلنا جميعًا. دموع ترشقها عيوننا."
قلت وأنا أزيح لوح البروتين البُنّي الّذي يُشبه طعمه حقًّا طعم كعكة

الشوكولاته: "انظروا. سيقع أحد الأمور الآتية بيني وبين صاحبتي. بلى صاحبتي." واختلست نظرة إلى آنا. كانت تقف بعيدًا تثرثر مع موظّفة أسفل لافتة كُتب عليها: استثمر في المغامرة! "الأمر الأول أن نتزوّج ونرزق بأطفال وتصبحان أنتما الاثنين عرّابين لهم. الأمر الثاني أن نفترق ونتورّط في عرض علني نتبادل فيه الاتهامات وإيذاء المشاعر. آنئذ سيتعيّن عليكما أن تختارا أحد الجانبين: إمّا البقاء صديقين لي أو الاصطدام بضوابط الجندر المستقرّة والحفاظ على صداقتكما مع المرأة. الأمر الثالث أن تقابل رجلًا آخر وتهجرني، فأغدو خاسرًا مكتئبًا، ولا تقولا أنّ هذا هو حالي الآن بالفعل. الأمر الرابع أن ننهي ما بيننا ونتفق بالحُسنى على أن نظل صديقين كما نرى على شاشة التليفزيون، ولا يبقى لنا سوى ذكريات هذا التسلّق لصخور مصطنعة وغيره من مغامرات، إضافة إلى ذكريات أجمل جنس مارسته في حياتي. نستطيع التعامل مع أي من تلك المصائر لأنّنا نضجنا. لابد أن تعترفا أنّ آنا لو شاءت أن تفعل معكما ما تفعله معي فلن تمانعا على الإطلاق."

قال ستيف وونج: "وساعتها ستكون أنت من يتنبأ بالدموع."

آنئذ عادت آنا تلوّح بكتيب ملوّن سميك ومصقول هاتفة: "مرحى يا أصدقائي! نحنُ على وشك السفر إلى أنتاركتيكا!"

اليوم الخامس عشر

"تلزمنا تجهيزات مناسبة." كانت آنا تغمر كيس شاي جديد من شركة رينبو تي كمباني داخل قدح يمتلئ بماء ساخن، وكانت ترتدي ثياب

الركض كما كنت أنا أرتدي حذاء التمرين. "ملابس داخلية حراريّة. معاطف واقية من المطر. بلوفرات صوف. أحذية مقاومة للماء. عصي المشي."

أضفت: "وقفّازات. وقبعات." كانت الرحلة إلى أنتاركتيكا تستغرق ثلاثة أشهر نعبر خلالها الكثير من المناطق الزمنيّة وآلاف الأميال، وكانت آنا بالفعل في حالة تخطيط كاملة. سألتها: "ألن يكون الوقت صيفًا عند القطب الجنوبي؟"

"لن نصل إلى القطب. ربّما إلى الدائرة القطبيّة الجنوبيّة إذا ساندنا الطقس والبحر؛ إذْ لا يزال هناك الكثير من الثلوج والرياح."

خرجنا لممارسة خمس وأربعين دقيقة من تمارين اليوجا في حديقتي الأماميّة، اتخذنا خلالها وندى الصباح يغمرنا وضعيّة حرف V المقلوبة وكوبرا تزحف. رنين. انطلق صوت الميقاتي أثناء انحنائي في محاولة للمس جبيني بعظمتي الركبة. جهد مهدور على الأرجح. استطاعت آنا أن تميل كطاولة صغيرة. قالت: "لقد سافر ملاحو مركبة الفضاء أبولو إلى أنتاركتيكا لدراسة البراكين." كانت آنا تعي شغفي بكل ما يتعلّق برواد الفضاء، لكن غاب عنها مدى إجادتي لتلك المعارف.

"لقد تلقوا تدريبهم في آيسلندا يا سيدتي الشّابة. وإن صحّ أنّ رائدًا منهم سافر إلى القطب الجنوبي، فلا ريب أنّ ذلك كان بعد تقاعدهم من تغيير مسار البشرية بنجاتهم من الموت داخل سفن ناسا الفضائيّة بوقت طويل." رنين. حاولت الوصول إلى كاحليّ والإمساك بهما فاندلع ألم هائل في ربلتي ساقيّ المسكينتين.

قالت آنا: "سنرى طيور البطريق والحيتان والمحطّات العلميّة. إضافة

إلى B15k."

"وما هو B15k؟"

"جبل جليد في حجم مدينة مانهاتن، جبل هائل يُمكن رصده عبر الأقمار الصناعيّة كان قد انفصل عن جرف روس الجليدي عام 2003، ويواصل الدوران على نحو مستقل عكس عقارب السّاعة حول أنتاركتيكا. نستطيع إذا تحسّن الطقس أن نحجز مروحيّة ونهبط فوقه!"

رنين. كان هذا هو التمرين الأخير فانطلقت تركض، حاولت مجاراتها لكن دون جدوى. لا سيّما مع حماسها الجارف بسبب جبل B15k. كنتُ أهرول بجوار منزل السيد مور الّذي كان يدلف إلى سيارته حاملًا قدحًا ورقيًا من القهوة في يده. صاح: "لقد مرّت صديقتك من هنا منذ لحظات، كالبرق."

بعد الاغتسال وتناول فطور من الأفوكادو فوق خبز محمّص، حملت آنا المبرد الكهربي الّذي اشترته من ستيف وونج وانكبّت تصقل الطاولة في الباحة الخلفيّة، ولحقت بها أحمل ورق صنفرة.

"سيلزمك إعادة دهان هذه الطاولة بعد أن تصل إلى السطح الأملس. هل لديك دهان؟" وكان لديّ دهان. "ينبغي أن تكون قد انتهيت عند المساء. بعدها تعال إلى منزلي. سنتناول العشاء وننام معًا." عظيم. "أمّا الآن فيجب أن أذهب إلى المكتب." وقبل أن تذهب أشارت إلى قطع خشبيّة أخرى في حاجة للصقل والدهان أيضًا- أريكة وباب المطبخ الخلفي والسقيفة القديمة التي أحتفظ فيها بالمعدات الرياضيّة وأدوات البستنة. أمضيت باقي النهار في تفاصيل المهمّة.

كان العرق والتراب ورذاذ الدهان يغطّيني حين أرسلت آنا لي رسالة

نصّية.

آنا جرافيك كونترول: العشاء في غضون خمس عشرة دقيقة.
وصلت إلى منزلها بعد نصف ساعة، لكنّي كنت في حاجة للاغتسال قبل تناول العشاء. تناولنا طبقين كبيرين من الحساء الفيتنامي في حجرة المعيشة، وشاهدنا على مشغِّل البلوراي حلقتين من البرنامج الوثائقي أرضنا المتجمّدة، تعلّمنا منها خلال ما يزيد على الساعات الثلاث كل شيء عن البطريق شريطي الذّقن والفقمة آكلة السلطعون التي لا توجد إلا في خمّن أي جزء من كوكبنا.
ونمت قبل أن نمارس الحبّ بأي شكل.

اليوم السّادس عشر

كانت آنا قد حددت موعدًا لدرس غوص في الصباح الباكر دون أن تُخبرني.
أمرنا فِن بارتداء بزتي غوص كاملتين؛ أسطوانة الأكسجين وحزام الغوص وكل شيء، ثمّ جثونا على ركبتينا في قاع أعمق نقطة في بركة الغوص. كان علينا خلع كل معدات الغوص بما فيها القناع ثمّ حبس أنفاسنا، بعدئذ نرتدي كل شيء مرّة أخرى. في النهاية قال فِن إنّي دون المستوى المطلوب ونصحني أن أخفّ الخطى.
كانت آنا تريد أن تعرف السبب، فسألتني: "لماذا لم تنه فرضك؟"
" استولى موعد مع مبرد كهربي على وقتي." كانت تسوق في الطريق إلى المنزل، وأحسست بدغدغة مزعجة في مؤخرة حلقي كأنّي على وشك

الإصابة بالزكام.

قالت آنا: "إياك أن تقول أنّك ستصاب بالزكام؛ إذْ لو قلت لنفسك أنّك مريض، ستصيب نفسك بالمرض."

رنّ هاتفها فالتقطت سمّاعة البلوتوث، كان واحدًا من زبائنها في فورت ورث. شخص اسمه ريكاردو يلقي دعابات حول قوالب الألوان أضحكت آنا وهي تقف أمام منزلي. بقيت داخل السيارة كي تنهي المكالمة، ودخلت أنا.

في النهاية دخلت المطبخ وكنت أُفرغ حساء دجاج بالمعكرونة من علبة حين قالت: "يجب أن نذهب إلى فورت ورث."

سألتها: "لِم؟"

"لابد أن أشد من أزر ريكاردو أثناء تقديمه عرضًا. وبالمناسبة، ما تطبخه ليس حساءً بل كيسًا مملوءًا بالصوديوم."

"أنا أصيب نفسي بالمرض، والحساء سيساعدني."

"هذا الهراء سيقتلك."

"هل أنا مضطر للذهاب إلى فورت ورث معك؟"

"لم لا؟ لن تفعل شيئًا. بل ستظل تتفرّج طوال الليل."

"على فورت ورث؟"

"ستكون مغامرة."

"أنفي يسيل وأحسّ كأنّ خلية نحل تحتشد داخل رأسي."

"تستطيع التعافي إن توقّفت عن ترديد مثل هذا الكلام."

جاء ردّي على هيئة عطس وسعال وتمخّط في منديل. لكن آنا اكتفت بهزّ رأسها.

اليوم السّابع عشر

ما يلي هي المشاهد التي تفرّجت عليها في فورت ورث:

المطار الواسع المحتشد بالكثير جِدًّا من المسافرين، كأنّ اقتصاد تكساس انهار والسكّان يفرّون.

استلام الأمتعة. كان المكان يعج بالفوضى والقتال بالأيدي على متسع للوقوف لأنّ المطار كان قيد الترميم. تثبتت آنا من ثلاث حقائب كانت بين الحقائب الأخيرة التي حملتها السيور.

حافلة مدهونة من جميع الجوانب بحروف كبيرة تردد بونيكار؛ بونيكار؛ بونيكار. وكانت بونيكار خيارًا جديدًا للسفر يتبارى مع أوبر وشركات استئجار السيارات. كانت آنا تحمل إيصالًا بعطلة مجّانية لسبب لا أدريه. أوصلتنا الحافلة إلى بقعة تحتشد بالسيارات الصغيرة المدهونة بشعار البونيكار أيضًا. لا فكرة لديّ عن مكان تصنيع سيارات البونيكار، لكن من الواضح أنّها مصممة للأشخاص دقيقي الحجم؛ لذلك كان علينا أن ننحشر أنا وآنا وحقائبنا داخل مركبة لا تتسع سوى لراكبين اثنين وثلث حقائبنا فقط.

فندق صن جاردن دالاس فورت ورث. ليس فندقًا بالمعنى الشّائع، بل عدد من الغُرف الناجعة وآلات البيع المُكرّسة لمسافري الأعمال من ذوي النفقات المحدودة. دخلنا غرفتنا الصغيرة، واستلقيت، وأبدلت آنا ثيابها بأخرى رسميّة أثناء تبادلها حديثًا مع ريكاردو على الهاتف الخلوي. خرجت وأشارت لي بيدها مودّعة وهي تجرجر خلفها حقيبتها المزوّدة بعدّة عجلات.

كنتُ دائخًا بسبب المرض، فلم أتمكّن من تشغيل التلفاز. كان نظام

الكابل يضم قائمة غير مألوفة بالنسبة لي، وكل ما تمكّنت من تشغيله هو قناة فندق الصّن جاردن التي كانت تعرض أمجاد وعجائب سائر فنادق الصّن جاردن حول العالم. كان ثمّة فروع ستُفتتح قريبًا في إيفانسفيل وإنديانا وإلينوي وفرانكفورت في ألمانيا. لم أستوعب نظام الهاتف هو الآخر؛ إذْ كنت أتلقّى نفس القائمة الصوتيّة الرئيسة. كنتُ جائعًا، لذلك جررت نفسي ونزلت إلى «الرواق» كي أتسوق من آلات البيع.

كانت الماكينات داخل غرفة صغيرة منفصلة مشتركة مع طاولة بوفيه متواضعة تحمل أطباق تفّاح وموزعات حبوب الفطور. أخذت بعضًا من هذا وذاك، وكانت واحدة من آلات البيع تقدِّم شرائح بيتزا وأخرى تعرض مستلزمات تجميل إلى جانب بعض علاجات البرد. اشتريت؛ بعد أربع محاولات لإقناع الماكينة بقبول ورقة مكرمشة فئة عشرين دولارًا، عددًا من الكبسولات والأقراص وبعض جرعات من دواء للشرب وشيء ما داخل زجاجة صغيرة اسمه بوست-بلاسترا كانت الزجاجة تتباهى بما فيها من جرعة ضخمة من مضادات الأكسدة والإنزيمات ومركبات ما مفيدة أخرى توجد في نبات السلق السويسري وصنف مُعين من الأسماك.

عدت إلى الغرفة، وجهزت كوكتيلًا يتكون من اثنين من كل نوع، ثمّ نزعت قصدير الأمان ولفت انتباهي الغطاء المخصص لحماية الأطفال، وابتلعت البوست-بلاسترا في جرعة واحدة.

اليوم الثّامن عشر

صحوت دون أي فكرة عن المكان الّذي أتواجد فيه. سمعت صوت مِرشّة الحمّام، ورأيت بصيصًا من ضوء يتسلل من أسفل باب، وكومة من كتب فوق منضدة. ثمّ انفتح باب الحمّام عن التماعة بخار مضيء.

صاحت آنا: "لا يزال حيًّا!" كانت عارية وتجفف نفسها. وقد عادت للتوّ من تمرين الجري.

"حقًّا؟" لم أشعر بتحسّن على الإطلاق. بل زاد على الإحساس بالمرض إحساس جديد بالتشوّش.

"هل تعاطيت كل هذه الأشياء؟" وأشارت إلى الطاولة الصغيرة التي تبعثرت فوقها بقايا وصفتي الذاتية.

قلت أدفع عن نفسي على نحو واهن: "لا أزال مريضًا."

"ترديدك أنّك مريض يجعلك مريضًا."

"أشعر بإرهاق شديد، في الواقع منطقك يبدو معقولًا."

"لقد أهدرت فرصة ثمينة يا صغيري؛ إذْ تناولنا بالأمس طعامًا مكسيكيًّا خالٍ من الأسمدة والمبيدات الكيماوية. كان عيد ميلاد ريكاردو، وكُنّا حوالي أربعين في حفلة راقصة. بعدها، خرجنا إلى مضمار سباق وسقنا سيارات كلاسيكيّة دقيقة الحجم. اتصلت بك وأرسلت رسائل نصيّة، لكن ما من مجيب."

أمسكت هاتفي. بين السادسة مساءً والواحدة والنصف صباحًا اتصلت بي آنا جرافيك كونترول وبعثت رسائل نصيّة ثلاث وثلاثين مرّة.

بدأت آنا ترتدي ثيابها، واستطردت: "يستحسن أن تحزم أغراضك؛ إذْ سنسدد حساب الفندق ثم نذهب إلى مكتب ريكاردو لحضور اجتماع، بعدها ننطلق من هناك إلى المطار."

ساقت آنا البونيكار إلى موقف سيارات صناعي في مكانٍ ما بفورت ورث، وجلست داخل قاعة الاستقبال في حالة مزرية أتمخّط المرّة تلو الأخرى، أحاول التركيز في كتاب عن رائد الفضاء والت كنينجهام على كوبو؛ قارئي الرقمي، لكنّي كنت شديد التشوّش. تسليت بلعبة على هاتفي اسمها 101، وأجبت على أسئلة اختيار من متعدد وصواب أم خطأ. صواب أم خطأ: استخدم الرئيس وودرو ويلسون آلة كاتبة في البيت الأبيض. صواب! إذْ ألّف وكتب خطابًا على آلة هاموند تايب أوماتيك أملًا في حشد الدّعم أثناء الحرب العالمية الأولى.

كنت في حاجة لبعض الهواء بعد جلوسي الطويل داخل قاعة الاستقبال، لذلك نهضت أدبّ حول موقف السيارات الصناعي، حيثُ تراءت المباني متشابهة فضللت الطريق، ولم أعثر على طريق الرجوع إلا عندما وقعت عيني على سيارة بونيكار تبيّن أنّها سيارتنا لحسن الحظّ.

كانت آنا هناك برفقة زبائنها في انتظاري. "أين كنت؟"

قلت: "أتفرّج". قدّمتني لريكاردو وثلاثة عشر مديرًا تنفيذيًّا آخرين يعملون في طباعة الكُتب. لم أصافح واحدًا منهم؛ ذلك أنّي كنت مصابًا بالبرد في الواقع.

كانت إعادة البونيكار سهلة كما وعدونا، لكن حافلة الفندق المجّانية إلى المطار استغرق مجيئها مُدّة طويلة، فكان علينا أنا وآنا كي نلحق بطائرتنا أن نركض في أرجاء مطار دالاس فورت ورث كأننا شخصيتين

داخل فيلم سينمائي، إمّا عن عاشقين سخيفين يقضيان عطلة، أو عميلين فيدراليين يحاولان إيقاف هجوم إرهابي. في النهاية لحقنا بالطائرة لكن ليس في الوقت مناسب كي نجلس متجاورين؛ هكذا جلست آنا في الجزء الأمامي وأنا في الخلف. فتكت بي أذناي المسدودتان أثناء الإقلاع، واشتدّ الألم أكثر بعدها بساعات أثناء الهبوط.
اشترت زجاجة براندي صغيرة من محل خمور في طريق الرجوع للمنزل، وجعلتني أشرب جرعة كبيرة من الشراب المُسكر، ثمّ ساعدتني على الدخول إلى الفراش وضبطت الوسادة وقبّلتني فوق جبيني.

اليومان التاسع عشر والعشرون

كنتُ مريضًا، بوضوح وبساطة، طريح الفراش لا أتناول إلا السوائل كعلاجات وحيدة، كما كان الحال دائمًا بالنسبة لنزلات البرد منذُ هبط الإنسان البدائي مُصابًا بالزكام.
رغم ذلك، كانت لآنا أفكارها الفريدة. ذلك أنّها كرّست نفسها يومين كاملين لمهمّة علاجي عاجلًا لا بالتدريج. فجعلتني أجلس عاريًا على مقعد وأضع قدميّ داخل مِغطس يمتلئ بالماء البارد، وربطت أطرافي بما يُشبه جهاز رسم القلب، وطلبت مني أن أخلع أي أغراض معدنيّة؛ ولم أكن ألبس شيئًا منها، ثمّ نقرت مفتاح التشغيل. ولم أشعر بشيء.
لكن مع مرور الوقت تحوّل الماء حول قدميّ إلى اللون الدّاكن أولًا، ثمّ إلى اللون الأسود، ثمّ بدأ في التخثّر حتّى لاح المغطس على هيئة

الجيلي الأكثر إثارة للاشمئزاز. كانت المادّة اللزجة سميكة درجة بات معها سحب قدميّ خارج المغطس كأنّي اقتلع نفسي من طين مستنقع، إضافة إلى رائحتها الكريهة!

قالت آنا وهي تدلق الوحل في المرحاض: "هذه هي التعويذة الشريرة تخرج منك."

سألتها: "من قدميّ؟"

"ها قد رأيت بعينيك. الطعام الرديء الّذي تتناوله، سموم الجسد والدهون. كلّها تنضح من قدميك."

"هل أعود إلى الفراش الآن؟"

"حتّى موعد حمّام البخار."

"ليس لديّ حمّام بخار."

"سأصنع لك واحدًا."

نصبت آنا عددًا من ستائر البلاستيك داخل الحمّام، وثبتت ماكينة متنقّلة لصنع البخار في الجزء العلوي. قعدت داخل الحُجيرة فوق مسند قدمين ينهمر مني العرق، أتجرّع ثلاث زجاجات كبيرة من شاي خفيف ما. استغرق هذا وقتًا، وكان طعم الشّاي يُشبه طعم ماء المزاريب، وليس إلا مثانة البشر ما يستطيع احتمال الكثير من ماء المزاريب.

تمرّنت على درّاجة؛ كانت آنا تجعلني أمتطيها كل ساعة ونصف ساعة اثنتا عشرة دقيقة بالضبط، وأثمر هذا التمرين عن إفراز العرق الّذي برهن أني رفعت درجة حرارة جسدي.

قالت آنا: "وهذا للقضاء على البلغم وما سواه."

إذْ أكلت ثلاث وجبات متتالية عبارة عن أطباق مرق بها قطع من

البنجر والكرفس.

قمت بتمارين يوجا خفيفة، كل جلسة لمدة ساعة، بمساعدة لوحها الذّكي، لكنّي كنت مضطرًّا لمحاكاة حركات المُعلِّم في الفيديو حرفيًّا.

أوصلت جهازًا في حجم قالب صابون بالكهرباء فراح يُصدر طنينًا وذبذبات، كان يبدو كعلاج منزلي كُتب على علبته بحروف روسيّة. ثمّ أرقدتني عاريًا فوق الأرضيّة ودلّكت جسدي بالكامل من الجانبين بهذا الجهاز الشيوعي الّذي راح يُصدر أصواتًا مُختلفة مع كل جزء من جسدي يقوم بتدليكه.

بعدئذ قالت آنا: "رائع يا صغيري. ها نحن نتعافى!"

تناولت دواءً للسعال وقرص سودو إفدرين بلا استئذان، ثمّ زحفت عائدًا إلى الفراش كي أغيب في دنيا الأحلام.

اليوم الحادي والعشرون

أحسست بتحسّن في الصباح. كانت الملاءات مبللة بسبب عرق الليل، فلملمتها من فوق الفراش كأنّها جلد شمواة. وكانت آنا قد ألصقت حاشية فوق دورق القهوة.

تركتك تنام بعمق وصمت. أحبّك هكذا. ستشفى إن شربت الحساء الموجود في المبرّد. اشربه باردًا في الصباح، وساخنًا عند الغداء. أدّ تمارين الدرّاجة مرّتين قبل الظهر، وتمرين يوجا لمدّة ساعة أرسلت لك رابطه في رسالة إلكترونيّة. خذ حمّام بخار إلى أن تفرز قدر ثلاث زجاجات من العرق!

تخلّص من ذلك الصوديوم! آنا.

كنتُ بمفردي داخل المنزل أمارس حياتي وفق شروطي، لذلك تجاهلت تعليمات آنا على الفور وتناولت قدحًا من القهوة بالحليب السّاخن. قرأت نسخة مطبوعة من التايمز، لا النسخة الرقميّة التي تفضّلها آنا لأنّها تعتبر الصحف الورقية إثمًا ضد الأرض، ناهيك عن إعادة تدويرها. حضّرت فطورًا مغذيًّا من البيض وشرائح السجق البرتغالي المُحمّرة وموزة وفطيرة فراولة وعصير بابايا مُعلّب، وطبق كبير من حبيبات الشوكولاتة.

لم أمارس تمارين اليوجا، ولا امتطيت درّاجة التمرين، ولا دلفت داخل حُجيرة البخار البلاستيكيّة. لم أفتح الرابط في رسالتها الإلكترونيّة، وبالتالي لم أتمرّن ثانية واحدة. بدلًا من ذلك، أمضيت الصباح في غسيل الثياب؛ حشوت الغسّالة خلالها أربع مرّات منها ملاءات السرير. أدرت أسطوانة مختارات الأغاني المُدمجة وغنيت طويلًا. كنت مستمتعًا بعدم الانصياع لأيٍ من أوامر آنا، وعشت أجمل حياة يُمكن تخيلها.

كان ذلك يعني أنّي أجبت على تساؤل آنا الّذي طرحته أمامي منذ أسبوعين: كلا، لا أظنّ أنّي الرّجل المثالي بالنسبة لها.

اعترفت لها حين اتصلت لتطمئن على حالي، أنّي تجاهلت تعليماتها. قلت أيضًا أنّي أشعر أنّي تعافيت وارتحت واستجمعت قواي، وأنّه رغم اعتقادي كم كانت رائعة وكم أنا شخص سخيف ...إلى آخره. لكن قبل أن ألمم الكلمات المناسبة كي أنهي علاقتي بها عمليًّا، سبقتني آنا إلى ذلك.

"لست الرجل المثالي بالنسبة لي يا صغيري."

ما من أثر لأدنى ضغينة في صوتها، ولا إدانة أو خيبة أمل. بل قالت ما قالته بحياد أعجز عنه. واستطردت وهي تكتم ضحكتها: "كنت أعرف منذ فترة، لذلك كنت أضنيك. بل كنت سأحطمك مع الوقت."

سألتها: "ومتى ستفلتينني من مصيدتك؟"

"إن لم تتراجع صباح الجمعة، آنئذ نتكلّم."

"ولماذا صباح الجمعة؟"

"لأنّي سأعود مساء الجمعة إلى فورت ورث. سيصحبني ريكاردو في رحلة بالمنطاد."

في هذه اللحظة ساورني أمل نابع من كبرياء الرجولة ألا يكون هذا الريكاردو هو الرّجل المثالي بالنسبة لآنا، أيضًا.

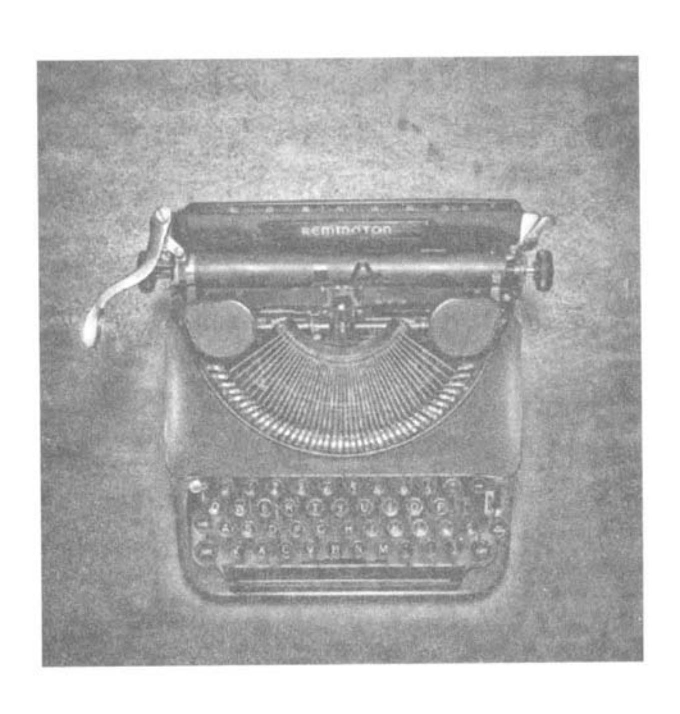
تحقق مُرادي بالنسبة لريكاردو. لكن آنا لم تصارحني بالسبب قطّ.

في الواقع، حصلت على شهادة الغوص. كُنّا عشرة غوّاصين إضافة لي وآنا وفِن غصنا داخل الأحراج العشبيّة بعيدًا عن الشاطئ. تنفسنا تحت الماء وسبحنا خلال ما بدا كأنّه غابة باسقة من الأشجار البحريّة. ثمّة صورة فوتوغرافيّة رائعة تجمعني مع آنا على متن القارب بعد ذلك، وكل مِنّا يحيط الآخر بذراعه المحشور داخل بزة الغوص المبللة، ترتسم على وجهينا المتجمدين المبللين، ابتسامتان عريضتان. رحلنا إلى أنتاركتيكا في الأسبوع التالي، بعد أن أسرفت آنا في التسوّق على اعتبار أنّنا بذلك نوفّر كل المعدات اللازمة. وأمضت وقتًا إضافيًّا برفقة مداش كي تتأكّد أنّه سيحمل ثيابًا كافية ليبقى دافئًا؛ إذْ لم يسبق له قطّ أن زار بقعة تكفي برودتها لحياة البطاريق شريطيّة الذّقن أو الفقمات آكلات السلطعون.

صحت وأنا أضبط سترة الفراء والقلنسوة فوق رأسي: "إلى الدائرة القطبيّة الجنوبيّة، افسحوا الطريق!" فضحكت آنا.

سنطير إلى ليما في بيرو، ثمّ نبدّل الطائرة إلى بونتا أريناس في تشيلي، ومنها نستقل قاربًا يعبر بنا من جنوب أمريكا إلى المحطة العلمية القديمة في بورت لوكروي؛ محطّتنا الأولى. يقولون أنّ البحار في ممر دريك أحيانًا ما تهيج وتتقلّب. لكن في وجود شراع قوي، وعجلة توجيه متينة، وبوصلة صادقة، وساعة جديرة بالثقة، ستبحر سفينتنا جنوبًا، وتيمم نحو الدائرة القطبيّة الجنوبيّة والكثير من المغامرات.

آه، صحيح. ونحو جبل B15k أيضًا.


REMINGTON

عشيّة عيد الميلاد عام 1953

لم يُغلق فيرجيل بيول الدُّكّان إلا حين أوشك موعد العشاء وبدأ الثلج الخفيف في التساقط. كان الطّريق إلى المنزل زلقًا وتزداد ملاسته لذلك ساق فيرجيل سيارته البلايموث ببطء وسلاسة شديدين، بسبب ناقل الحركة التلقائي البورفليت. كانت السيّارة أعجوبة هندسيّة؛ بلا قابض ولا تغيير تروس. وكان انزلاق السيّارة أو انغرازها في الثلج يعني كارثة هذه الليلة؛ إذْ أخفى داخل صندوق البلايموث منذُ أسبوع كامل كل الأمنيات التي قال الطفلان إنّهما ينتظران من سانتا تحقيقها. كان من المفروض أن تكون تلك الهدايا أسفل الشّجرة في غضون ساعات قليلة، ونقلها من صندوق السيارة -إذا علقت في الجليد- إلى كابينة شاحنة السّحب يشوّه عشية عيد الميلاد على نحو مروّع.

استغرق الرجوع فترة أطول من المعتاد، لكنّ لم يكن طول الرحلة

هو ما أتعب فيرجيل، بل الزّكام. فسواء كانت السيّارة مزوّدة بناقل الحركة البورفليت أو غيره، كانت لعناته تنصبّ في أكثر الأحيان على مهندسي شركة بلايموث بسبب عجزهم عن بناء سيارة تضم مدفأة معقولة. أوقف السيارة ببطء أمام المنزل، وتراقصت أنوار المصابيح الأماميّة الصفراء فوق جدران الشّرفة الخلفيّة. تصاعد صوت احتكاك الإطارات الأخير فوق الدّرب المفروش بالحصى، وكانت أعراض الزّكام قد بدأت تؤلمه بعض الشيء. كان على فيرجيل أن يتأنّى أكثر كي لا ينزلق فوق الممشى الأمامي كعادته، ومع ذلك دلف إلى المنزل بأقصى ما يُمكن من سرعة لرجل عامل.

نظّف حذائه المطاط من الثلج، وعلّق ثيابه الثقيلة الدافئة، ولان جسد فيرجيل حين أحاطه الدفء الّذي يبثّه القبو من خلال قضبان الباب. كان قد بنى بنفسه فرنًا تجاوز حجمه الحجم المناسب بالنسبة لمنزل بسيط، إضافة إلى سخّان مياه عملاق عبارة عن وحدة تجاريّة لا ينفد منها السائل الفردوسي أبدًا، وفّرت للأطفال مياه المغطس الدافئة، وأباحت له الاغتسال أوقاتًا مديدة. استحقّت مثل هذه الرفاهيّة فواتير الوقود أثناء فصل الشتاء، إضافة إلى ثمن حَبْلي حطب.

ثمّة دفء يسري داخل الغرفة العائليّة، وكان قد علّم ديفي كيف يرصّ الحطب متبعًا نفس أسلوبه مع لعبة لينكولن لوجز؛ أي على هيئة مُربع يُحيط بالنار، لا على هيئة هرم. صار الطفل ينظر لإشعال النار باعتباره واجبه المقدّس؛ لذلك يغدو منزل بيول مع البشائر الأولى للصقيع في نوفمبر هو المنزل الأشد دفئًا في منطقته الواسعة.

أتى ديفي يركض من المطبخ هاتفًا: "بابا! خطتنا تنجح جِدًّا. وجيل تنطلي عليها الخدعة بكل تفاصيلها."

"أنباء عظيمة أيها الرجل الكبير!" أجاب فيرجيل وهو يُصافح ابنه بطريقتهما السريّة التي لا يعرفها شخص آخر في العالم سواهما. "قلت لها أنّنا سنكتب رسائل لسانتنا بعد العشاء، ثمّ نُجهِّز بعض الوجبات الخفيفة، تمامًا كما فعلت معي حين كنت صغيرًا." وكان ديفي سيبلغ الحادية عشرة في يناير القادم.

كانت جيل تُرتّب طاولة المطبخ، فاختصاصها هو ضبط فوط السفرة والفضيات، فهتفت ذات السنوات الست وهي ترصّ أخر ملعقة: "لقد عاد أبي للمنزل، مرحى مرحى!"

وصاحت ديلورس جوميز بيول: "حقًّا؟" كانت تقف أمام الموقد داخل المطبخ، أمّا الصغيرة كوني فكانت تستند إلى مرفق أمّها وتمتطي وركها. طبع فيرجيل قبلة على وجه كل واحدة من حبيباته الثلاث.

قالت ديل: "ها هو قد عاد!" وطبعت على وجهه قبلة أخرى، ثمّ ملأت طبقًا كبيرًا ببطاطس وبصل مقليين ووضعته فوق الطاولة، وأحضر ديفي لأبيه علبة بيرة من البرّاد الكلفينيتور الضّخم الجديد، ثمّ ثقب باستمتاع كبير الفتحتين المتقابلتين فوق العُلبة باستخدام فتّاحة عُلب. هذا التزام مقدّس آخر.

كان وقت العشاء مع أسرة بيول يستحق الفُرجة. إذْ لا يستقر ديفي فوق كرسيه كعادة الصبي مع كل وجبة، وتتلوّى كوني في حجر أمّها، إمّا ترضى بملعقة تديرها داخل فمها أو تنطلق تدق الطاولة. أمّا ديل فكانت تُطعم الطفلين وتمسح ما يقع منهما وتضع بعضًا من البطاطس المهروسة في فم كوني، أو تتناول شيئًا من الطعام بين الحين والآخر. كان فيرجيل يتناول طعامه ببطء دون أن يأكل من نفس الصنف مرتين، بل يطعن الطبق بشوكته من كل اتجاه مستمتعًا بالمسرح

الّذي تقدّمه أسرته.

كان ديفي يشرح لجيل الحقائق المُحيطة بزائر المساء المُنتظر: "أقول لك أنّ سانتا يحتاج ثلاث كعكات. وهو لا ينهي أبدًا كوبًا كاملًا من الحليب؛ إذْ لديه مهام كثيرة عليه عملها. أليس كذلك يا أبي؟"

"هذا ما أسمعه." وغمز فيرجيل لابنه الّذي حاول أن يغمز لأبيه هو الآخر، لكنه قَطَبَ جانبًا من وجهه كي يُغمض عين واحدة فقط بالقوّة.

"على أي حال، الجميع يتركون له نفس الوجبة الخفيفة."

سألته جيل: "الجميع؟"

"الجميع."

"لا أعرف متى يصل. متى يأتي"

"لن يأتي أبدًا ما دمت لا تأكلين." نقرت ديل طبق جيل بشوكتها وفصلت بعض البطاطس عن اللحم، ثم أردفت: "تناول الطعام يُعجِّل بمجيء سانتا."

لكن جيل عادت تسأل: "فور أن ننام جميعًا؟ ينبغي أن نكون نائمين، أليس كذلك؟"

"قد يأتي في أي وقت بين ميعاد النوم ووقت الاستيقاظ." كانت لدى ديفي ردود على كافّة تساؤلات شقيقته. كان قد فهم الاتفاق مع سانتا خلال الصيف، ومنذ ذلك الحين انتدب نفسه لمهمة تثبيت إيمان أخته الصغيرة بسانتا.

"هذه فترة تمتد لساعات، وإن بقي حليبه مُدّة طويلة، لا ريب أنّه سيفسد."

"يستطيع تبريده بلمسة واحدة! ما أن يضع أصبعه في كوب حليب

دافئ ويتلو تعويذة حتّى يتحوّل فجأة إلى حليب بارد."
كانت حقيقة مذهلة بالنسبة لجيل، فصاحت: "لا ريب أنّه يشرب حليبًا كثيرًا."
قام فيرجيل والطفلين إلى المطبخ لغسيل الأطباق بعد العشاء، ووقفت جيل فوق كرسي أمام الحوض تجفف الأشواك والملاعق الواحدة بعد الأخرى. وصعدت ديل إلى الطابق العلوي كي تضع الطفلة في فراشها وتغفو إغفاءة قصيرة يحتاجها جسدها كثيرًا. فتح ديفي علبة أبيه الأخيرة من البيرة هذه الليلة، ووضعها فوق طاولة الهاتف إلى جوار ما كان يُسمّى في الماضي كرسي بابا في الحجرة الأماميّة، بجانب المدفأة. جلس فيرجيل يرتشف البيرة، واضطجع ديفي وجيل أمام الفونوغراف وأدارا أغاني عيد الميلاد. كانت أضواء الغرفة مطفأة، فألقت الشجرة بظلال ملوّنة ساحرة على الجدران، وتسللت جيل إلى حجر أبيها في حين راح شقيقها يكرر تشغيل أغنية رودولف: الغزال صاحب الأنف الأحمر، مرّة تلو الأخرى حتّى حفظا الكلمات وشرعا في إضافة كلمات أخرى من تأليفهما.
كانت له أنف شديدة اللمعان.
"تُشبهُ مصباحًا."
كانوا يضحكون ويطلقون عليه أسماءً.
"مرحبًا يا صاحب الأنف المعقود."
وصاحا حين بلغا السطر الّذي يتحدّث عن البحث في التاريخ: "وعلم الحساب!"
هبطت ديل إلى الطابق السفلي تضحك وتقول: "تُرى ماذا تفعلان أيها الشقيان بترنيمة الميلاد «جوي تو ذا وورلد»؟" وارتشفت بعضًا

من بيرة فيرجيل قبل أن تجلس في ركنها فوق الأريكة، وتدق سيجارة أخرجتها من عُلبة جلديّة في أبزيمها المعدني، ثم تشعلها بعود ثقاب من منفضة السجائر الموجودة إلى جانب الهاتف.

قال فيرجيل: "حرّك الجمر قليلًا يا ديفي؟"

فمدّت جيل عنقها وصاحت: "اسمح لي بتحريك الجمر!"

"من بعدي. ولا تقلقي؛ فحذاء سانتا مقاوم للنار."

"أعرف. أعرف."

أخذت جيل دورها في طعن النار، ثمّ أرسلت ديل الطفلين إلى الطابق العلوي كي يلبسا بيجامة النوم.

أنهى فيرجيل البيرة، ثمّ قام إلى خزانة الردهة كي يسحب آلته الكاتبة الخفيفة الريمنجتون. كانت ديلورس قد اشترت الماكينة جديدة لأجل فيرجيل أثناء وجوده في مستشفى الجيش باللونج آيلاند في نيويورك، وطبع بها رسائل لها بيده السليمة إلى أن علّمه المعالجون كيف يستخدم ما سمّاه الكتابة بخمسة أصابع ونصف.

أخرج ماكينة الكتابة من صندوقها فوق طاولة القهوة المنخفضة، وأدخل ورقتين؛ ورقة فوق الأخرى- ورقتان دائمًا كي لا يُتلف قرص الطابعة.

"اتركا رسائلكما لسانت نيك أو فاذر كريسماس، أو أيّما كان اسمه." خاطب طفليه اللذين عادا إلى الطابق السفلي تفوح منهما رائحة معجون الأسنان والثياب الداخلية النظيفة.

كتبت جيل رسالتها أولًا، نقرة واحدة في كل مرّة، حرف تلو حرف، ومفتاح تلو مفتاح.

عزيزي سانتا كلاز شكرًا لعدوتك مرّة أخرى وشكرًا للعبة

طقم المربيّة ودمية هاني ووكر أرجو أن تهبني الهديتين عيد
ميلاد مجيد أحبّك جيل بيول

أصرّ ديفي على الحصول على ورقة منفصلة لكتابة رسالته، وقال لجيل إنّه لا يريد أن يُريك سانتا. هكذا أدخلت ورقتين في الآلة الكاتبة واستغرقه البقاء على السطر عدّة محاولات.

12/24/53
عزيزي سانتا كلوز. أختي تُصدِّق أنّك موجود وكذلك. أنا. مع ذلك. أنت تعرف ما أريده عيد الميلاد هذا وصدّقني أنت لم تُخيّب رجائي قطّ...! ستجد هُنا بعض الحليب البارد بالطبع وكعكات نسميها كوكيز. عليك أن تُحضر في السنة القادمة هدايا لأختنا الصغيرة كوني لأنها آنئذ ستغدو كبيرة بما يكفي اتفقنا؟؟؟؟ لو سخن الحيلب برّده بإصبعك.
ديفيد أموس بيول

ترك ديفي رسالته تتدلّى من عربة الآلة الكاتبة، وثبّت الماكينة قبالة المدفأة كي يطمئن أنّ سانتا سيراها.
قال فيرجيل: "عليكم ترتيب هداياكم في أكوام أسفل الشجرة، كي تغدو الأمور يسيرة في الصباح." كانت عادة سانتا هي أن يترك الهدايا المرغوبة التي كان مسؤولًا عن فضّ أغلفتها صباح يوم عيد الميلاد، جاهزة كي يلعب بها الأطفال على الفور، هكذا يتمكّن فيرجيل وديل من تناول قهوتهما الصباحيّة. أمّا هدايا العائلة؛ من العمّ جوس

والخالة إثيل؛ ومن العمّ أندرو والخالة ماري؛ ومن جوجي وبوب؛ ومن نانا وليو؛ ومن أقصى الأطراف مثل أوربانا في إلينوي، إلى أدنى بقعة مثل هولتس بيند، فكانت تتجمّع أسفل الشجرة ملفوفة في أوراق ملوّنة منذُ أيام، ويزداد عددها مع كل طرد يصل إلى مكتب بريد القرية.

اصطفّت كومتان من الهدايا يحمل كل منها اسم ديفي وجيل، فأدخل الطفلان الأسطوانات الموسيقيّة في أغلفتها وأعاداها فوق الرّف. وطلبت ديل من جيل أن تضبط مؤشّر المذياع الضّخم على محطّة الكريسماس إيف بروجرامز؛ التي تبث أغانٍ تليق بالمناسبة، لا أغانٍ عن غزالة بأنف حمراء.

خبزت ديل الكعك في الثالث والعشرين من ديسمبر، وأخرجتها جيل من البرّاد الكلفينيتور ثمّ رصّته فوق طبق، وصبّ ديفي الحليب في كوب عال، ثمّ حملا الوجبات الخفيفة إلى طاولة القهوة إلى جوار آلة الريمنجتون. كانت لعبة الانتظار تبدأ من هذه اللحظة. أضاف ديفي قطعة خشبٍ أخرى إلى المدفأة، وتسللت جيل من جديد إلى حضن أبيها، وانسابت ترانيم عيد الميلاد من الراديو تحتفي بالعقلاء والليالي المقدّسة وميلاد المسيح.

لم يمض وقت طويل حتّى حمل فيرجيل ابنته النائمة إلى الفراش، ودسّها أسفل الأغطية تغمره الدّهشة من نعومة عينيّ البنت الصغيرة المغمضتين، وشفتيها اللتان كانتا نموذجًا مصغّرًا من شفتي ديل. وجلس ديفي فوق الأريكة في الغرفة الأماميّة متكئًا قبالة أمّه التي كانت تعبث في شعرها بأصابعها، وهمس: "لقد انطلت عليها الحيلة تمامًا."

فأجابت ديل: "لكم أنت أخٌ أكبر رائع!"
كان ديفي يتأمّل النّار حين قال: "آه، يستطيع أي شخص أن يفعل ذلك. فحين سألتني جيل إن كان لسانتا وجود حقًّا، وكأنّها كانت تخشى أن تسألك وأرادت أن يظل سرًّا بيننا، لم أدر بما أجيبها."
"وكيف تصرّفت يا حبيبي؟"
"جاءتني فكرة، وهي أن تكون لديّ إجابة على كل استفسار لديها. كيف يوزِّع الهدايا على كل البيوت؟ ينطلق كلمحٍ بالبصر، كما أنّ البيوت قليلة على أي حال. وكيف يتصرّف مع البيوت التي تخلو من مدخنة؟ يستخدم التنور أو الفرن."
فهمست ديل إلى ابنها وهي ترفع خصلة شعر بعيدًا عن بشرة جبينه النّاعمة: "ويلمس الحليب كي يجعله باردًا. فكرة ذكيّة جدًّا، وخاطفة أيضًا."
"كانت فكرة سهلة؛ فسانتا ساحر."
"سينبغي عليك تكرار ما فعلت مع كوني قريبًا."
"بالطبع؛ فهذه مهمّتي الآن."
عاد فيرجيل إلى كرسيه في الطابق السفلي، وكان بينج كروسبي يتغنّى بترنيمة باللغة اللاتينيّة.
وسأله ديفي بدافع الفضول: "كيف يعمل المذياع يا بابا؟"

دلف ديفي إلى الفراش بعد العاشرة بربع ساعة وهو يهتف أنّ هذه ربّما تكون أفضل عشية عيد ميلاد مرّت عليه طوال حياته.
وسألت ديلورس: "هل أصنع بعض القهوة؟"
أجاب فيرجيل: "لا بأس." تبعها إلى المطبخ ومنعها من مدّ يدها إلى

علبة القهوة، ثمّ أحاطها بذراعيه وقبّلها. بادلته قبلة بقبلة، وكلاهما يشعر أنّ قبلة كهذه هي أحد أسباب بقائهما زوجين. استمرّت القبلة أطول مما توقّعا فابتسما. أعدت ديل القهوة ووقف فيرجيل بالقرب منها أمام الموقد.

قالت ديلورس: "علينا أن نحاول حضور قدّاس منتصف الليل في العام القادم؛ ذلك أنّنا نربّي أطفالًا بلا إيمان."

ضحك فيرجيل: "ديفي فقط." وكان ديفي قد ولد بعد سبعة أشهر من يوم زفافهما.

"قداس منتصف الليل رائع جدًّا."

"وساعتئذ يضطر الأطفال للسهر طوال ليلة الكريسماس؟ وأقود السيارة كل الطريق المؤدّي إلى كنيسة سانت ماري؟ وما بالك لو كُنّا في ليلة كهذه ينهمر فيها الثلج؟"

"هكذا يفعل آل مكلهيني."

"روث مكلهيني امرأة غريبة الأطوار مثل علبة مكسرات. وإذْ لا يجرؤ على معارضتها."

"مع ذلك، ثمّة شموع وموسيقى. المشهد رائع." كانت ديل تعلم أنّهم في غضون السنوات القادمة سيحضرون قدّاس منتصف الليل، لا لأنّه لا يجرؤ على معارضتها، بل لأنّه كان يُحبّ أن يُلبّي لها كل ما تريده. أمّا بالنسبة لعيد الميلاد هذا، فما من شيء سوى يده فوق يدها داخل المطبخ الدافئ الهادئ بالمنزل المُحاط بالجليد، وكل منهما يجلس حاملًا قهوته.

ارتدى فيرجيل الحذاء المطّاط مرّة أخرى، وتلفّع بالمعطف الثقيل ثمّ وارب الباب قليلًا بما يكفي لمروره. كان الجليد قد تجمّع بارتفاع حوالي

ثلاث بوصات، فاتّجه حاسر الرأس إلى صندوق السيارة البلايموث كي يسترد هبة سانتا. لم يشأ أن يُخاطر فيسقط فوق المشى المتجمّد، فنقل الهدايا على مرّتين ثمّ أوصد الصندوق، وتوقّف برهة كي يتأمّل مليًّا الدقائق الأخيرة من عشية عيد ميلاد 1953 . كانت ليلة باردة، ما من شكّ، لكن فيرجيل كان يعاني برودة أشدّ.

كان يخطو بحذر، يُعاني قسوة ألم شرير يعصف بأسفل قدمه اليُسرى. لذلك عبر مسافة الخطوات الخمس التي تفصله عن الباب الأمامي، خطوة خطوة.

وضعت ديل لعبة طقم المربيّة بين هدايا جيل. كانت دمية الهاني ووكر؛ الدمية التي تمشي "مثل بنت صغيرة من لحم ودمّ"، تحتاج إلى بطاريات. وسانتا كانت لديه بطاريات. سيعثر ديفي قبلها بوقت طويل على لُعبة منصّة إطلاق صواريخ الفضاء بأبراجها وجنودها وقاذفاتها التي؛ وكان فيرجيل قد شارك في تجميعها يومًا، تُطلق السفن الفضائيّة إلى الفراغ في الحقيقة. أمّا كوني ستفرح بلحاف لعبة صغير وبيوت اشتراها من النورث بول. صفّت ديل كل لُعبة في مكانها وجرّبت دمية الهاني ووكر لفّة كاملة، ثمّ جلست بالقرب من فيرجيل فوق الأريكة وتبادلا مزيدًا من القبلات.

ظلّا جالسين فترة، يشبكان ذراعيهما، مطمئنين هادئين، بعدها نظرت ديل إلى النار وقامت وهي تعترف: "أنا مُتعبة جِدًّا."

وأردفت: "حاول الرّد عند أول جرس. وأبلغه محبّتي."

قال فيرجيل: "سأفعل." ثم نظر إلى ساعته. كانت تقترب من الحادية عشرة والنصف. بعد منتصف الليل بسبع دقائق بدد رنين الهاتف الحاد السكون المُخيّم، فالتقط فيرجيل السمّاعة قبل أن يُفسح

الجرس الأول مجالًا للجرس الثاني، كرغبة ديل.

قال: "عيد ميلاد مجيد."

قالت موظّفة الهاتف على الطرف الآخر: "هذه مكالمة خارجية للسيدة فرجينيا بيول من أموس بولنج."

"أقبلها. شكرًا لك يا سيدتي." أخطأت الموظّفة، كعادتهن دائمًا، في الاسم.

قالت الموظّفة وهي تخرج من الخطّ: "مُحدّثك على الطرف الآخر يا سيدي."

قال المتصل: "شكرًا يا عزيزتي. عيد ميلاد مجيد يا فيرجين."

ابتسم فيرجيل عند سماع اللقب؛ إذْ بسبب أموس بولنج كانت الوحدة العسكريّة كلّها تناديه باسم فيرجين. "أين أنت يا باد؟"

"سان دييجو. كنت على الجانب الآخر من الحدود ليلة أمس."

"لم تقل."

"سأقول لك شيئًا عن المكسيك يا فيرجين. المكسيك أرض تملؤها الحانات والمواخير، وهي جذّابة ودافئة أيضًا. تُرى كم يبلغ ارتفاع الجليد هناك في حي دوجباتش؟"

"شهدنا ما هو أسوأ. لكنّي أجلس أمام مدفأة لطيفة، لذلك ما من شكايا."

"وهل لا تزال ديلورس تثقل كاهلك؟"

"تبلغك محبتها."

"أنت رجل حسن الحظّ، وهذه المرأة كانت تستحق من هو أفضل."

"أعرف. لكن أخفي عنها الحقيقة."

قهقها معًا. لا يكفّ أموس «باد» بولنج عن تكرار مزحة أنّه منذ سحب

فيرجيل «العذراء» بيول، ديلورس جوميز من السوق، لم يعد هناك ما يدعو للزواج. مضى وقت؛ منذ ما يزيد على الثلاثة عشر عامًا، كان من الممكن فيه أن ينتزع أحد أفراد الوحدة العسكرية ديلورس. ربّما كان إرني أو كلايد أو بوب كلاي أو حتّى واحد من الأخوين جوني بوي، ليحاول الظفر بها لولا أن قابلها فيرجيل أولًا. ازدحم حفلٌ راقص في مركز الصليب الأحمر بالجنود والبحّارة والطيّارين، لذلك ضاق صدر فيرجيل وابتعد عن الحشد دقائق قليلة. خرج يُدخِّن وألفى نفسه يُشعل سيجارة لفتاة بُنيّة العينين اسمها ديلورس جوميز. هكذا مع انتهاء الصباح التالي كانا قد رقصا وضحكا وتناولا طبقًا كبيرًا من الكعك والكثير من القهوة، والقُبلات. وتبدّلت حياتان إلى الأبد.

خلال السنوات اللاحقة لم يتزوّج باد، وكان فيرجيل يعرف أنّه لن يتزوّج. وليس لعدم زواجه من ديلورس أي علاقة بهذا الامتناع؛ إذْ كان فيرجيل قد اكتشف منذ سنوات أنّ باد واحد من أولئك الرجال، مثل شقيق أبيه الأصغر؛ العمّ راسل. كان فيرجيل نادرًا ما يرى عمه، وأخر مرّة رآه فيها كان خلال نهار جنازة جده لأمّه الطويل. يومها ساق العمّ راسل السيارة من مدينة نيويورك برفقة صديق اسمه كارل كان يُنادي راسل باسم «راستي»، وبعد مراسم الدّفن وعشاء لم الشّمل في المنزل الّذي انتهى بتناول القهوة والفطائر، انطلق كارل وراستي بالسيارة عائدين إلى نيويورك ليلًا، دون أن يخلعا ثياب الجنازة. يتذكّر فيرجيل أنّ أبيه همس لاحقًا عن شقيقه الأصغر أنّ: "النساء لسن نقطة ضعفه ولا شغفه." في الحقيقة، لدى باد بولنج الكثير من نقاط الضعف والقليل مما يشغف به لكن، تمامًا مثل العمّ راسل،

النساء لسن واحدة منها. "كيف حالك إذن يا باد؟" استطرد فيرجيل.
أجاب باد: "كما هو، كما هو. جئت هُنا منذُ ثلاثة أشهر قادمًا من بلدة إلى الشمال مِنّا بالقرب من ساكرامنتو. عاصمة الولاية كما تعرف. اشتريت سيارة بويك مستعملة وسافرت بها. بلدة لطيفة بالقرب من الأسطول الأمريكي. سيقول لك كل سائقي الأجرة فيها أنّهم كانوا في بيرل هاربر."

"وهل تعمل؟"

"لا أعمل إلا إن اضطرني أحد."

"أعرف أنّي أكرر هذا الحديث كل عام، لكن: لديّ غُرفة لك في الدّكان. في الواقع سأستفيد من وجودك كما كان الحال من قبل."

"هل أنت بخير؟"

"لديّ الكثير من طلبات الشراء يا باد تجعلني أعمل ستة أيام في الأسبوع."

"هذا هو الجحيم بعينه."

"أتكلّم بجدية يا باد. تعال اعمل معي، وستنعم بالاستقرار."

"أنا بالفعل أنعم بالاستقرار."

"سأدفع لك أكثر مما تستحق."

"أنا لا أستحقُّ سنتًا واحدًا وأنت تعرف ذلك."

ضحك فيرجيل واستطرد: "تعال إذن كي تزورنا. ليكن خلال الصيف. تعال في تلك البويك وسنخرج للصيد."

"دائمًا ما تضخمون أيها الريفيون من شأن الصيد."

"بل لا أريد إلا أن أراك يا باد. سيطير ديفي الصغير من الفرح إذا رآك."

"ربّما في العام القادم."

"لا تفتأ تكرر هذا الوعد كل عيد ميلاد. تعال إلينا يا باد. سنحضر قداس منتصف الليل، وسنصلي لأجل الرفاق."

"لقد تلوت بالفعل كل صلواتي لكل الرفاق الذين كنت سأصلي لأجلهم يومًا."

"يا للأسف! السنة القادمة ستكون قد مرّت عشر سنوات."

قال باد وهو يودِّع طقطقة المكالمة الخارجيّة: "عشر سنوات؟ عشر سنوات بالنسبة لمن؟ وعلى أي شيء؟"

فأحسّ فيرجيل بالغباء.

قُتل بوب كلاي في نورماندي، في نفس اليوم الّذي نزف فيه جُرح إرني بفخذه الأيمن حتّى فارق الحياة. لم ينتبه واحد منهم للقطع الّذي أصاب شريانه لأنّ بركة الدم الموجودة أسفل إرني لم تتسع قطّ؛ بل كانت الأرض الرطبة تمتصّها أولًا بأول. كذلك لم ير واحدًا منهم القطع؛ فاهتمامهم كان منصبًا على الجنود الألمان الّذين يسعون إلى قتلهم مُستترين وراء سياج سميك داخل الغابات الفرنسيّة. أجبرتهم طلقات الهاون التي يُسقطها عليهم من كل حدب وصوب عدو غير منظور على الارتماء فوق الأرض ساعة تقريبًا. وكان باد وفيرجيل ضمن فصيلتين أرسلهما الجيش للتسلل عبر الغابة في مهمّة مستحيلة لولا غطاء القنابل. فأحاطوا بموقع العدو وقتلوا كل من فيه، لكن نظير ثمن باهظ. إذْ شقّ مدفع رشّاش ألماني قائد فصيلة باد؛ العريف إميري، نصفين حرفيًا، وفشل فيرجيل في عمل الإسعافات الأوليّة للرقيب كاسل الّذي تلقّى صدره ثلاث رشقات من الرصاص كسرت عموده الفقري. أمّا جرح رأس بورك فبلغ حالة مزرية، وفقد شاب

اسمه كوركوران ذراعًا فارق كتفه كاملًا ونُقل إلى مركز الإسعاف. ولم يعرف أحد ما إن كان قد نجا أم لا.

بعد أسبوع اختفى جوني بوي وانهار جوني بوي الآخر، ثمّ توالت خسارة جنود الوحدة بين قتيل وجريح. على مدى ثمانية وخمسين يومًا؛ منذُ السابع من يونيو وحتّى أوائل أغسطس، كانت الوحدة إمّا تُقاتل أو تتحرّك إلى مناطق القتال. رُقّي باد إلى عريف، وبدأت أسنان فيرجيل تتعفّن بسبب الاعتماد على المعلبات كطعام وحيد.

في اليوم التاسع والخمسين استراحت الوحدة داخل معسكّر في فرنسا، حيثُ وجدوا أسرّة وأغطية وماء دافئ إلى حدٍّ ما وطعام ساخن وكل كميات القهوة التي يستطيع جندي في الجيش الأمريكي أن يهضمها. بعدئذ أقاموا دار سينما داخل خيمة كبيرة عرضوا بها أفلامًا، وانتقل كلايد إلى الاستخبارات بسبب إتقانه اللغة الفرنسيّة. كانت سائر الطائرات التي تحلّق في السماء إمّا تتبع سلاح الجو الملكي البريطاني أو القوات الجويّة الأمريكيّة، وكانت الأنباء المنتشرة هي عن هروب الألمان وأنّ أسوأ ما في الحرب قد مضى وأنّهم سيعودون إلى الديار بحلول عيد الميلاد. وجاء جنود جُدد من قوات الاحتياط وكان من الضروري تمرينهم وتدريبهم. كان باد قاسيًا معهم ولم يشأ فيرجيل أن يعرف اسم أي أحدٍ فيهم.

حصلت الوحدة في منتصف سبتمبر على زي وسلاح جديدين، ثمّ ملأوا بهم شاحنات نقلتهم للقتال في هولندا. اصطدمت أربع شاحنات منهم ببعضها بسبب العتمة، فقُتل خمسة جنود وأصيب ثلاثة بجروح خطيرة منعتهم من القتال. لكنّهم أصلحوا الشاحنات وانطلقوا عند طلوع النهار. بعدها بثلاثة أيام باغت هجوم ألماني

الوحدة قبل الفجر مباشرة. وأدّى نسف مقر القيادة إلى معركة عمّتها الفوضى والارتباك من جانبهم، ما اضطر فيرجيل وباد إلى قتال العدو بالأيدي. وكانت ثلاثة دبابات كروميل بريطانية موجودة بالقرب منهم بمحض الصدفة فتقدّمت وصدّت تقدّم الألمان. لقي الكثير من الجنود الجدد مصرعهم خلال معركتهم الأولى، ووقع الكثير من الأمور غير المعقولة بالمرّة.

كان فيرجيل قد فقد إحساسه بالزمن قبل أن يجد نفسه في فرنسا، وهناك نام هو وباد أيامًا طوالًا. كانا يتجولان بالقرب من كاتدرائيات عتيقة ضخمة، ويلعبان كرة القدم. وجاء نجوم سينما وعرضوا أفلامًا. وكان ثمّة ماخور اسمه ماخور مدام صوفيا في مكان غير بعيد عن الثكنات. لكن في حين ظفر الكثير من الضبّاط بإجازة لمدة ثلاثة أيام في باريس، دأب باد وفيرجيل والمتطوعون الآخرون على تدريب وتمرين المزيد من الجنود الجدد، حتّى أثناء نزول الأمطار. كانوا يعرضوا فيلمًا مختلفًا كل ليلة. ثمّ جاء أبرد ديسمبر في التاريخ، واجتاح الألمان بلجيكا. عبأوا الوحدة داخل شاحنات انطلقت بتصميم أكيد في قلب الظلام، وأنزلوهم في طريق ما بين باريس وبرلين. وامتن فيرجيل لسخاء سائق ملوّن أعطاه علبة سجائر لاكي سترايك ودعا الله له أن يرعاه.

عبرت الوحدة طرقًا وحقولًا يغطيها الجليد ودروبًا غطّاها الثلج، يجرجرون الذخيرة والمؤن لهم وللآخرين الّذين كانوا في الطليعة مشتبكين في قتال رآه فيرجيل من بعيد كأنّه ألعاب عيد الاستقلال الناريّة. قاتلوا إلى جانب المظليين الّذين تكبّدوا خسائر فادحة، بعد أن تقدّموا في استعراض للسلاح بقصد إقناع الألمان أنّ فرقة بأكملها

كانت مستعدة لقتالهم. نجحت الحيلة، لكن الموت حصد أرواحًا. كابدت الوحدة نيران المدفعيّة في الغابات البلجيكيّة وانفجرت وتبخّرت أجساد بعض الجنود. بعدئذ أُرسل فيرجيل وباد والوحدة للزحف في مسار آخر عبر بلدة باسطون. وهناك مرّوا بكومة من جثث جنود مُرتّبة بعناية أمام كنيسة أكلتها النيران، ودبابات معطّلة ملقاة مجنزراتها، وبقرتان تأكلان قشًّا خزّنه مزارع. بدا المزارع والبقرتان كالغافل عن وجود الألمان الّذين كانوا يسعون إلى إعادة احتلال ميناء أنتويرب والسيطرة التّامّة. وصل البرد إلى عظامهم وبات محتومًا، بل قتل بعض جنود الوحدة. صار النوم نادرًا جِدًّا وأصيب البعض منهم بالجنون فأصبح من الضروري إعادتهم إلى باسطون. كان يأملون في أن يستطيعوا حشد أنفسهم كي يعودوا إلى البرد القارس والقتال.

حمل فتى جديد؛ فلان الفلاني الصغير، السّاعة. وكان فيرجيل داخل حُفرة مسقوفة بالأغصان، يتمدد فوق إبر الصنوبر التي اصطفّت فوق الأرضيّة، ملفوفًا في بطانية من بطانيات الجيش. كان النوم مزحة. وكانت قد تبقّت لديه بعض حلوى الفاكهة داخل عُلبة، ففرقع اثنتين في فمه وتبّقت واحدة. نهض من فوق أرضيّة الحُفرة المتجمّدة وناول المُربع الأخير من الحلوى الصلبة للفتى الجديد.

همس فيرجيل: "عيد ميلاد مجيد."

"شكرًا يا فيرجين."

"إياك أن تناديني بفيرجين أيُها الصبي الصغير، وإلا حطّمت عظامك."

"أليس اسمك هو فيرجين؟"

"ليس بالنسبة للمستجدين."

كانت الحُفرة أقصى يسار تلك الغابة. أشرفت عليها شجرتان من فوق الحافّة، وكشف ضوء النهار عن حقل قاحل لفلاح بلجيكي وخلفه مباشرة مجموعة بيوت تحاذي طريق ضيق يتجه إلى الشمال الشرقي. ما من شيء في الليل إلا الفراغ. وكان الجنود الألمان يتوارون في بقعة ما هناك. أمّا باقي الوحدة فكانوا شاردي الأذهان داخل الحُفر والملاجئ التي أقاموها يمين الغابة. كان هذا هو خطّ الدفاع الرئيس من الناحية النظرية، لكن الواقع أنّ فكرة إنشاء خطّ دفاع رئيس كانت مثيرة للسخرية في حدّ ذاتها، مثل فكرة النوم. كان الخطّ هزيلًا جدًّا وما من مركز تصنّت أمام الغابة، بل بعض الدروع الثقيلة في الخلف، ومدافع كبيرة لم يتبق لها إلا قذائف قليلة. وفي غياب المطبخ غاب الطعام الساخن في المنطقة بأسرها.

كانت هذه سابع حفرة يصنعها فيرجيل في الأرض المتجمّدة ويغطّيها بأغصان الأشجار منذُ زحفوا عبر باسطون. لم يكن فيرجيل يرغب في حفر المزيد، لكن الانتقال إلى موقع آخر كان يعني حمل السلاح والمعدات على أكتافهم مسافات لا أحد يعلم كم كانت، وصنع حُفر أخرى وبناء ملاذات جديدة، والكدّ إلى أن ينضح عرق سرعان ما يتجمّد فوق ظهور الجنود بسبب الشتاء شديد البرودة. أسفرت لَسْعَة الصّقيع عن نفوق عدد هائل من الجنود فاق قتلى نيران العدو، وكان بعض الجنود المتجمدين قد تمكّنوا من الإفلات قبل الحصار؛ أولئك الّذين لم يخسروا بعد أصابع أرجلهم وأيديهم، أو أقدامهم وأيديهم نفسها.

لم يشأ فيرجيل أن يكون واحدًا من أولئك الجنود، فكان يحمل جوربيه الإضافيين مربوطين معًا ويلفهما حول عنقه أسفل السترة

العسكريّة كي يتدليا بين إبطيه. هكذا تجفف حرارة جسده؛ أو ما تبقى منها، الجوربين. كان يرجو أن يتمكّن دائمًا من استبقاء الجوربين شبه جافين كي يتحاشى لسعة الصقيع، كرجائه أن يأتي هتلر عبر الحقل رافعًا منديلًا أبيض كي يستسلم بشخصه للجندي أول فيرجيل بيول، ليتم بعدها إنزال ريتا هيوارث لتقديم خدماتها الجنسيّة.

همس الفتى الشّاب: "لا ريب أستطيع تناول بعض القهوة."

فهمس فيرجيل بدوره: "أتعرف، سأشعل نارًا تكفي لتحضير قدحي قهوة، ولديّ عجينة كعك سنخبزها للفصيلة كلها كي تغلق فمك أيها السّافل."

ارتفعت همسات صارمة من العتمة التي تُخيّم على يسار الحفرة: "فراشة. فراشة!" هذه كلمة المرور اليوم.

فهمس فيرجيل: "مكوين!"

بعد لحظات، وثب الرقيب باد بولنج داخل الملاذ أعزلًا من السلاح. كان يحاول النوم طوال ساعات النهار متواريًا داخل حفرته، لكن حين يُخيّم الظلام كان يطوف بجبهة القتال في صمت، وحيًدا، ثم يعود مع طلوع النهار كي ينقل كل ما رآه لمركز القيادة، قبل أن يتوارى من جديد داخل الحفرة المعتمة.

"خمسة وعشرون ألمانيًا. من أنت؟" كان باد يقصد الفتى الجديد. لكن قبل أن ينطق الشّاب باسمه قال باد: "لا عليك" ثم أصدر أمرًا آخر: "أعطني بندقيتك واذهب إلى مركز القيادة لتخبرهم أنّ طليعة ألمانية ستهاجم من الناحية اليُسرى."

اتّسعت عينا الفتى الصغير الّذي لم يخض قتالًا حتّى اللحظة، وشقّ طريقه بصعوبة خارج الحفرة. كرر باد: "طليعة ألمانية على يسارنا."

وكان الفتى قد غاب، فجهّز باد البندقية الإم1- وحشا سترته بذخيرة احتياطيّة.

نصب فيرجيل مدفعه الرشّاش فوق حامل ثلاثي وصوّبه في اتجاه الغرب. "كنتُ أمامهم مباشرة يا فيرجين."

"هل رأوك؟"

"لم يرني وغد منهم مطلقًا." تهامس الرجلان بثقة الجنود المحنّكين؛ وهذه حالهما، لا كما يتهامس شابان في الثانية والعشرين؛ وهي حالهما أيضًا.

كسر وقع قدم جاءت من العتمة، الجليد الصلب.

همس باد: "أمطرهم بالرصاص."

سحب الجندي أول فيرجيل بيول زناد مدفعه الرشّاش، وأمطر طابورًا من جنود العدو على مسافة أقل من ثلاثة ياردات بالرصاص. التقط الجنود الأمريكيون الآخرون أسلحتهم، وأضاءت الانعكاسات الخاطفة لفوهة بندقيّة مصقولة وكشّاف النور الأحمر الأجساد وجذوع الأشجار. ثمّ أنارت فورة قتال الغابة، وتحوّل خطّ الدفاع الهزيل إلى جدار حصين. وأبصر فيرجيل في لقطة خاطفة شديدة الوضوح؛ كتلك التي تلتقطها كاميرا مُحترف في مباراة ملاكمة، خوذة جندي ألماني تفرقع وتصير غيمة من ضباب دامي وأشلاء لزجة مما كان منذُ لحظات رأس رجل. ورفع باد رأسه قليلًا بما يكفي لتصويب بندقيته وضغط زنادها بكل قوّته على القوة الغازية؛ اندفعت منها ثماني رشقات متتابعة وزّعها بإحكام هندسي إلى أن فرغت خزنة البندقية من الذخيرة. لكن باد أعاد حشو البندقية على نحو غريزي، ونهض مرّة أخرى حين اندفع جسد عبر السقف المصنوع من أغصان الصنوبر ليستقر داخل الملاذ.

كان الألماني يُطلق الرصاص كما أحسّ باد، وأصاب فيرجيل في ركبته اليُسرى دون أن يشعر، ثمّ لسعت أصابع فيرجيل اليسرى طلقة رصاص أخرى كأنّها لسعة دبّور.

صاح باد: "تبًّا لك!"، وضرب فكّ الألماني بكعب البندقيّة الإم1-. ثمّ سحق وجه الألماني مرّة أخرى وهو يصيح: "أيها السّافل!". أطلق جندي طلقات استغاثة أضاءت الغابة بنور فجّ، ورأى باد أنّه هشّم أنف وفكّ الألماني الّذي تمدد هامدًا جامد العينين. فأدار البندقية وصوّب الفوهة نحو الزرّ الأوسط بسترة الجندي، ثمّ سدد رصاصتين من قرب وأنهى حياة الرجل وخاطب جثّته: "نقصتم واحدًا أيها السفلة."

كانت قوة الاحتياط من الشباب الأمريكي تتقدّم الآن، لكن قوات استطلاع العدو تحوّلت إلى خطأ قاتل أليم بالنسبة لهم؛ إذْ انطلقت القوة الجديدة تطارد الألمان المنسحبين، وتوقّف فيرجيل عن إطلاق الرصاص وترك سلاحه كي ينضم إلى المطاردة. آنئذ انتبه إلى إصابته، وكانت يده لزجة وأحسّ بخدر في ساقه.

صاح: "ساقي مشلولة!" حاول أن ينهض لكنّه انكفأ فوق الألماني الّذي فارق الحياة بوجه مهشّم. حاول أن يقف مرّة أخرى، لكن ساقه اليُسرى انثنت وسقط فوق ركبته، ولم يفهم فيرجيل ماذا أصابه. كان باد بولنج قريبًا وساعده لحسن الحظّ، لكن بدلًا من أن يساعده على النهوض على قدميه، قرفص باد وجرّ فيرجيل فوق كتفيه ثمّ رفعه بعيدًا عن الأرض.

هذا كل ما يتذكّره فيرجيل من عشية عيد ميلاد 1944. ذلك أنّه سقط فاقد الوعي في المسافة بين الحفرة ومركز إسعافات الكتيبة في المؤخّرة.

أحسّ فيرجيل بغباء لعين.

كانت السنة القادمة هي الذّكرى العاشرة بالنسبة له لأنّ الحرب انتهت بالنسبة للجندي أول بيول عشية عيد ميلاد 1944. استيقظ في مركز الإسعافات في بلدة باسطون بعد مجيء الدبابات الأمريكيّة وانهيار التقدّم الألماني. وبعد أيام قليلة استيقظ مرّة أخرى داخل مستشفى ميداني في فرنسا. وبعد أسابيع أصبح واحدًا من آلاف الجنود الجرحى في مستشفيات انجلترا. وحين استسلمت ألمانيا وانتهت الحرب في أوروبا، أحسّ فيرجيل أنّه سافل حسن الحظّ. بتروا ساقه اليسرى فوق الركبة إضافة إلى ثلاثة أصابع من اليد اليُسرى أيضًا، كان ملفوفًا داخل الكثير من الضمادات فبدا كأنّه يلبس قفّازًا مصنوعًا من الشّاش. لكنه لا يزال يتمتّع بإبهاميه، وساق سليمة، وعينيه، ورجولته. أحسّ فيرجين كأنّه ربح اليانصيب الأيرلندي لعام 1945 إذا قورن بالكثير من الجنود داخل تلك المستشفيات وعلى متن السفينة التي تبحر بهم إلى الوطن. كانت أمنيته الوحيدة هي أن يستعيد خاتم زفافه الّذي ضاع في بقعة ما داخل تلك الغابات البلجيكيّة.

مكث أموس «باد» في ألمانيا حتّى نهاية مُدة تجنيده، والتي كانت تعني فترة الحرب إضافة إلى ستة أشهر أخرى. هكذا، في الوقت الّذي كانت تُعالج فيه جروح فيرجيل والالتهابات القاتلة التي أصابتها، كان باد يُهاجم خطّ سيجفريد ويشق طريقه داخل ألمانيا النازية. ثمّ اخترق نهر الراين وجبال الألب، واندفع جنوبًا داخل جيوب دولة مُعادية لم تشهد أي علامات على الحرب التي احتدمت حولها طوال أربع سنوات ونصف.

لم يُصب باد قطّ، لكنه رأى كثيرين أصيبوا، وكثيرين قُتلوا. كان بدوره

قد قتل عددًا هائلًا من الرجال والشباب الألمان، وأنهى حياة جنود ألمان أرادوا الاستسلام والنجاة لكن بدلًا من ذلك وجدوا أنفسهم أمام عينيّ الرقيب باد بولنج القاسيتين. أعدم بنفسه ثمانية عشر ضابطًا ألمانيًّا، فرادى أو مثنى أو ثلاث في كل مرّة، بعيدًا عن الطرقات وتحت غطاء الأشجار، وراء جدران منزل ريفي أو في العراء بالحقول المكشوفة. كان باد يستخدم سلاحه عيار 45 كي ينتزع العدل من الحرب التي بدت منطقيّة بالنسبة له. قتل باد آخر ألماني في أغسطس 1945، وكان قد سمع قصصًا عن مسؤول محلّي سابق في الحزب النازي يستخدم اسمًا مستعارًا هو وولف. وعثر على الرجل يقف في طابور اللاجئين الّذين يأملون في الرجوع إلى ديارهم بأماكن مختلفة مما كان يومًا الرايخ الثالث. أبرز وولف أوراقه الثبوتيّة، وأمره باد أن يخرج من الصفّ، وسحب سلاحه وراء جدار منخفض من الحجارة ثمّ أطلق الرصاص مباشرة على عنق الرجل ووقف بهدوء فوق رأس المسؤول النازي الكبير الّذي يتلوّى أثناء اللحظات الأخيرة من حياته. لم يتكلّم باد بولنج عن شيء من هذا أبدًا، ولا تكلّم عن المعسكرات التي رآها. وفيرجيل من ناحيته لم يعرف أيًّا من هذه التفاصيل، لكنّه كان يشكّ؛ إذْ كان يرى صديقه خاويًا ومختلفًا.

"كم تُفكّر في البقاء لديك في سان دييجو يا باد؟"

"ربّما أسبوعًا، وربّما عامًا. قد اتّجه إلى لوس أنجلوس مطلع العام الجديد وألحق بذلك الموكب الضّخم."

"موكب الزهور؟"

"بلى. أظنّه سيكون بديعًا. كنت أودّ أن أسألك أين ستقضي مطلع

العام الجديد، لكّني أعرف مسبقًا. الدكّان ستة أيام في الأسبوع."
"أنا أحبّ عملي يا باد. ولست أدري إن كان بإمكاني التسكّع مثلك."
"يا فيرجين، ضرب شرطي أهون من ضبط ساعة بالنسبة لي."
ضحك الرجلان.
"عيد ميلاد مجيد. وأهلًا بك في أي وقت تزورنا فيه."
"يسعدني الحديث معك دائمًا يا فيرجين. وأفرحني أنّك سعيد. أنت تستحق مثل هذه النّعم."
"بفضلك يا باد."
"نكاد نُصبح في عام 1954، هل تصدّق؟ وها أنت لديك ديل وديفي وجيل و، آه، كوني؟ هل هذا هو اسم طفلتك الجديدة؟"
"بلى، كوني."
"ها هو فيرجيل الفيرجين لديه ثلاثة أطفال. أعرف ما تفعله البيولوجيا، لكن الواقع لغز لعين..."
تمنّى كل منهما للآخر إجازات سعيدة، وكررا كلمات الوداع، ثم أغلقا الهاتف. سيتحدثان مرّة أخرى بعد عام.
جلس فيرجيل في هدوء يُراقب النار حتّى الواحدة صباحًا. ثمّ نهض من الكرسي ليُكوّم النيران، كي يجد ديفي جذوات يُشعل بها حطب عيد الميلاد. عثر على قابس مصابيح شجرة عيد الميلاد فنزعه من المقبس الموجود في الحائط، بإبهام وسبابة ومفاصل يده اليُسرى. وبعد أن أوشك على النسيان وقف أمام الطبق الّذي يحتوي كعكات سانتا وأكل ثلاث منها. ساوره تردد، فأكل قضمة من كعكة رابعة، وأعادها إلى الطبق، وارتشف بعض الحليب الّذي صار دافئًا قليلًا.
تعرّف على طريقه إلى الدَّرج رغم الظلام، وراح يرتقي درجة سُلّم مع

كل خطوة، تتوافق فردة حذائه اليُسرى مع قدمه اليُمنى. اطْمأن على الطفلين النائمين، وعلى كوني في سريرها الصغير إلى جانب فراش ديل. كانت ديل تضع البيجامة لأجله دائمًا، فخلع بنطلونه وأربطة وأبازيم ساقه الصناعيّة، ثمّ وضعها إلى جوار الكرسي وتسلل داخل ثياب النوم.

وثب خفيفًا فوق الفراش، ورأى شفتي ديل وطبع قبلة ناعمة فوقهما كما يفعل كل ليلة، فقرقرت أثناء نومها. سحب فيرجيل الأغطية فوقه؛ الملاءة والبطانيتين الثقيلتين واللحاف السميك، وأرخى رأسه فوق الوسادة بعد اليوم الطويل، وفي النهاية، أغمض عينيه.

رأى؛ كما يرى كل ليلة، المشهد الخاطف لخوذة جندي تفرقع وتصير غيمة من ضباب دامي. ورأى الأشلاء اللزجة مما كان في السابق رأس رجل. أجبر فيرجيل نفسه على التفكير في شيء آخر، أي شيء آخر. فتّش رأسه بحثًا عن صورة، واستقرّ على رؤيا يظهر فيها باد بولنج شابًّا صغيرًا في الثانية والعشرين من عمره، يقفُ في شارع كاليفورنيا المُشمس الدافئ وسط حشد كبير من النّاس الّذين علت الابتسامات وجوههم، يهللون في جذل أمام موكب ينطلق فيه بشر تجللهم الزهور.


REMINGTON

جولة مجّانية في مدينة النّور

What brown fox jumped quickly over dogs that are lazy?[1]

مرحى؛ هذه الآلة الكاتبة تعمل حقًّا!

تبًّا، ماذا جرى؟ من أنا اليوم؟ أخمّن أنّي لا أزال روري ثوربي، لكن من هو روري ثوربي؟

كنتُ في الليلة الماضية؛ منذ ساعات فحسب، البطل حديث السّاعة في فيلم كبير، البطل الّذي قبّل امرأة فاتنة، البطل ذو المؤخّرة الرشيقة. كنتُ مُحاطًا بالنّاس في عواصم أوروبا وأمريكا كأنّي سياسي، أندفع داخل السيارات وصالات الرقص التي تحتشد بالمصورين

(1) يا للثعلب البُني الّذي وثب بسرعة فوق الكلاب الكسولة: أشهر وأقصر عبارة تحتوي على الحروف الستة والعشرين التي تؤلّف الأبجديّة الإنجليزيّة. تستخدم في التدريب على الآلات الكاتبة ولوحات مفاتيح الحواسيب وغيرها من آلات الطباعة. [المُترجم]

والصحافيين الزّاعقين بأسئلتهم. كنتُ ألوِّح لأمواجٍ من بشر أغلبهم كان يردّ التحيّة لي، مع أنّ ما من أحد منهم كان يعرف من أنا، ورغم أنّي في الواقع مُجرّد نكرة. مع ذلك، في حوزتي... وثائق مُعيّنة... تكشف الاسم الكودي بالغ السريّة لويللا ساكس (وهو إليانور فلينتستون!) كان أمامي يومان اقتحم خلالهما مدينة باريس، والثالث للسفر، وكان الثالث يبدو يومًا حافلًا! إذْ سددوا نفقاتي كاملة. كنتُ أرتدي ثيابًا مجّانية، وأستطيع أن أطلب سندوتش وقتما أشاء، ورغم ذلك كنتُ شديد الانشغال فلم يتسع الوقت سوى للقيمات بسيطة.

لكن كل هذا انتهى هذا الصباح، وعليّ أن أغادر غرفتي في الوقت المُحدد سلفًا. يا له من كرب عظيم! هذا فندق رفيع، وقد سكنه النازيون.

كمبدأ عام مفيد حين تسافر إلى أوروبا: اسكن الأماكن التي سكنها النازيون. كان الفندق في روما هو مقر قيادة الجستابو خلال الحرب؛ غرف واسعة وأسقف عالية وحديقة رائعة. في برلين، سوّى الروس الفندق بالأرض حين قصفوا النازيين الّذين كانوا يختبئون داخله. ونكاية أكثر في الألمان، لم يكلِّف الشيوعيون أنفسهم عناء إعادة بناء الفندق أو أي مبنى آخر في ذلك الجزء من برلين الشرقيّة. لكن عندما سقط جدار برلين عاد الفندق وأصبح بالفرع الآن قاعة مُخصصة لتدخين السيجار. أمّا الفرع الرئيس للفندق المهيب في لندن فقد قصفه سلاح الجو الألماني في الفترة بين أمجاد روما النازيّة وضربات الشيوعيين لهم بعدها بسنوات. ثمّ تناولت فيه الملكة العشاء مرّتين منذ عام 1973.

وختامًا، كان هذا الفندق الباريسي مقر قيادة الاحتلال الألماني، ويُقال

إنّ هتلر تناول قدح قهوة في واحدة من شرفاته قبل أن يستقل السيارة ليلقي نظرة على مدينة النور التي غزاها.

كل هذا كان مجانًا بالنسبة لي، بما في ذلك فنادق لوس أنجلوس وشيكاغو ونيويورك، على حساب الاستديو، لأنّي ألعب دور كاليب جاكسوف في فيلم كاسندرا رامبارت الجزء الثالث: مصيرنا في أيدينا. (كاسندرا رامبارت أو ويللا ساكس أو إليانور فلينتستون!)

كان من المُقرر أن يكون اليوم الثالث من رحلتي؛ معذرة جولتي الصحافيّة، مُغامرة كبرى. لكن بدلًا من ذلك عليّ أن أحزم حقائبي وأغادر في العاشرة مساءً- معذرة، في الواحدة ظهرًا...

إلى: روري ثروبي.

نسخة بالكربون إلى: إيرين برتون، إلخ.

من: أنيت لابود.

بشأن: برنامج رحلة باريس.

مرحبًا بكم في باريس!

نعرف أنّكم لا ريب منهكون، لكن نودّ أن نبلغكم قدر ما نشعر به من فرح بسبب العمل على إطلاق النسخة الفرنسيّة من فيلم كاسندرا رامبارت الجزء الثالث: مصيرنا في أيدينا! زملاؤنا في روما وبرلين ولندن يقولون أنّ الفيلم لاقى ترحيبًا وحماسًا كبيرين... بفضلكم! التوقّعات قويّة، وهي لا تقل سوى ثلاث نقاط عن الجزء الثاني: وكيل التغيير، وعشر نقاط عن الجزء الأول: البداية. هذه أرقام مبهرة بالنسبة لفيلم تتمّة لفيلم آخر! يبدو أنّ الجمهور يتجاوب مع توتر العلاقة الحميمة بين كاسندرا وكاليب.

نشعر جميعًا أنّ الفيلم سيلقى نجاحًا كبيرًا في فرنسا، مثلما يحظى عالم كاسندرا رامبارت بمتابعة واسعة على كل منصّات التواصل الاجتماعي.
كما أوضحت لكم إيرين برتون وقسم التسويق من قبل، فإنّ فرنسا لا تسمح بالدعاية للأفلام عبر التلفزيون من خلال الدفع الفوري، وهو ما يُفسّر لكم ما ربّما لاحظتموه من تزايد عدد اللقاءات الصحافيّة المصوّرة أثناء نزولكم معنا، فهذه اللقاءات فاصلة في السوق الفرنسيّة. لقد أبليتم بلاءً حسنًا أثناء رحلة الولايات المتحدة وفي روما وبرلين ولندن، وما من شكّ أنّكم مستعدون!
لذلك نتمنّى لكم وقتًا ممتعًا!
تجدون في الأسفل برنامج الأيام الثلاثة المُقبلة (إضافة إلى برنامج منفصل لإليانور فلينتستون.)

اليوم الأول

الواحدة وعشر دقائق تقريبًا: الوصول إلى مطار شارل ديجول من لندن والانتقال إلى الفندق.
السّابعة وعشر دقائق: التهيؤ في غرفة رقم 4114.
من السابعة وأربعين دقيقة إلى الثامنة: ظهور مباشر في برنامج "¡Nosotros Cacauates!"، وهو برنامج الشباب الصباحي الأوسع شعبيّة في أسبانيا، والّذي يتمتّع بحضور قوي على الإنترنت (أربعة ملايين ومائة ألف مشاهدة). وقد حضروا إلى باريس خصيصًا من أجل الفيلم.

الثامنة وخمس دقائق: الانتقال إلى المركز الإعلامي في الطابق الثالث.

من الثامنة والرّبع إلى الثامنة وخمس وأربعين دقيقة: اللقاء الأول مع المجلات والصّحف حول الطاولة المستديرة (حوالي 16 صحيفة ومجلّة. القائمة مُتاحة.)

من الثامنة وخمسين دقيقة إلى التاسعة والثُلث: اللقاء الثاني مع المجلات والصّحف حول الطاولة المستديرة (حوالي 16 مجلّة وصحيفة. القائمة مُتاحة.)

من التاسعة وخمس وعشرين دقيقة إلى التاسعة وخمس وخمسين دقيقة: اللقاء الثالث مع المجلات والصّحف حول الطاولة المستديرة (حوالي 16 مجلّة وصحيفة. القائمة مُتاحة.)

من العاشرة إلى العاشرة والنّصف: اللقاء الرابع مع المجلات والصّحف حول الطاولة المستديرة (حوالي 16 مجلّة وصحيفة. القائمة مُتاحة.)

من العاشرة وخمس وثلاثين دقيقة إلى الحادية عشرة وخمس دقائق: اللقاء الخامس مع المجلات والصّحف حول الطاولة المستديرة (حوالي 16 مجلّة وصحيفة. القائمة مُتاحة.)

من الحادية عشرة وعشر دقائق إلى الحادية عشرة وأربعين دقيقة: اللقاء السّادس مع المجلات والصّحف حول الطاولة المستديرة (حوالي 16 مجلّة وصحيفة. القائمة مُتاحة.)

من الحادية عشرة وخمس وأربعين دقيقة إلى الحادية عشرة وخمسين دقيقة: جلسة صباحيّة على موقع Reddit (خاص بالولايات المتحدة) فترة استراحة.

من الثانية عشرة إلى الواحدة ظهرًا: لقاءات قصيرة مع الأشخاص النافذين على وسائل التواصل الاجتماعي (يُخصص لكل واحد منهم من ثلاث إلى أربع دقائق). يُعرف الشخص النافذ على وسائل التواصل الاجتماعي بأنّه الشخص الّذي يحظى بمليون ونصف مُتابع على الأقل. سيحمل كل واحد منهم طلبًا مُحددًا لمنشوراته. بعضهم سيكون سريعًا، والبعض الآخر لن يتجاوز الدقائق الخمس.

من الواحدة وخمس دقائق إلى الثانية: جلسة تصوير فوق سقف الفندق (ملحوظة: ستنضم إليك إليانور فلينتستون خلال الدقائق العشر الأخيرة.)

من الثانية وخمس دقائق إلى الثانية وخمس وأربعين دقيقة: الغداء/ ولقاء مع صحفيي الباري ماتش. (ملحوظة: سيحضر اللقاء أحد المصورين.)

من الثانية وخمسين دقيقة إلى الثالثة: لقاء إذاعي مع هيئة الإذاعة والتلفزيون السويسريّة- القناة الأولى.

من الثالثة وخمس دقائق إلى الثالثة والرّبع: لقاء إذاعي مع الإذاعة والتلفزيون الفرنسي- القناة الثالثة.

من الثالثة والثُلث إلى الثالثة والنّصف: لقاء إذاعي مع الإذاعة والتلفزيون الفرنسي- القناة الثانية.

من الثالثة وأربعين دقيقة إلى الرابعة: لقاء ودّي لتناول القهوة مع منصّات تواصل اجتماعي مُعتمدة (حوالي عشرين) يحظى كل منها بما يزيد على ثلاثة ملايين ونصف مليون متابع (القائمة قيد الطلب.)

من الرابعة وخمس دقائق إلى الرابعة وعشر دقائق: لمسات أخيرة.
من الرابعة والرّبع إلى الرابعة وخمس وأربعين دقيقة: بثّ تلفزيوني مباشر من الشرفة لحساب التلفزيون البلجيكي «الظهيرة اليوم» (ملحوظة: ستنضم إليك إليانور فلينتستون في الرابعة والنّصف.)
الخامسة بعد الظهر: الانتقال بالسيّارة إلى استديو دو روا لتسجيل الإعلان الترويجي الّذي ستبثّه الخطوط الجويّة الفرنسيّة في رحلاتها الدوليّة لدعم افتتاح الفيلم. سيستغرق التسجيل حوالي ثلاث ساعات.
في الثامنة تقريبًا: الانتقال بالسيّارة إلى مطعم لوشات. عشاء برعاية هيئة UPIC. (ملحوظة: سيحضر العشاء أحد المصوّرين.)
بعد العشاء لك الحريّة في البقاء أو الرجوع إلى الفندق.

حمد روري ثوربي حظّه على إيرين برتون؛ ذلك الحظّ الّذي شمله بكرمه الغامر طوال العامين الماضيين. إذْ كان بطلًا لفيلم أمام ويللا ساكس؛ كاسندرا رامبارت نفسها! وأصبح لديه رصيد في البنك لأول مرّة في حياته! وحصل على رحلة مجّانيّة إلى أوروبا كعطاء إضافي! كل ذلك لقاء مقابل عقد بعض اللقاءات هناك! لقد كادت إيرين برتون تختنق بضحكها المكتوم أمام حماسه الشديد.
كانت إيرين في السادسة والستين من عمرها، وعملت بالتسويق في مُحترفات تصوير الأفلام الستة الكبار، وهي الآن تعيش شبه

متقاعدة في بيت يُطل على شاطئ المُحيط في أوكسنارد؛ بعيدًا جِدًّا عن هوليوود كي تتجنّب الضغوط اليوميّة لعالم الاستعراض، وقريبة أيضًا بالقدر الكافي للقيام بزيارة خاطفة في حال اقتضت الضرورة وجودها لترتيب فوضى العلاقات العامّة. كانت قد صاحبت منذُ أحد عشر عامًا، ممثلة موهوبة جميلة خلال الجولة الصحافية لفيلم رعب اسمه دمنشيا 40، كان بمثابة كارثة لكنّه أصبح الآن فيلمًا أسطوريًّا لأنّه قدّم للجمهور الشابّة الجميلة الموهوبة ويللا ساكس. كانت الصحافة قد أطلقت عليها اسم ويللا ساكس بضع سنوات؛ وهو لقب مناسب، لكن ويللا أصبحت الآن كاسندرا رامبارت؛ امرأة هائلة لديها خطّ إنتاج خاص لثياب التمرين، ومنزل يأوي الحيوانات اليتيمة، ومؤسسة تُعزز محو الأميّة في دول العالم الثالث. كان أول فيلمين لكاسندرا رامبارت قد حصدا مليارًا وسبعمائة وخمسين مليون دولار بعد عرضهما عالميًّا. لذلك لم تطلب ويللا واحدًا وعشرين مليون دولارًا كأجر غير الأرباح عن كل فيلم فقط، بل طلبت الاحترام أيضًا.

هكذا قالت ويللا لإيرين في الهاتف: "إيرين، عليك أن تساعديني."

"ما الأمر أيتها اليقطينة؟" وكانت إيرين تدعو كل الممثلين الشباب باليقطينة.

"روري ثوربي شخص أبله مثل صندوق يمتلئ بالشّعر."

"ومن هو روري ثوربي؟"

"البطل في فيلمي الأخير. انتهيت للتوّ من قراءة حواره مع الملف الصحافي الإلكتروني." والأخير هو حديث صحافي موجّه يُدلي به الأبطال لتوفير خلفيّة لفيلمٍ ما. "أغلب إجاباته تبدأ بـ«حسنًا، مم. يبدو، في الواقع...» الجولة الترويجيّة على الأبواب ولا أستطيع السفر حول العالم وإلى

جواري هذا الأحمق. يحتاج إلى من يُعلمه ما لا يجب فعله."
"أستطيع فعل ذلك."
وفعلت. أخذت إيرين روري إلى محلات فريد سيجال وطوم فورد لشراء الثياب التي يحتاجها؛ ملابس غير رسميّة للقاءات الإعلاميّة وحُلل سوداء لحفلات الافتتاح، دون أن يدفع سنتًا واحدًا. ثمّ أخذته إلى محلّ ت.أنطوني لشراء حقائب مناسبة بخصم كبير غطّاه الاستديو. هكذا تغدو تلك الملابس جاهزة في غضون ثوان. ستجمعه صورتان فوتوغرافيتان مع واحدة من أجمل نساء العالم ويلزمه أن يبدو مستعدًا. ولأنّه سيجيب على نفس الأسئلة آلاف المرّات، فقد مرّنته على نقاط الحديث التي جهّزها الاستديو: يُضيف الجزء الثالث لعالم كاسندرا رامبارت، الفيلم الأشدّ جاذبيّة وحنكة؛ ذلك أنّها ليست بطلة عصرنا فحسب بل هي امرأة ستدوم لعصور قادمة. استخدم رجاءً عبارة «امرأة ستدوم لعصور قادمة» حين تصف كاسندرا.
كانت إيرين قد أتقنت كتمان ضحكها حين ينطق واحد من زبائنها شيئًا غبيًا أو ساذجًا، وكان هذا الشيء بالنسبة لروري هو تفكيره في أنّ رحلته الأولى إلى أوروبا ستكون مجّانيّة.
قالت له: "بل ستطلع روحك من العمل أيها اليقطينة."
بدأت الجولة في لوس أنجلوس؛ ثلاثة أيام حفلت باللقاءات وجلسات التصوير ومؤتمرات الفيديو وجلسات الرّد على الأسئلة والاجتماعات مع المعجبين، إضافة إلى الظهور في أكبر عدد ممكن من البرامج الحواريّة التي يلزم كل منها ساعة كاملة من اللقاءات المسبقة مع المعدّين. اطمأنت إيرين إلى أناقة روري ومهارته في عدم ارتكاب ما لا يجب ارتكابه. جاءت بعدها الرّحلة إلى مؤتمر سان

دييجو للكوميك-كون، وهناك كانت ويللا ساكس في حاجة لفريق من الحرس الشخصيين لحمايتها من المعجبات اللائي لبس أغلبهن ثياب كاسندرا؛ عميلة الاستخبارات السابقة التي ثبّتوا في رأسها شرائح حاسوب فأصبحت نموذجًا مُعززًا ذا قوى خارقة وقدرة على الاتصال لا شعوريًّا بالسبعة؛ وهم كائنات فضائية تعيش بيننا؛ أغراب ربّما كانوا خيرين أو أشرار ...إلخ إلخ. كان أغلب الحاضرين في الكوميك كون يلبسون ثياب السبعة، وما من أحد فيهم كان يلبس ثياب كاليب جاكسون خبير البرمجيات وركوب الأمواج المُحترف؛ لأنّ ما من أحدٍ منهم شاهد الفيلم بعد. بدا المعجبون مبتهجون بالدقائق الواحدة والعشرين مُدّة الإعلان التشويقي، وجعلوا منها حديث السّاعة أغلب اليوم على تويتر وبوييت!

بعد يومين عُرض الإعلان التشويقي في شيكاغو داخل حرم جامعة نورثويسترن؛ وهي الجامعة التي تخرّجت منها ويللا ساكس شخصيًّا. الآن تحمل غرفة مبيتها اسم ويللا تكريمًا لها. ساقت إيرين روري عبر يومين كاملين من اللقاءات واستعراض في الشّوارع ومباراة خيريّة للبرّ والإحسان وإطلاق إشارة بدء مباراة هوكي لفريق بلاكهوكس، إضافة لعرض الفيلم لصالح محو الأمّية في أفريقيا في نفس دار السينما التي شهدت إطلاق النار على رجل العصابات جون ديلينجر.

ثمّ أربعة أيام أخرى في مدينة نيويورك، بدأت بمؤتمر صحافي عُقد في صالة الرّقص بفندق والدورف أستوريا حضرته مائة واثنتين وخمسين وكالة إعلاميّة. في هذا المؤتمر لم يجب روري على سؤال واحد إلا بعد أن تحدّثت ويللا نصف ساعة كاملة، أغلبها عن التحديات التي واجهتها أثناء التصوير

بالكاميرات الرقميّة الجديدة ونظام SPFX الجديد المُسمّى بالديجيتال ماكس. كانت واحدة من منتجي الفيلم على أي حال وحصلت على حقوق ملكية رواية الجرافيك كاسندرا رامبارت عام 2007، مقابل عشرة آلاف دولار فقط.

أضحكتها أسئلة حول نبوغ زوجها الاستثماري وبراعته المُفترضة داخل غرفة النّوم، وهتفت مُحتجّة: "يا شباب! بوبي يعمل مصرفيًّا!" كان بوبي هو زوجها الّذي يمتلك مليارًا ومائتي مليون دولار. وتابعت ويللا تصريحاتها للصحافة قائلة أنّ زوجها رجل عادي من النوع الّذي يحمل معه قمامة المنزل ليلقيها في الصباح.

كان ذلك توطئة لسؤال روري: "تُرى كيف كان شعورك حين قبّلت المرأة الأجمل في العالم؟"

فأجاب: "هذه قبلة ستدوم لعصور قادمة." ابتسمت إيرين وقد علمت أنّها أجادت عملها، وهوت الصالة المزدحمة في الصمت عدا طقطقات الكاميرات. انتهى المؤتمر الصحافي وهرعت ويللا تغادر الصالة دون أن يتوقّف صياح الصحافيين بالأسئلة، ورافقت إيرين روري إلى صالة أصغر تراصّت في داخلها عدة طاولات مستديرة، ازدحم حولها صحافيون بميكروفوناتهم. قضى روري عشرين دقيقة عند كل طاولة، الواحدة تلو الأخرى دون توقّف، مُجيبًا على صيغ مختلفة من نفس الأسئلة الثلاث:

تُرى ما هو انطباعك عن العمل مع ويللا ساكس؟

تُرى ما هو شعورك وأنت تُقبّل ويللا ساكس؟

تُرى هل كان ما رأيناه في مشهد الإعصار هي مؤخّرتك حقًّا؟

رافقته إيرين إلى المركز الإعلامي في الطابق الثامن كي يُجري سبعة

وخمسين لقاء تليفزيونيًّا لم يزد أي منها عن ست دقائق، كُلّها داخل نفس الصّالة حيثُ جلس روري فوق نفس المقعد أمام نفس الملصق للفيلم. في هذا الملصق، كانت ويللا تُحدّق في الفضاء؛ وقد ارتسمت على وجهها نظرة تركيز عنيف وهي تلبس سترة محبوكة، وقد عرّى مزق فيها كتف ويللا ونصف ثديها الأيسر. خلفها فسيفساء صور من الفيلم؛ انفجار وأشخاص غير واضحين يركضون داخل نفق وموجة عالية ضخمة وروري يرتدي سمّاعة رأس ويحدّق في شاشة حاسوب وعلى ملامحه ترتسم جديّة شديدة. كانت عبارة «ويللا ساكس تعود بشخصيّة كاسندرا رامبارت» مطبوعة بحروف كبيرة، بينما اسم روري محشور في قاع الملصق بين أسماء المشاركين مكتوبًا بنفس حجم ونوع الخطّ التي كُتب بها اسم مُحرر الفيلم. وكانت إيرين تُعزز عمله الدؤوب بالشّاي الأخضر وألواح البروتين وأطباق صغيرة من التوت البرّي.

روّج برنامج «هذا الصباح» على قناة CBS للفيلم طوال الأسبوع، حيثُ دأب روري على تقديم تقريرين صباحيين يوميًّا في السابعة وأربعين دقيقة والثامنة وعشر دقائق، عن حالة الطقس في البلاد أمام خارطة على شاشة خضراء. أمّا ويللا ساكس فاضطلعت بدور المذيعة مع كيلي ريبا في برنامجها «مُباشر مع كيلي»، حيثُ أدت المرأتان تمارين بيلاتس على الهواء مباشرة.

كان من المفترض أن يجري العرض الأول للفيلم على أحد أرصفة نهر الهدسون؛ وشيُدت بالفعل المرافق الخاصّة والمقاعد التي تتسع لخمسة آلاف متفرّج، لكن عاصفة رعدية متوقّعة أنهت المسألة. وبدلًا من ذلك، تم حجز كافّة شاشات السينما بكل أرجاء المدينة من أجل

عرض رقمي متزامن للفيلم، تنقّل خلاله روري وإيرين بين دور العرض التسعة والعشرين بسيارة رياضيّة متعددة الأغراض، في حين لم تحضر ويللا ساكس سوى العرض الخاص بمتحف التاريخ الطبيعي الّذي خُصصت إيراداته لدعم برامج المتحف للعلماء الشباب.

أصاب الإنهاك روري بعد انتهاء أيام الجولة الصحافيّة المحليّة التسعة، أجهده الكلام المكرور ودارت رأسه دون أن يرى سوى المزيد من السيارات وغُرف الفنادق والكاميرات. أمّا أسوأ ما في الأمر فكانت الأسئلة المكرورة خلال اللقاءات الإعلاميّة الأربعمائة ونيف:

تُرى ما هو انطباعك عن العمل مع ويللا ساكس؟

تُرى ما هو شعورك وأنت تُقبِّل ويللا ساكس؟

تُرى هل كان ما رأيناه في مشهد الإعصار هي مؤخّرتك حقًّا؟

أحسّ روري الآن أنّ العمل إلى جانب ويللا ساكس يُشبه تناول شطيرة زبدة فول سوداني وهو على متن درّاجة بخارية، وتبادل القبلات معها يُشبه مجيء عيد الميلاد في يوليو، وأنّ المؤخرة في الإعصار لجواد يتكلّم اسمه بريتشيس.

قالت إيرين: "أهلًا بك في الدّوري الكبير أيتها اليقطينة. غدًا في روما."

طارت ويللا ساكس إلى إيطاليا على متن طائرة مستأجرة بصحبة فريقها وبطانتها ومساعديها، أمّا طائرة الاستديو فسافر على متنها خمسة منتجين آخرين فضلًا عن سائر المنفذين ورؤساء قطاع التسويق. لم يبق على متن الطائرتين مقعد شاغر لروري أو إيرين، فسافرا على درجة رجال الأعمال بطيران تراكسجيت، وأبدلا الطائرة في فرانكفورت.

شهدت روما ثلاثة أيام حافلة باللقاءات الصحافيّة كسابقتها في

الولايات المتحدة، وعُرض الإعلان التشويقي في الليلة الأخيرة بالهواء الطّلق بحلبة ماكسيمو حيثُ كانت تُقام سباقات العربات الحربيّة قديمًا. بالنسبة لروري لم تزد الحلبة عن كونها ميدان واسع، حيثُ عُرضت مشاهد من الفيلم على شاشة مؤقّتة عملاقة بعد تقديم فريق كرة قدم محلّي حاملًا الكأس الّذي ربحه في بطولة ما. كانت الحشود تُقدّر بواحد وعشرين ألف متفرّج، لكن حين صعد روري على المسرح كي يلوّح للرومان لم يلق ردًّا، في الوقت الّذي اندلع فيه شجار بالأيدي حين فعلت ويللا الشيء نفسه، مع اندفاع سيل المعجبين الّذي يلبسون قميص فريق كرة القدم الفائز نحو المتاريس في محاولة للوصول إليها، ودخل الدرك الإيطالي في عراك صاخب مع المشاغبين بينما سارعت ويللا إلى سيارة مصفّحة أقلتها إلى المطار. في الصباح التالي استقلّ روري وإيرين طائرة تجارية تابعة لشركة إير فلوجبلاتز إلى برلين التي شهدت هي الأخرى ثلاثة أيام حافلة باللقاءات الصحافيّة المُعدّة سلفًا.

في برلين ارتبكت ساعة روري البيولوجيّة فألفى نفسه نشيطًا في الثالثة صباحًا، وخرج ليركض. غادر الفندق، وتجاهله العشرات من معجبي كاسندرا رامبارت الألمان المتحمسين الّذين قضوا ليلتهم؛ وعلى استعداد للبقاء حتّى الصباح، أملًا في إلقاء نظرة خاطفة عليها. هرول عبر طرقات حديقة تيرجارتن المظلمة، وتوقّف لعمل تمارين ضغط فوق درجات نصب الجيش الروسي التذكاري الّذي اكتمل بدبابات حقيقيّة كانت قد سحقت برلين عام 1945. في ظهيرة اليوم التالي كان قد أنهكه التعب فأحسّ نفسه كالسائر أثناء النوم، بل راح يتكلّم كواحد منهم أثناء حديثه مع هيئة تحرير صحيفة بيلد الألمانيّة

الشغوفة بأجزاء الفيلم الثلاثة والنجمة التي شاركت في بطولة الجزء الأخير إلى جانب ويللا ساكس (نطقها سيكس في الحقيقة)، وقال إنّه أحسّ أنّ: "ساندرا كاسبارت كانت في أبهى صورها وأكثرها أناقة؛ لأنّ ويللا سيكس هي بطلة عصرنا وامرأة العصور الأربعة." ثم جاءت الأسئلة.

تُرى ما هو انطباعك عن العمل مع ويللا ساكس؟

تُرى ما هو شعورك وأنت تُقبِّل ويللا ساكس؟

تُرى هل كان ما رأيناه في مشهد الإعصار هي مؤخّرتك حقًّا؟

قالت إيرين أثناء رجوعهما إلى الفندق: "حاول ألا تدعوها باسم ويللا سيكس."

فسألها روري: "ومتى فعلت؟"

"الآن للتو، أمام أكبر صحف ألمانيا اليوميّة."

قال: "أسف. لم أعد متأكِّدًا مما ينطقه لساني."

جرى العرض الألماني للإعلان التشويقي لاحقًا تلك الليلة أمام ستة آلاف متفرِّج في بوابة براندنبورج، لكن الإحباط أصاب ويللا ساكس حين أطلّت من شرفة الفندق كي تلوِّح لجمهور الحاضرين دون أن يقع عراك بالأيدي. فقالت أثناء مأدبة العشاء التي أُقيمت داخل نفس المتحف الّذي يعرض تمثال نفرتيتي النّصفي: "أخال أنّي لستُ ويللا ساكس هذه الليلة."

في الوقت نفسه طار روري وإيرين إلى لندن، وحين نزلا في مطار جاتويك كانت الجولة الإعلاميّة الدولية قد حوّلت روري إلى رغيف محمّص لا يكفّ عن الثرثرة.

اليوم الثاني

السابعة والنصف: الاستعداد في الغرفة.

الثامنة: الانتقال بالسيارة إلى محطّة سكك حديد الشرق.

من الثامنة وعشر دقائق إلى التاسعة: لقاءات السجّادة الحمراء قبل ركوب قطار كاسندرا إكسبريس.

من التاسعة وخمس دقائق إلى الواحدة ظهرًا: السفر بالقطار إلى مدينة آكسون بروفانس. وفي الطريق لقاءات لمّدة خمس عشرة دقيقة داخل عربة خاصّة بوسائل الإعلام. (القائمة مُتاحة عند الطلب.)

من الواحدة إلى الثانية: لقاءات السجادة الحمراء عند الوصول إلى المسرح الروماني القديم.

من الثانية والنصف إلى الرابعة: المسرح الروماني القديم. إعادة تمثيل مشهد الإعصار خصيصًا لوسائل الإعلام. (ملاحظة: سيُبث هذا المشهد مباشرة على قناة التلفزيون الإيطالي الثانية.)

الرابعة والنصف: ركوب قطار كاسندرا إكسبريس مرّة أخرى. ظهور مباشر في برنامج ميدي ومادي التلفزيوني من عربة المراقبة.

من الخامسة والرّبع إلى السابعة وخمس وأربعين دقيقة: العودة إلى باريس على متن قطار كاسندرا إكسبريس. في الطريق لقاءات لمدّة خمس عشرة دقيقة مع وسائل إعلام غير فرنسية داخل العربة الخاصّة بوسائل الإعلام. (القائمة مُتاحة عند الطلب.)

الثامنة مساءً: الانتقال بالسيارة لحضور حفل استقبال/ عشاء بفندق موريس برعاية فيسبوك فرنسا.
بعد العشاء لك الحريّة في البقاء أو الرجوع إلى الفندق.
سنرسل لإيرين جدول الرحلة في قارة آسيا قبل وصولكم إلى سنغافورة/طوكيو.

كان الحصول على الوظيفة مُجرّد ضربة حظّ ليس إلا؛ إذْ كان اليأس قد أصاب روري من لوس أنجلوس بعد عمل لم يدم سوى ستة أشهر كموديل وممثل وساقي حانة حصل خلالها على سُلفتين على البطاقة الائتمانيّة لنقابة ممثلي الإذاعة والتلفزيون، كما ألّف إعلانًا عن زبادي أثناء لعب مباراة كرة قدم لمسيّة على أحد الشواطئ. وظلّ مشغولًا طيلة ثلاثة أيام غائمة في سان دييجو عاري الصدر؛ لكم بدا روري شديد الجاذبيّة بدون قميص! مع خليط من «الرفاق» من عرقيات مُختلفة، ثمّ تناولوا جميعًا الزبادي على مهل. كانوا مدرّبين على طريقة دسّ الملاعق في العبوات الصغيرة ووضع الزبادي داخل أفواههم. كان ثمّة حيلة في الأمر.
بعد تسعة أسابيع حصل على دور حلقة واحدة في مسلسل كوجاك الّذي أعادت قناة CBS إنتاجه، حيثُ لعب روري دور تاجر ميثامفيتامينات موشوم الرأس حليقه، يزعم أنّه مُقاتل قديم أصيب في حرب العراق، وبالتالي كان لابد أن يموت. هكذا لقي روري مصرعه بطريقة رفيعة؛ عاري الصدر طبعًا، إذْ دفع كوجاك الجديد كرسي المعوقين الآلي الّذي حصل عليه روري بالاحتيال، من فوق سطح عمارة إداريّة، ثمّ قفز إلى برّ الأمان في الوقت المناسب.

أصاب الضجر روري من جنوب كاليفورنيا حيثُ لا جديد تقريبًا عدا أقساط السيارة وتمارين اللياقة البدنيّة، فأخذ نقود إعلان الزبادي ومسلسل كوجاك وسافر إلى يوتا من أجل موسم التزلّج. لكن حين عُرض أخيرًا مسلسل كوجاك الجديد، تصادف أن شاهده أحد منتجي فيلم كاسندرا الكُثر فبعث رسالة نصّيّة إلى ويلا ساكس كتب فيها: أظنّ أنّي عثرت على هدية فيلم كاسندرا رامبارت التالي. وبعد بضعة أيام، تلقّى روري مكالمة من وكالته كي يعود إلى البلدة لأنّ أمرًا هائلًا كان يختمر.

أول مرّة قابل خلالها روري ويلا ساكس؛ التي كانت بارعة الحُسن؛ يتجاوز جمالها الجمال المألوف، كان بينهما قدحا شاي أخضر داخل مكتبها بعمارة الكابيتال ريكوردس في شارع فاين بهوليوود. وكان المنزل الّذي تتقاسمه مع زوجها الرأسمالي المُغامر في بقعة ما بالتلال القريبة. كانت ألطف امرأة في العالم، تكلّمت معه عن الفنّ وتربية الخيول، ولم يكن روري يعلم الكثير عن الأمرين، فغيّرت ويلا الموضوع وتكلّمت عن جزر فيجي التي زارتها لتستطلع أماكن تصوير الفيلم. أخبرت روري عن جمال السماء في الليل وصفاء الماء ووجوه سكّان الجزر البشوشة، لا سيّما خلال احتفالات الكافا التقليديّة التي تُقام للترحيب بالزائرين. هناك تعلّمت ركوب الأمواج. ومن المقرر تصوير الفيلم في فيجي على مدى أسبوعين على الأقل.

تجاوزت مُدّة اللقاء الساعة بقليل، لكن قبل أن يستقل روري سيارته وفي عرض طريق مسدود أثناء حركة سير طريق هوليوود السريع بعد الظهر، انفجر هاتفه برسائل نصيّة: لقد أحبّتك و.ساكس! أهلًا بالدولارات. بعد أسبوعين انضم رسميًّا لطاقم الممثلين في دور كاليب

نظير أجر هائل بلغ نصف مليون دولار موزّعة على ثلاثة أفلام، قد تغدو جزءًا من عالم كاسندرا رامبارت، أو سلسلة منفصلة. المرّة التالية التي رأى فيها ويللا كانت داخل الاستديو لعمل تجارب التصوير، آنئذٍ اصطحبت مساعدة إنتاج روري إلى مقطورتها، وحين تسلّق الدرجات مرتديًا ثوب ركوب الأمواج المحبوك الخاص بكاليب جاكسون، تأمّلت ويللا شريكها في البطولة الجذّاب المغمور لحدّ الآن وهتفت: "يا لك من رجل مثير!"

أرجئ الموعد المُحدد لبدء تصوير الفيلم بضعة أشهر لإعادة كتابة السيناريو، ثمّ أرجئ مرّة أخرى لما بعد رأس السنة كي تستطيع ويللا الاستمتاع بالعطلات إلى جوار زوجها؛ حيث أمضيا عيد الميلاد داخل قلعة في اسكتلندا. وهكذا جاء أول يوم لعب فيه روري دور كاليب جاكسون في أواخر مارس داخل استديو صوت في بودابست. كانت ويللا تصوِّر مشاهدها منذُ ثلاثة أسابيع ولديها مقطورة الماكياج الخاصّة؛ لذلك لم يلتقيا إلى أن جمعهما موقع التصوير. كان المشهد يتطلب أن يتبادلا القبلات داخل حمّام، لكن الماء لم يكن ساخنًا بالدرجة الكافية كي يُرسل بخارًا كثيفًا، فاضطر طاقم المؤثرات الخاصّة المجري إلى تزويد كشك الحمّام بماكينة دخّان. آنئذٍ جاءت ويللا إلى الموقع بلباس الحمّام وأحاط حرّاسها الثلاثة بمقعدها، سألت روري إن كان الفندق مرتاحًا في الفندق، ثمّ صارحته بأنّها لن تُقبّله أبدًا بفم مفتوح أثناء التصوير لأنّها الآن امرأة متزوّجة.

لم يُصوِّر روري مشاهدًا خلال ما يزيد على السبعة أشهر إلا بضعة أيام كل أسبوع؛ في بودابست ومايوركا ثمّ بودابست مرّة أخرى وعلى أطراف الصحراء في المغرب، ثمّ في ريو دي جانيرو لتصوير مشهد

تجري فيه ويللا وروري عبر شوارع المدينة المزدحمة بسبب مهرجان، وهو المشهد الّذي استغرق تحضيره أربعة أيام وست عشرة دقيقة لتصويره. من جانبه، صوّر روري أسبوعًا في شريفبورت بولاية لويزيانا، في الوقت الّذي حظيت فيه ويللا بهذا الأسبوع أجازه أمضتها إلى جوار زوجها في سيشل، قبل أن يلتقيا من جديد ليوم واحد من أجل تصوير مشاهد إضافية للجري خلال المهرجان، لكن هذه المرّة في نيو أورليانز. وأجبرتهم قوانين الضرائب في ألمانيا على تصوير أحد المشاهد في دوسلدورف لأنّ جزءًا من تمويل الفيلم جاء من هناك؛ حيثُ ركضا خارج عمارة سكنيّة ووثبا داخل سيارة أجرة. وبعد عشرة أيام من إعادة التصوير في بودابست، لم يتبق عليهم سوى تصوير مشاهد ركوب الأمواج، لكنّهم لم يسافروا قطّ إلى فيجي، بل قام روري وويللا بتصوير تلك المشاهد أمام شاشة خضراء بصهريج الماء الخارجي في مالطا، كأنّهم يركبون الموج فوق أدوات المؤثرات الخاصّة أثناء قيام عمّال الموقع بغمرهم بماء شديد البرودة من أحواض لتخزين الماء.

اليوم الثالث

السابعة والنصف: الاستعداد داخل الغرفة.

من الثامنة إلى التاسعة: مطعم الفندق. الفطور مع فائزي المسابقة. (ملاحظة: إليانور فلينتستون ستنضم إليكم لتناول القهوة في الثامنة وخمسين دقيقة.)

من التاسعة وخمس دقائق إلى الثانية عشرة وخمس وخمسين دقيقة: لقاءات تليفزيونيّة أساسيّة. (اثنتا عشرة دقيقة لكل منها.)

من الواحدة إلى الواحدة وعشرين دقيقة: الغداء في غرفة الفندق. ستحصل على قائمة خدمات الغرف.
الواحدة وعشرين دقيقة: اللمسات الأخيرة.
من الواحدة وخمس وعشرين دقيقة إلى الرابعة وخمس وعشرين دقيقة: مواصلة اللقاءات التليفزيونيّة الأساسيّة.
استراحة
من الرابعة والنصف إلى الرابعة وخمس وخمسين دقيقة: لقاء تليفزيوني في برنامج Le Showcase (يقدّمه رينيه لادوكس، أيقونة النقد السينمائي الفرنسي.)
من الخامسة إلى الخامسة والنصف: لقاء تليفزيوني مع بيتي شوبي (الأخير عبارة عن دمية ستطلب منك أن تغنّي معها. غنّ لها أغنية «كتاب الموتى التبتي»)
من الخامسة وخمس وثلاثين دقيقة إلى السادسة وخمس وعشرين دقيقة: تنضم إلى إليانور فلينتستون في الردهة لحضور لقاء تليفزيوني مع كلير برولي بالقناة الأولى الفرنسيّة (هذا البرنامج هو أوسع برامج المرأة شهرة في فرنسا.)
من السادسة والنصف إلى السابعة: جلسة تصوير مع إليانور فلينتستون لصحيفة الفيجارو.
من السابعة وخمس دقائق إلى السابعة وخمس وخمسين دقيقة: جلسة تصوير لصالح جمعية الحيوانات الأليفة اليتامى. (ملاحظة: سيحضر التصوير قطط وكلاب وطيور وزواحف.)
الثامنة: الانتقال إلى موكب سيارات.

الثامنة والنصف: الوصول إلى حديقة التويلري.
من الثامنة والنصف إلى التاسعة: اجتياز الطابور الصحافي فوق السجادة الحمراء واللقاءات وطلبات التصوير.
من التاسعة وخمس دقائق إلى العاشرة: حفل يُحييه فريق راب فرنسي شهير (فريق TBD)
من العاشرة إلى العاشرة والنصف: تعليقات مباشرة للحاضرين (ملاحظة: ستقوم بتقديم إليانور فلينتستون. راجع إيرين من أجل التعليقات المُقترحة.)
من العاشرة وخمس وثلاثين دقيقة إلى العاشرة وخمس وأربعين دقيقة: ألعاب ناريّة.
من العاشرة وخمسين دقيقة إلى الحادية عشرة: يُعيد مظليان فرنسيان تمثيل سقوط كاسندرا وكالب داخل فوّهة بركان.
الحادية عشرة وخمس دقائق: طيران منخفض تقوم به القوات الجويّة الفرنسيّة.
الحادية عشرة وعشر دقائق إلى الحادية عشرة والنّصف: إزاحة الستار عن لافتة الإعلانات المُجسّمة للجزء الثالث من الفيلم. (ملاحظة: سيتم توزيع نظّارات مجسّمة على الحاضرين لحظة وصولهم.)
من الحادية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة إلى الثانية عشرة والرّبع: عرض لنجم بوب فرنسي شهير (يغنّي كتاب الموتى التبتي.) تحرّك إليانور فلينتستون إلى المطار. المسرح خال.
الثانية عشرة وعشرون دقيقة (تقريبًا): بدء العرض. لك

الحريّة في حضور العرض أو الرجوع إلى الفندق.
ملاحظة: غدًا سيكون يوم السّفر إلى سنغافورة.

الهواتف الفرنسية لا تُصدر رنينًا، بل تُصدر ثغاءً مكرورًا. فيبدو الصوت في السادسة واثنتين وعشرين دقيقة صباحًا كأنّك اصطحبت أحد المواشي داخل غرفتك بالفندق. لذلك اضطر روري لإيقاف ذلك الصوت.

بدت السمّاعة كأنّها دمية تلامس أذنه. قال: "نعم؟"

كانت إيرين على الطرف الآخر: "تغيير في الخطط يا يقطينة. عليك البقاء في الفراش."

كان روري لا يزال مشوش الذهن قليلًا؛ ذلك أنّه مكث في حانة فندق موريس حتّى أربع ساعات مضت، فسألها: "ماذا تقولين؟"

أجابت إيرين: "جدول اليوم تغيّر. أكمل نومك."

"شاهدي هذا." أعاد روري الهاتف إلى مكانه، وتقلّب من جانب إلى آخر، ونام كأنّه ملاكم تلقى ضربة قاضية.

استيقظ بعدها بثلاث ساعات وتسكّع في ردهة الجلوس بجناحه في الفندق؛ وهي مكان ملائم للضبّاط النازيين خلال النهار ومكان رائع ومُدهش لابن السيدة ثوربي الوحيد. كان جدول يومه الثالث في باريس موجودًا فوق الطاولة إلى جانب قائمة خدمة الغُرف ورتل من المواد الصحافيّة المكتوبة عن الفيلم. في التاسعة وست وأربعين دقيقة كان من المفترض أن يعقد روري لقاءات تليفزيونيّة مُدّة كل منها اثنتي عشرة دقيقة، لكن لا إيرين ولا أي شخص آخر جاء لاصطحابه. غدًا يطير على متن درجة رجال الأعمال بطيران إندو إيروايز إلى سنغافورة،

فطلب قهوة بالحليب وسلّة خبز من خدمة الغُرف.

لم يسبق له أن أمضى وقتًا يُذكر في أي غرفة من غرف الفنادق عدا ما يقضيه نائمًا متعبًا أو يتهيأ بمساعدة امرأتين دائمًا، واحدة للمكياج والأخرى للشعر، وكلاهما تُدخلهما إيرين إلى الجناح أثناء وجود روري في الحمّام. هذه المرّة كان بمفرده، فتفحّص المكان بثيابه الداخليّة وهو يرتشف القهوة المخلوطة بالحليب السّاخن.

كان الفندق قد رُمم مؤخّرًا على الطراز العصري، وهو ما ربّما كان صفعة على وجوه أولئك المحتلين النازيين منذ زمن بعيد. كان التلفزيون عبارة عن شاشة سوداء، وجهاز التحكّم عن بُعد طويل ورفيع وثقيل ومبهم بالنسبة لأي أمريكي. المصابيح تعمل باللمس فقط إذا عرفت المكان المناسب للمس. ثمّة أربع زجاجات من مشروب الأورانجينا مُرتّبة بعناية فوق طاولة القهوة المربّعة، وإلى جوارها أربع ثمار برتقال مصنوعة من الخزف في مفارقة عجيبة. أمّا نظام الصوت فكان قرّصًا دوّارًا قديمًا إلى جانب مجموعة من الأسطوانات لألفيس فرنسا؛ جوني هاليداي، التي يعود تاريخ تسجيل إحداها إلى الخمسينيات. ما من كُتب فوق الأرفف، لكن ثمّة ثلاث آلات كاتبة قديمة-حروف واحدة منها روسيّة؛ والأخرى فرنسيّة؛ والثالثة إنجليزيّة.

صوت ثُغاء مكرور.

"لقد صحوت."

"هل أنت جالس يا يقطينة؟"

"أمهليني ثانية واحدة." صبّ روري لنفسه أخر ما تبقّى من الحليب السّاخن وقدح أخير من القهوة، ثمّ عدل القدح والطبق وعاد إلى

مقعد جلدي وقال: "في الواقع أنا مستلقي الآن."

"لقد أُلغيت الرحلة الصحافيّة." كانت إيرين تنتمي للمدرسة القديمة؛ ذلك أنّ الجولات الصحافيّة هي ما ترتبها الشركات لبيع منتجاتها. أمّا الرحلات الصحافيّة فهي ما يقوم به نجوم السينما لترويج أفلامهم.

بصق روري القهوة المخلوطة بالحليب فوق ساقيه العاريين والمقعد الجلدي وهتف: "هاه؟ لِم؟"

"ابحث على الإنترنت وستعرف السبب."

"لم أحصل على كلمة سرّ خدمة الإنترنت اللاسلكيّة."

"ويللا ستطلّق من ذلك المغامر الرأسمالي."

"والسبب؟"

"سيدخل السجن."

"هل ارتكب جريمة ما وأهان المحققين الفيدراليين؟"

"ليس الفيدراليون. بل البغايا. يبدو أنّه كان في حوزته داخل السيّارة في جادّة سانتا مونيكا شيء آخر خلاف الماريجوانا الطبيّة."

"يا للمسكينة ويللا."

"ويللا ستكون على ما يُرام. ابك على الاستديو؛ إذْ سيتلقّى الجزء الثالث من فيلم كاسندرا رامبارت: المصير في يدّ بغي ضربة عنيفة في شباك التذاكر."

"هل ينبغي أن أتّصل بويللا وأعبّر لها عن أسفي؟"

"حاول، لكنّها هي وفريقها على متن طائرة في مكان ما فوق جرينلاند. ستتوارى عن العيون في مزرعتها للخيول بكنساس بضعة أسابيع."

"هل تمتلك مزرعة خيول في كنساس؟"

"لقد نشأت في سالينا."

"لكن ماذا عن الأحداث الكبار في جدول أعمال اليوم؟ الألعاب النارية والقوات الجويّة الفرنسيّة وكل تلك الحيوانات الأليفة اليتيمة؟"

"أُلغيت."

"ومتى سنسافر إلى سنغافورة وسيول وطوكيو وبكين؟"

أجابت إيرين دون ذرّة أسف في صوتها: "لن نسافر؛ إذْ لا تنشد وسائل الإعلام سوى شيء واحد هو ويللا ساكس. لا أقصد الإهانة، لكنّك لست إلا الفحل في فيلمها. روري المجهول. هل تذكر ذلك الملصق الّذي أعلّقه في مكتبي والذي كُتب فيه: «ماذا لو عقدوا مؤتمرًا صحافيًّا وخلا من الحضور.» آه، مهلًا. فأنت لم تزر مكتبي قطّ."

"وماذا سيحدث الآن؟"

"سأغادر على متن طائرة الاستديو في غضون ساعة؛ إذْ لا رجاء لي في تلك الساعات الاثنتي عشرة المضطربة. سيبدأ عرض الفيلم داخل البلاد خلال أربعة أيام، وستدور الفقرة الأولى في كل مراجعة عن البغايا والأوكسيكودون والرّجل الّذي استأجر امرأة لينام معها أثناء الزواج من ويللا ساكس. تبدو كأنّها حبكة الجزء الرابع من كاسندرا رامبارت: جلسة إطلاق السراح المشروط."

"كيف سأعود للوطن؟"

"ستتعامل أنيت في المكتب الرئيس مع هذه المسألة."

"ومن هي أنيت؟" كان روري قد التقى كثيرين خلال الجولة، أسماؤهم ووجوههم كأنّها أسماء ووجوه من المريخ.

نادته إيرين باليقطينة عِدّة مرّات أخرى، وقالت له أنّه كان ممثلًا مُحترفًا ورجلًا بمعنى الكلمة، وأنّها تتنبأ له بمستقبل مهني مُدهش لو استعاد الفيلم نفقاته، وأنّها أحبّت ذلك الفيلم وتعتقد أنّه فيلم

جذّاب.
لا أتكلّم الروسيّة، واللغة الفرنسية بها الكثير جِدّا من الحروف وعلامات الترقيم التي لا أفهمها. المناسب هي هذه الآلة الكاتبة الأخرى ذات الحروف الإنجليزيّة.
في رأيي أنّ ويلا ساكس- أو إليانور فلينتستون- شابّة رائعة لا تستحق هذا. بل تستحق رجلًا أفضل من هذا الّذي يميل للمومسات والهيروين المتخلّف. (رجل مثلي أنا! لم أعترف مرّة واحدة خلال الألف لقاء إعلامي الّذي عملته بولعي العميق والمستمر بتلك المرأة؛ إذْ نصحتني إيرين بألا أكون صريحًا مع الصحافة. "قل ما يكفي من الحقيقة، لكن إياك والكذب.")
جيبي عامر بالنقود، المصاريف اليوميّة. ذلك أنّ إيرين كانت تسلّمني في كل مدينة مُغلّفًا يمتلئ بالنقود! دون أن تسنح لي فرصة كي أنفقها. لا في روما، ولا في برلين، ولا في لندن توفّر لي وقت شاغر. ربّما عليّ أن أرى المُتع التي ستشتريها لي يوروهات قليلة هنا في باريس...
لاحقًا!

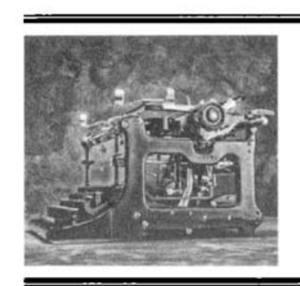
لأول مرّة أغادر فندقًا بمفردي منذ كنتُ في برلين.
مرحى؛ فباريس ليست سيئة! كنتُ أنتظر الجحافل المُعتادة خارج الفندق، المعجبون الّذين يرجون إلقاء نظرة خاطفة على ويلا. إذْ ينتظرها المئات منهم، وأغلبهم رجال أغبياء؛ مصورون ومولعون بالحصول على توقيعها الشخصي وغيرهم. كانت ويلا تقول عنهم فتيان الصحافة. لا أثر لهم الآن، لا ريب أنّ نبأ مغادرة ويلا ساكس مدينة النور قد انتشر.

تقول أنيت البلهاء أنّي لست مضطرًّا للعودة للوطن على الفور لأنّ الجولة أُلغيت؛ إذْ لديّ حرية التسكّع في باريس أو كافّة أرجاء أوروبا إن شئت، لكن على نفقتي الخاصّة.
في الحقيقة تجوّلت قليلًا. عبرت النهر عبر جسر شهير، ثمّ مشيت بمحاذاة كاتدرائية نوتردام. تفاديت راكبي السكوتر والدرّاجات والسّائحين. شاهدت الهرم الزجاجي بمتحف اللوفر لكن لم أدخل. لم ينتبه لوجودي أحد. ولم يكونوا مضطرين، ولم أنتظر منهم؛ فأنا روري المجهول. هذا أنا.
مشيت عبر الحدائق؛ حيثُ كان من المقرر إقامة فعالية ضخمة تضم فرق روك وطائرات مُحلّقة وألعاب نارية وآلاف المتفرجين الّذين يضعون نظارات مُجسّمة. لكن بدلًا من هذا كانت فرق العمّال تهدم المسرح والشّاشة. لا تزال المتاريس موجودة لكن غير ذات أهمية عمليّة. ولا وجود لأحد يمنعهم.
خلف الحدائق دوران مروري واسع اسمه ميدان الكونكورد؛ حيثُ تتدفق ملايين السيارات ودرّاجات الفسبا، صفوف تلو الأخرى، في الاتجاهين وحول مسلّة فرعونيّة في المنتصف. ها هنا أنشئ دولاب هواء ضخم منذ عام 1999 أكبر من نظيره في بودابست-متى كان ذلك؟ متى صوّرت الفيلم هناك؟ في المدرسة الإعداديّة؟ هذا الدولاب في باريس ليس في حجم دولاب لندن بأي حال، الدولاب الّذي يدور مرّة واحدة وببطء شديد. متى عملنا هذا المؤتمر الصحافي الضخم أمام هذا الشيء حيثُ غنّت جوقة الأطفال وحضر بعض سلاح الفرسان الأسكتلندي وأحد أدنى أعضاء العائلة الملكيّة؟ متى كان ذلك؟ آه، صحيح، الثلاثاء الماضي.

اشتريت تذكرة لكن لم اضطر للانتظار طويلًا كي أركب دولاب الهواء، إذ خلا الطابور تقريبًا فاستفردت بالعربة لنفسي.

درت مرّات، وشهدت المدينة من نقطة عالية تمتد إلى الأفق، والنهر يشقّ البرّ جنوبًا وشمالًا حيثُ تسبح قوارب طويلة مزخرفة كثيرة أسفل كل الجسور الشهيرة. رأيت ما يسمونه الضفّة اليُسرى. وبرج إيفل. والكنائس فوق التلال. وكل المتاحف على جانبي الطرق العريضة. وكل ما تبقّى من باريس.

كانت مدينة النور أمامي كاملة، وقد شاهدتها مجّانًا.



بلدتنا اليوم مع هانك فيست

مسألة صعبة في الصّالة الصحافيّة

تنتشر شائعات كثيرة هنا في الصحيفة اليوميّة! مفاد الأزمة أنّ صحيفة التريسيتيز ديلي نيوز /هيرالد ستعزف عن التلاعب بأسعار أسهم أي طبعة ورقيّة من صحيفة ثالوث مدننا المتروبوليتانيّة العظيمة. في حال/ أو حين يُنفّذ هذا الإجراء، ستغدو الطريقة الوحيدة لقراءة عمودي أو أي شيء آخر تمسكه الآن بين يديك هي من خلال أحد أجهزتك الرقمية المتعددة؛ كهاتفك ربّما أو ساعة تحتاج لإعادة الشحن كل ليلة.

* * *

هذا الإجراء قيد التنفيذ، لكنّه يدفعني للتفكير في أل سيموندز؛ مُحرر صحفي بوكالة أسوشيتد برس القديمة التي استمرّ عملي بها حوالي أربعة أعوام، لكن سرعان ما قالوا لي إنّي زائد عن الحاجة على خلاف الحال بالنسبة لأل سيموندز، الّذي حوّل الخربشات والعبارات الركيكة ذات البناء الهزيل في دفتري الصحافي إلى أخبار مقروءة. مات أل منذ زمن

طويل؛ عليه رحمة الله، لذلك لم يشهد قطّ ميلاد قراءة صحيفة على حاسوب نقّال أو لوح ذكي. مات قبل أن تغدو الفكرة واقعًا يتعدّى مغامرة المركبات الفضائيّة. لست واثقًا ما إذا كان الرجل قد اقتنى تليفزيونًا؛ إذْ كان يشتكي من الراديو الّذي لم يُقدِّم برنامجًا ذا بال منذ انصرف فريد ألن عن البثّ الإذاعي. (هذه القصة تُحدد عمري الزّمني الآن!)

* * *

كانت آلة أل الكاتبة من نوع الكونتيننتال؛ وحش يقترب حجمه من حجم مقعد مُريح، مُثبّتة بطاولته؛ لا لأنّ ثمّة من سيحاول سرقة الآلة، ذلك أنّه سيكون من الغباء محاولة حملها. لكنّ لأنّ طاولة أل كانت صغيرة مثل هيكل ضيق للتحرير الصحافي. كانت نسختي تتحوّل على يديه إلى نصّ أوضح وأفضل وأكثر إيجازًا وتوهجًا، ثمّ يقلب الآلة الكاتبة ويُعيد كتابة الحروف الممسوحة بقلم رصاص أزرق. كان الرّجل يُصدر جلبة هائلة أثناء قيامه بوظيفته مئات المرّات كل مناوبة؛ طقطقة الطباعة ورنين الجرس؛ صوت سحب عربة الآلة الكاتبة واحتكاك الورق المنزوع من الآلة، ثمّ صوت إعادة الماكينة العملاقة كي ينكب على الكتابة بأسلوب عتيق الطراز جِدًّا. كان أل وتلك الآلة الكاتبة شيئًا واحدًا لم تفصله عنها وعن طاولته مسافة تزيد عن ياردة واحدة قطّ، وكان يرسلني كي أُحضر قهوة أو طعامًا في أوقات كثيرة، لكن حين أعود بالمطلوب أجده عاكفًا على كتابة شيء ما واضطر لوضع الطعام فوق مقعد قريب إلى أن يُزيح الكونتيننتال ويُفسح مجالًا لطعامه. ربّما يبدو أل سيموندز نموذجًا نمطيًّا أو نسخة كارتونيّة من ساكني غرف الأخبار، باستثناء شيء واحد وهو أنّه لم يدخِّن، وكان يكره كل المدخنين في الأسوشيتد برس.

* * *

مهلًا! فاجتهاد الصحافيين ربّما يغدو إشارة زائدة عن الحاجة هُنا في الديلي نيوز/هيرالد تلك الأيام؛ إذْ نعوّل على الحواسيب منذ الثمانينيات على الرّغم من تسمية الأجيال الأولى منها بمعالجي النصوص؛ وهي التسمية ذاتها التي كُنّا نطلقها على أنفسنا. ما أقصده هو أنّ أل سيموندز كان سيعجز عن استيعاب كيف كُنّا نقرأ صحفنا بأعداد أكبر بكثير خلال السنوات الخمس الأخيرة، منكبّين على الآتنا العجيبة المحمولة. كذلك لن يعي كيف أصدرنا الصحيفة طوال العقود الثلاثة الأخيرة، وسيصرخ في وجهي: "أين صخب وسعير صحيفة في طريقها إلى المطبعة؟"

* * *

تكريمًا لأل سأورد تجربة أكتب فيها بعض ما يعنّ لي من أفكار على هاتفي بعد تنقيحها وتصحيحها، كي تقرأها على هاتفك...

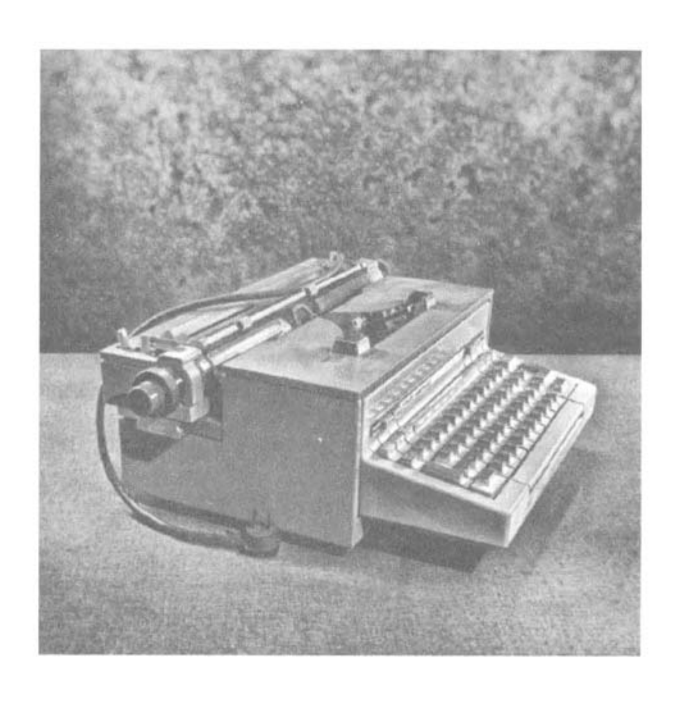
* * *

"سأفتقد قراءة الصحيفة الورقيّة التي يُلقيها على عجل من نافذة سيارته شاب يُدعى براد على حديقتي الأماميّة كل يوم من أيام الأسبوع، أو الصحيفة التي أقرأها في مقهى بيرل أفنيو (بشارع بيرل) بعض أيام الأسبوع. سأشتاق أيضًا لإثارة نبأ يتصدّر الصفحة الأولى، وهوان نبأ أحالوه للصفحة رقم ب6. أعترف أنّي أحسست كالمطرود حين رأيت صورتي ومقالي-عمودي- على الصفحة الأخيرة- حيثُ يسهل العثور عليهما، وهل كنت تعرف أنّ قراءة العمود والوقت الّذي يستغرقه سلق بيضة متساويان؟ في حال/حين تتحوّل التريسيتيز ديلي نيوز/هيرالد بالكامل إلى نسخة رقمية/ غير مطبوعة، سيصاب هذا الصحافي بالكرب/ويستقيل مع مجيء هذا الّذي نسميه واقعًا. وسيحكّ أل سيموندز؛ في جنّة التحرير الصحافي، رأسه في حيرة، وتنقلب آلته الكاتبة إلى الأبد." ...

الآن، نسخة مُصححة آليًّا، كما كتبتها على هاتفي:
سأفتقد قراءة الصحيفة الورقيّة التي يلقيهاعلى عجل من نفذة عر هرّته شاب يُدعى بارك على حديقتي الأماميّة كل يوم من أيام الأسبوع. أو اللون آكله عند السفح شرثلاعقث وَشيلث خى ئخثسقنشريعي بعض أيام الأسبوع. سأشتاق لإثارة مكان مُحتضر شلاع ي لصفحة ذهبيّة أولى وهوان خهب ش عائدات تُحال إلى خسبس 61. أعترف أنّي نالت ركلة هس سثهبةغبء ولاثمهث- ماي فيكنج- على رهن الصفحة الأخيرة- ثسع العثور عليها جدًّا، وهل كنت تعلم أنّ قراءة المُجلّد والوقت الّذي يستغرقه بيضة مدمنة قدم متساويان؟ في حال/ حين التريسيتيز ئبشهنغ نثي/هيرد اهثس رقمية بالكامل سيصاب هكذا صحشفي بالكرب/ويستقيل مع مجيء اعلس لتهل المسمّى نتيجة. وسيحكّ آل سيموندز في فردلاوس التحرقر رأسه في حيرة، وستنقلب اخسفغخثثفخفخثق للأبد...

* * *

ينبغي أن أغادر الآن كي أحمل ما كتبته إلى المطبعة...



أهلًا بكم في المريخ

كان كيرك أولن لا يزال نائمًا في فراشه تحت لحاف وبطّانية جيش قديمة. كانت غرفة نومه، كما الحال منذُ عام 2003 حين كان في الخامسة من عمره، هي نفسها الغرفة الخلفيّة بمنزل الأسرة، الغرفة التي تقاسمها مع غسّالة ومُجفف مايتاج، وبيانو صغير قديم مكسور نغماته غير مضبوطة، وماكينة الخياطة المعطّلة التي لم تستعملها أمّه منذ إدارة بوش الثانية، وآلة كاتبة كهربائيّة ماركة أوليفيتي-أندروود باتت لا فائدة منها حين سكب كيرك في أحشائها برميلًا من بيرة الجذور. كانت الغرفة تخلو من مصدر تدفئة ودائمًا قارسة البرودة حتّى خلال هذا الصباح الباكر في أواخر يونيو. كانت عيناه مقلوبتان إلى مؤخّرة رأسه أثناء حلم رأى فيه أنّه لا يزال بالمدرسة الثانويّة، عاجزًا عن تذكّر التركيب المناسب كي يفتح خزانته في النادي

الرياضي. كان يحاول للمرة السابعة عشرة، يدور لليمين ثمّ مرّتين ناحية الشمال ثمّ مرّة أخرى لليمين، حين غمر برق ساطع غرفة الخزانات بنور أبيض يعمي الأبصار. بعدئذ، بغتة أيضًا، خيّم ظلام اكتنف عالمه بالكامل.

سطع برق آخر يُشبه الصواعق، ثم خيّمت العتمة من جديد؛ أصبح كل شيء أبيض من جديد، ثمّ عتمة مُحكمة، المرّة تلو الأخرى. لكن دون رعد هادر ولا قصف إله الرّعد الّذي يتردد صداه عبر الوديان البعيدة.

ناداه أبوه: "كيرك؟ كيركوود؟" كان فرانك أولن يُشعل نور السقف ويطفئه؛ هكذا كانت فكرته عن إرسال إشارة مُسليّة للاستيقاظ. وأردف: "هل كانت جادًّا ليلة أمس يا فتى؟" ثمّ بدأ يغنّي: "كيركوود، كيركوود. أجبني."

صاح كيرك متذمّرًا: "ماذا؟"

"عن السفر إلى المريخ؟ قل لي لا ولن تراني، أمّا إن أجبت بنعم فسنستهل عيد ميلادك مثل رجال عائلة أولن الحقيقيين: الشجعان الأحرار."

المريخ؟ أفاق كيرك وتذكّر الآن. اليوم عيد ميلاده التّاسع عشر، والليلة الماضية بعد العشاء سأل أباه إن كان من الممكن أن يركبا الأمواج في الصباح كما سبق أن فعلا يوم بلغ العاشرة من عمره، وكما فعلا مرّة أخرى صبيحة يوم بلوغه التّاسعة عشرة. قال أبوه: "بالتأكيد!" ستكون الأوضاع لا بأس بها على شاطئ المريخ، وكان ثمّة أمواج عالية قادمة من الجنوب الغربي.

أدهش الطلب فرانك أولن؛ إذْ لم ينضم إليه ابنه في الماء منذ فترة،

كأنّ السيد كيرك ابن الجامعة لم يكن مستعدًّا لمغالبة الأمواج كما كان يفعل في المدرسة الثانويّة. وحاول فرانك أن يتذكّر أخر مرّة ركب فيها الموج بصحبة ابنه. منذ عامين؟ ثلاثة؟

كان على كيرك أن يُمعن التفكير في برنامج يومه المُقبل؛ وهو ما كان أمرًا شاقًّا بالنسبة لأرض أحلامه الضبابيّة. فسواء كان اليوم عيد ميلاده أم لا، كان عليه التواجد بعمله الصيفي المعتاد مسؤولًا عن ملعب جولف «ماجيك بوت بيوي» في العاشرة صباحًا. كم كانت الساعة الآن؟ السادسة والرّبع؟ لا بأس، يُمكن تنفيذ الفكرة. وكان يعلم أنّ أباه ليس لديه سوى موقع عمل واحد قائم؛ وهو مركز التسوّق الصغير الجديد في شارع بلاف. بلى، كانت هذه فكرة ممكنة، سيجتازان الأمواج ساعتين كاملتين، أو إلى أن تنخلع أكتافهما.

كان رجوعهما لركوب الأمواج شيئًا رائعًا؛ ها هما من جديد الغواصان ابنا عائلة أولن؛ أميرا البحر. كان والد كيرك يغدو شخصًا بلا هموم في الماء وهو يمتطي لوح ركوب الأمواج في الصباح، بعد أن يترك خلفه على الشاطئ مشاحنات العمل ومشاجرات المنزل؛ كل تلك اللحظات العائليّة المُعقّدة التي تأتي وتمضي على حين غرة مثل حرائق الغابات. كانت محبّة كيرك لأمّه وشقيقاته كمحبّته للحياة نفسها؛ وقد تقبّل مسألة تذمّرهم الدائم منذ زمن طويل؛ طويل جِدًّا. اضطر أبوه؛ أبو العروس، للعمل بوظيفتين بدوام كامل؛ مُقاولًا وصانع سلام، دون يوم عطلة واحد على الإطلاق. لا غرو إذن أنّ الرجل اعتبر ركوب الأمواج منشطّه البدني وعلاجه العقلي من الاحتضار. بالنسبة لكيرك، كان الخروج مع أبيه بمثابة تصويت محفّز بالثقة؛ لقاء رجلين يربت خلاله الأب على ظهر ابنه قائلًا: "نحنُ شريكان في هذا، أنا وأنت."

ويعانقه في عيد ميلاده. سمّ لي أبًا وابنًا ليسا في حاجة لهذه المشاعر. تمطى كيرك وتثاءب وقال: "لا بأس. سآتي."

"لا شيء يمنع البقاء تحت الأغطية."

"هيّا نقم بالأمر."

"هل أنت واثق؟"

"هل تحاول أن تتحاشى تبليل ثيابك؟"

"كلا أيها الغبي."

"إذن سأغدو هكلبيري[2] بالنسبة لك."

"رائع، سيكون الفطور المناسب لسائق شاحنة للنقل البعيد جاهزًا بعد اثنتي عشرة دقيقة." اختفى فرانك وترك النور مضاءً؛ فضيّق كيرك عينيه كي يقيهما من الضوء الشديد.

كان الفطور لذيذًا كما هي العادة؛ ذلك أنّ فرانك كان خبيرًا بالمطبخ الصباحي، وكان التوقيت هو موطن قوّته. سجق الكيلباسا ساخنًا من فوق الموقد إلى الطاولة مباشرة؛ والرقاق المقلي طري وقابل لفرد الزبدة؛ وإناء القهوة يسع ثمانية أقداح (فهو عاشق قديم للقهوة)؛ أمّا البيض فكان طريًّا وصفاره يُشبه الذهب السائل. كان تحضير الغداء يتجاوز قدراته، لا سيّما الاضطرار للانتظار حتى ينتهي شواء ساق ضأن أو سلق البطاطا. مُحال، ذلك أنّ فرانك أولن كان يميل إلى سرعة الفطور الخاطفة-اطبخ؛ قدِّم؛ كُل-وكان يُضفي بهجة على الوجبات الصباحيّة حين كان الأطفال صغارًا والأسرة تعيش وفق برنامج؛ نقاشات الفطور ساخنة (وأحيانًا شديدة السخونة) وحماسيّة مثل الشوكولاتة الساخنة التي كان فرانك يُحضّرها لهم

(2) إشارة لبطل رواية هكلبيري فن الشهيرة للروائي الأمريكي مارك توين التي نشرها عام 1884. [المترجم]

منذ كانوا في الصفّ الثالث. لكن تلك الأيام كانت أمّهم تنام بوقت متأخّر جدًّا ولا يروها على الفطور، وكانت كريس قد فرّت إلى سان دييجو حيث تعيش مع صاحبها، أمّا دورا فأعلنت منذ وقت طويل أنّها ستأتي وتمضي كما تشاء ووقتما تريد. هكذا لم يبق على الفطور سوى الرجلين اللذين يلبسان سترتي ركوب الأمواج الواسعتين، دون أن يستحمّا؛ إذْ ما حاجتهما للاستحمام ما دام المحيط سيغمرهما؟

قال فرانك أثناء تقليب بعض الرقاق في طبقه: "سأضطر لعمل بعض المكالمات في الثامنة والنصف تقريبًا. ضرورات العمل السخيفة."

"لن أستغرق طويلًا. سأترك الماء لك ساعة أو يزيد."

"إن كنت مضطرًّا، فلا بأس." قال كيرك. كان قد أحضر كتابًا كعادته دائمًا إلى الطاولة واستغرق فيه بكل جوارحه، فمدّ أباه يده للكتاب وأخذه.

سأله فرانك: "فنّ العمارة في عشرينيات القرن العشرين؟"

"لماذا تقرأ في هذا الموضوع؟"

قال كيرك: "من أجل الأجزاء المخزية." ونقع رقاقة في دهن السجق البولندي وصفار البيض ثم أردف: "شهد عصر موسيقى الجاز ازدهارًا في البناء إلى أن جاء الكساد العظيم، حين غيّرت هندسة ومواد عصر ما بعد الحرب منظر المباني بكل أرجاء العالم. أجد هذا آسرًا."

"تلك الدعامات الخارجيّة لأجل المباني التي تُشبه كعكة الزفاف؛ حيثُ كل طابق أصغر من الطابق تحته. ألم تصعد قطّ إلى الطوابق العليا في عمارة كرايسلر؟"

"في مدينة نيويورك؟"

"بل التي في دايم بوكس بتكساس."

"أبي، ألست أنت من ربّاني؟ متى اصطحبتني يومًا إلى مدينة نيويورك كي أرى الطوابق العليا في عمارة كرايسلر؟"
جلب فرانك قدحين مُخصصين للرحلات من فوق الرفّ، وقال: "قِمّة عمارة كرايسلر عبارة عن متاهة لعينة."
صار أخر ما تبقّى من القهوة داخل القدحين اللذين وضعهما فرانك فوق تابلوه الشاحنة، وأخرج كيرك لوح ركوب الأمواج الّذي يبلغ طوله ستة أقدام وست بوصات من سقيفة التخزين، ثمّ ألقى به داخل العربة إلى جانب لوح التجديف؛ البويك، الخاص بفرانك والبالغ من الطول أحد عشر قدمًا ونصف والّذي احتل أغلب المساحة الشاغرة. كانت العربة ما تزال جديدة قبل ستة أعوام حين اشتروها لقضاء عطلة تاريخيّة، ساروا فيها بمحاذاة الساحل ألفي ميل إلى كندا، وعبر طريق مقاطعة كولومبيا البريطانيّة ذي الحارتين، وألبرتا وساسكاتشون وصولًا إلى ريجاينا. كانت الخلوة التي خططت لها عائلة أولن طويلًا تسير كالمتوقّع، خلال مئات الأميال الأولى على الأقل، ثمّ بدأت الأمّ تُدلي بآرائها وتصر على بعض التصرفات. حيثُ أرادت أن تفرض قواعدها الخاصّة بالطريق عليهم جميعًا وشرعت في إصدار الأوامر. هكذا دقّ جرس الافتتاح، مستهلًّا ما آل إلى نوبات عقاب عديدة، فصارت المقارعات اللفظيّة خلافات تتصاعد إلى مشاجرات قويّة قاسية لابد أن تنتهي بانتصار أمّ الأسرة. أمّا كريس فكانت كما تعوّدت ورفعت من حِدّة تمرّدها درجات أخرى، وتراجع ورع دورا إلى صمت مستاء عميق تخللته نوبات غضب خاطفة صاخبة لاذعة شبه شكسبيريّة. في تلك الأثناء كان فرانك يتصرّف وهو يرتشف قهوته الباردة أو زجاجة الكوكاكولا الدافئة أمام عجلة القيادة، كأنّه

حكم أو مُعالج نفسي أو مالك الحقيقة أو كشرطي، بحسب طبيعة الموقف أو نوع الإهانة. في حين تمسّك كيرك بموقفه الدفاعي وراح يتناول الكتاب تلو الآخر منهمكًا في القراءة مثل مُدخِّن نهم أمام علبة نعناع. ذوت السيكودراما بالنسبة له وأصبحت مُجرّد خلفيّة صاخبة لا تختلف كثيرًا عن عجلات العربة التي تصدر أزيزًا عبر آلاف الأميال من الأسفلت.

استمرّ شجارهم في كندا، وتواصل أثناء نزولهم جنوبًا عبر السهوب الأمريكيّة الواسعة، حيثُ الفضاء المفتوح بلا نهاية الّذي قيل عنه أنّه أصاب بعض السكّان الأصليين بالخبل. هناك في نبراسكا، أصيبت عائلة أولن بجنون أكيد، حين اشترت كريس حشيشًا من رجل رحّال في كامبجراوند أوف أميركا. آنئذ أرادت الأم استدعاء شرطي ضد التّاجر وابنتها معًا، وتملّكها الجنون حين اعترض الأب على تصرّفها ولملم المُخدِّر وساق السيارة بعيدًا عن مسرح الجريمة. خيّم البرود على العربة كأنّه عيد ميلاد عائلي مرير جاء في يوليو؛ لم يتبادلوا حرفًا، وأنهى كيرك كل كُتب ويليام مانشستر عن وينستون تشرشل، وحين انعطفوا غربًا في توكومكاري بنيومكسيكو أرادوا جميعًا النزول من الشاحنة والانفصال كل منهم في طريق. بل هددت كريس بالقفز داخل حافلة جراي هاوند تُقلها ما تبقّى من الطريق إلى المنزل، لكن الأب أصر على نصب خيمة في الصحراء، فامتثلوا لكن على مضض. انتشت كريس تحت النجوم، وقطعت دورا مسافات طويلة مشيًا بمفردها إلى ما بعد المساء، واستلقى الأب خارج الخيمة، أمّا أمهم فنامت داخل العربة، وكي يضمنوا أنّها بمفردها تنعم بالسكينة أخيرًا، أوصدوا الباب. لكنّها كانت مشكلة؛ إذْ حال الباب دون أن تُلبّي الأم

نداء الطبيعة، وبالتالي انتهت أخر عطلة عائلية لآل أولن؛ أو بالأحرى أخر أي شيء بالنسبة لآل أولن. بقيت العربة مُعلّقة بشاحنة كينج كاب واستخدمها فرانك كمكتب متنقّل؛ مُجرّد مركبة لا غسلها ولا نظّفها بمكنسة كهربائية خلال واحد وعشرين ألف ميل.

كان فرانك أولن في شبابه صعلوكًا متيّما حقيقيًا بركوب الأمواج؛ ثمّ رشد وتزوّج وأنجب أطفالًا وأسس تجارة أسلاك كهربائيّة مزدهرة. ولم يشرع مرّة أخرى إلا العام الماضي، في مغادرة المنزل قبل أن يصحو جميع من فيه كي يركب الأمواج على شاطئ المريخ؛ ذلك أنّ الموجات اليُمنى القويّة أفضل خلال مدّ يبلغ ثلاثة أو أربعة أقدام. كان الأب والابن؛ حين كان الأخير طفلًا لا يُغادر الشاطئ، يتوقفان في حارة طوارئ بالطريق ويحملان لوحيهما عبر الدّرب الممهد إلى المريخ. كان الشاطئ يبدو لكيرك الصغير الّذي يرفع لوحه الإسفنجي الثقيل صخريًا ونائيًا كقاع الفاليس مارينارِيس على سطح الكوكب الأحمر، لكن سنوات الازدهار الاقتصادي غيّرت المكان على نحو درامي؛ فظهرت مجمعات سكنية فاخرة على السّاحل شُيدت فوق ما كان مستنقعات في السّابق، ومنذ خمس سنوات بلّطت الولاية ساحة كانت تغطيها الأعشاب والأتربة وحوّلتها إلى موقف سيارات لقاء ثلاثة دولارات عن كل سيّارة. لم يعد المريخ مجانيًا، لكنّ الوصول إليه كان لا يزال يسيرًا؛ إذْ كان متسلّقو الأمواج يتجهون يسارًا حيث الرمال، أمّا مرتادو الشواطئ العاديون فينحرفون يمينًا، ويفصل بينهما حُرّاس الإنقاذ بالمنطقة.

"لم تر هذا." كان فرانك يُغادر الطريق السريع في منطقة ترفيه ديوكمجيان، فرفع كيرك عينيه من الكتاب ليرى ما كان ذات يوم

ملعبًا قد صار الآن ممهدًا وموثّقًا، ونُصبت فيه اللافتات التي تُعلن إحداها أنّ مركزًا تجاريًا عملاقًا سيُبنى فوق المكان. "هل تذكر حين كان أقرب مشروع تجاري هو كُشك يُقدّم الطعام المكسيكي في شارع كانيون؟ أصبح الآن أحد فروع تشيزولم ستيكهاوس."

قال كيرك: "أذكر أنّي كنت أتغوّط بين الأشجار."

"لا تستخدم ألفاظًا بذيئة أمام أبيك."

توقّف فرانك أمام فرجة على مسافة بعيدة من البوابة الرئيسة، وهتف كالمعتاد: "حسنًا، والآن أهلًا بك في المريخ."

نشأت مجموعة من المتاجر على الجانب الآخر من الطريق السريع أسفل سقوف منخفضة مصنوعة مما يُشبه الطوب المكسيكي اللبن. ثمّة متجر لمعدّات ركوب الأمواج، وفرع حديث لستاربكس واسع الانتشار، وواحد من محلات صابواي لبيع المأكولات، وأحد أسواق بقالة سيركل دبليو، ومكتب وكيل تأمين وحيد يُدعى سالتونستال وضع لوحه الخشبي هناك كي يتمكّن من ركوب الأمواج حين لا يدق الهاتف، وكان محل تشحيم سريع وبيع إطارات سيارات تحت الإنشاء عند الطرف الجنوبي من مركز التسوّق.

علّق كيرك بقوله: "شحّم سيارتك أثناء ركوب الموج. هذا هو التكامل البيئي للمستهلك." فقال فرانك: "امض إلى الجحيم، واستمتع."

اصطفّت في ساحة الانتظار سيارات متهالكة وقديمة؛ فورد رانكور وسيارات ذات صالون عائلي محمّلة بمعدات عُمّال البناء الّذين يركبون الأمواج قبل العمل. ثمّة شاحنات قديمة وحافلات فولكس فاجن يبيت أصحابها من راكبي الأمواج ليلتهم داخلها، رغم المراسيم المنشورة التي تمنع التخييم. كان مديرو الشرطة يُقاومون راكبي

الأمواج المتسكّعين بين الحين والآخر، فتندلع نقاشات قانونيّة مطوّلة حول الفرق بين «التخييم أثناء الليل»و«انتظار طلوع النهار.»كان المحامون يركبون الأمواج في المريخ، وكذلك أطباء تقويم الأسنان وطيارو الخطوط الجويّة، فترى أسقف سيارتهم الأودي والبي إم دبليو مُحمّلة بألواح الركوب. كذلك كنت ترى الأمهات والزوجات في عرض البحر؛ راكبات أمواج ماهرات ونساء طيبات. كانت المضايقات تتكرر أحيانًا حين يجتذب الموج العالي المجانين من كل الأرجاء، لكنّهما اليوم في منتصف الأسبوع ولم يخرج كل طلاب المدارس بعد، فأدرك كيرك أنّ الحشد الموجود سيكون مريحًا وسهل القياد. أمّا المريخيون؛ كما كانوا يسمون أنفسهم، فقد كبروا ونضجوا جميعًا. باستثناء محاميين اثنين أحمقين.

قال فرانك وهو يرمق الماء من حيث يقف في ساحة انتظار السيّارات: "الأمواج رائعة هذا الصباح يا كيرك." وأحصى ما يزيد على العشرة من راكبي الأمواج داخل المياه أثناء تشكّل موجات هائلة عالية على فترات منتظمة بعيدًا عن اللاعبين. فتح باب العربة، وأخرجا لوح كيرك ولوح تجديف فرانك، ثمّ أسنداهما قبالة الشاحنة، وارتديا ثيابهما الخفيفة وسرواليهما القصيرين والسترتين الواقيتين.

سأل كيرك: "هل تحمل شمعًا؟"

أجابه فرانك: "داخل أحد الأدراج هناك." كان بلوح التجديف الخاص به بطانة؛ لذلك لم يكن بحاجة للشمع، ورغم ذلك احتفظ ببعض الشّمع من أجل الراغبين في لصق أعوادهم. عثر كيرك على كعكة داخل أحد الأدراج الممتلئة بالخردة عن أخرها، تضم بقايا لفائف أشرطة لاصقة ومصائد فئران قديمة ومسدّس غراء ساخن،

لكن لا صمغ، وعُلب مشابك ومجموعة من الكماشات المُعرّضة للصدأ بسبب الهواء المالح.
هتف أبوه: "يا كيرك، هل تضع هاتفي داخل المُبرّد؟" وناوله الهاتف.
سأله كيرك: "ولماذا المُبرّد؟" كان الأخير لم يعمل منذ سنوات.
"إذا اقتحمت هذه العربة وأردت سرقة شيء ثمين، هل ستبحث عنه داخل مُبرّد مُعطّل؟"
"فكرة بارعة يا أبي." لكن حين فتح كيرك الباب لم يجد فقط رائحة رطوبة سنوات من عدم الاستعمال، بل صادف أيضًا مشهد علبة صغيرة ملفوفة ومُزيّنة.
قال فرانك: "عيد ميلاد سعيد يا بني. كم عمرك مرّة أخرى؟"
"تسع عشرة، لكنّك جعلتني أشعر كأنّي في الثلاثين." كانت الهدية عبارة عن ساعة رياضيّة مقاومة للماء من موديل أحدث من السّاعة التي كان فرانك يلبسها، مصنوعة من المعدن ومطلية بالكامل باللون الأسود؛ ساعة عسكريّة مضبوطة مُجهّزة للعمل الشاق. أحسّ كيرك حين طوّقت الساعة معصمه أنّه على وشك الصعود على متن مروحيّة لاغتيال بن لادن. "شكرًا يا أبي. ستضفي عليّ هذه الساعة مظهرًا رزينًا. لم أكن أظن أنّ هذا ممكن."
"مبارك عليك يا صغيري."
لكن فرانك كرر مرّة أخرى وهما يحملان لوحيهما فوق الطريق المفضي إلى الشاطئ: "كما قلت لك، سأجري بعض المكالمات في حوالي الثامنة والنصف. سأصيح بك حين أغادر الماء."
"سأشير إليك أنّي عرفت."
وقفا فوق رمال المريخ، وراقبا الأمواج تتعاقب، ثمّ ربطا مقودي

لوحيهما في كاحليهما باستخدام شريطي فيلكرو. توالت حوالي عشر موجات كبيرة متناسقة قبل أن تنحسر الأمواج المتكسّرة، فتمكّن كيرك من اختراق المدّ والقفز فوق لوحه ثمّ الجلوس والتجديف عبر الأمواج الأصغر التي تتكسّر على لوحه. انتظم في الصفّ خلف الموجة المنطلقة إلى جانب اللاعبين الأصغر سِنًّا، أولئك الّذين مزّقوا صدور عدد هائل من الأمواج.

أمّا فرانك؛ باعتباره راكب لوح تجديف، فكان ينشد الأمواج الأكبر بعيدًا عن الشاطئ، البعيدة جِدًّا عن راكبي الأمواج، حيثُ راح ينتظر إلى اللاعبين المنتصبين عددًا أكبر من الموجات الكبرى التي تشكّلها العواصف في جنوب المحيط الهادئ، والتي تغدو أكثر قوّة مع كل ميل تقطعه. وقبل أن يمضي وقت كبير، امتطى منكب موجة تعلو مسافة ستة أقدام أو يزيد، وتنقّل فوقها بخفّة خلال المنعطفات العريضة. كان اللاعب الأقرب لجوف الموجة، فأذعنت له عن جداره، وانحرف المريخيون الأخرون كي يتركوهما سويًّا، وعندما انحسرت قفز بلوحه وحافظ على موقعه في المياه الضّحلة إلى أن انتهت الموجة. بعدها وثب عائدًا مُفسحًا بين قدميه، يغرز لوحه في المحيط، ويعتلي قمم كل ما يأتي من الأمواج، إلى أن خرج مرّة أخرى.

الماء والهواء كانا باردين، لكن كيرك كان سعيدًا لأنّه غادر الفراش. تعرّف على المريخيين القدامى أمثال بيرت الأكبر وماني بيك وشولتزي وسيدة اسمها مدام بوتس؛ هؤلاء هم اللاعبون المخضرمون. كان ثمّة فتيان في مثل عمره تقريبًا؛ بعض الرفاق الّذين نشأ معهم والّذين صاروا الآن؛ مثله، طلابًا جامعيين أو عمّالًا. كان هال ستاين في المدرسة العليا في كال، وعمل بنيامين وُوْ معاونًا في البلديّة، أمّا "ستاتس" ماجي

فكان يدرس للحصول على شهادة المُحاسبة، في حين كان باكويت بوب روبرتسون؛ مثل كيرك، لا يزال طالبًا جامعيًّا ويعيش في منزل أبويه.
صاح هال ستاين: "مرحبًا سيد سبوك! تصوّرت أنّك ميت!"
صنع خمستهم حلقة التقطوا أنفاسهم بها بين جولات الركوب، وراح كل منهم يُقارن الأفكار التي دارت برأسه منذ كانوا في سنوات المراهقة. ذكّروا كيرك كم كان شاطئ المريخ كريمًا معه؛ ذلك أنّ الحياة على مسافة قصيرة بالسيارة من أمواجه يسرت لكيرك الوصول لعالم يخصّه. على المريخ نشأ مرتاحًا في كنف أمواج الشاطئ القويّة. كان المريخ حيثُ اختبر كيرك نفسه بمفرده وبرع. إذْ كان على البرّ كعلامة إحصاء؛ موضوعة في منتصف منحنى ناقوسي، لا متسرِّب من الدراسة ولا طالب، لا متفوّق ولا ملعون. وباستثناء مُعلمتي لغة إنجليزيّة هما مدام تاكيماشي أمينة مكتبة المدرسة، والمجنونة البهيّة ذات الشعر العسلي أورورا بورك (قبل أن يُقصيها زوج أمّها الجديد إلى عائلة جديدة في مدينة كانساس)، لم يعامل أحد كيرك أولن قطّ على أنّه متميّز. لكن في مياه المريخ، كان كيرك السيّد على كل ما يُحيط به؛ لذلك أحسّ بالفرح لأنه كان يأتي إلى المكان خلال ما مضى من سنوات، ولأنّه تمكّن من الحضور إليه في هذا اليوم الّذي يبلغ فيه التاسعة عشرة من عمره.
أصاب كيرك تعب شديد بعد جولات عديدة نسي عددها؛ فاستراح بين طابور اللاعبين. طلعت الشّمس، ورأى رؤوس الشاحنات وعربة أبيه في ساحة الانتظار، وأسطح المتاجر المبلطة على الجانب الآخر من الطريق السّريع، والتلال الصخريّة المصقولة خلفه. كانت زرقة المياه ولمعان السماء تجعلان الشاطئ يبدو كصورة فوتوغرافيّة داكنة

لموقع ركوب أمواج أسطوري في هاواي أو فيجي؛ كصورة ملوّنة شحبت منذ زمن طويل فصارت بلون العنبر، تحوّلت فيها الجبال الخضراء إلى تلال صفراء وبُنيّة. كانت المتاجر مكسيكيّة الصبغة حين يُضيّق كيرك عينيه، تغدو بلون الخشب والقشّ فوق جزء من الشاطئ، أو كأكواخ محليّة فوق جزيرة في منتصف المحيط الهادئ. مرّة أخرى، كان المريخ يغدو عالمًا مختلفًا وكان كيرك ملكه المتوّج.

بعد فترة سمع أباه يناديه من الشاطئ. كان فرانك يضع لوحه فوق الرمال، ويغرز المجداف كأنّه راية، وراح يُشير بيده إلى ما أُتفق على ترجمته بعبارة: "سأذهب لإجراء مكالمة هاتفيّة."

حيّا كيرك أباه حين صاحت مدام بوتس: "انتبه خلفك!" كانت دفعة جديدة من الأمواج تتشكّل بعيدًا على مرمى البصر مثل أكوام فوق لوح غسيل، وتتشظّى مبكّرًا قبل خمسين ياردة على الأقل لتهيئ عشرات الجولات الطويلة العنيفة. هبّ الجميع للتجديف بشراسة، وكان التعب قد أصاب كيرك. لكنّه لم يكن مستعدًّا ليفوّت دفعة عظيمة كهذه. هكذا جدّف بقوّة وثبات إلى أن نصحته خبرته أن يدور ويُجدف صوب الشاطئ. حينئذ لحق بالموجة الثالثة التي اعترضت طريقه.

كان يعتلي قمة الموجة، تقوده الغريزة للحظة الانطلاق كي يهوي داخل غورها. هذه الموجة كانت رائعة، ذات صدر أملس ومتناسق. وضخمة كأنّها وحش. وثب كيرك بعيدًا عن الغور وتسلّق الصدر قبالة جوف الموجة الأبيض، يدفع ظهره همس ريح مضغوط. تحرّك إلى اليسار وسقط عموديًّا تجاه القوس، ثمّ مال يمينًا ناحية القاع، ومرّة أخرى تسلّق الصدر. اعتلى ذروة الموجة، ووثب بمحاذاة الحافّة، ثمّ غطس

من جديد داخل الشق مقللًا سرعته كي يسمح للموجة المنطلقة أن تلحق به. وجثا منخفضًا فوق لوحه قدر ما سمح له جسده، حتّى كان الماء ينثني فوق رأسه وملأ المساحة الصغيرة الخضراء داخل جوف الموجة. كانت المياه المسرعة عن شماله، والسطح المصقول عن يمينه، فدفع أصابع يده الخالية داخل الجدار الأخضر كأنّها زعنفة دولفين، أو كسكين يشق الماء.

وكالعادة، أطبقت الموجة عليه وصفعت رأسه وأفلت، لا شيء خطير. اندفع داخل الماء المُزبد، واستراح كما تعلّم منذ زمن طويل، وترك الموجة تتدحرج خلفه وتوفّر له وقتًا يصل فيه إلى السطح كي يملأ رئتيه بالهواء. لكن المحيط عشيقة متقلّبة، والمريخ لا يكترث بجهود البشر. هكذا أحسّ كيرك برباط الفيلكرو حول كاحله يزداد إحكامًا، وارتد لوحه بتأثير الرغوة والفوضى ليصفع لحم ربلته بقوّة. كانت الضربة قاسية تُشبه الضربة التي تلقّاها من مضرب كروكيه كريس في فناء المنزل الخلفي، فساقته إلى الطبيب، وساقت كريس لغرفة نومها. حينئذ علم كيرك أنّ يومه انتهى.

غاص إلى القاع الرملي، وعلم أنّ الموجة التالية ستحطّمه لا محالة. شقّ طريقه للسطح كي يتنفّس ورأى موجة مزبدة تعلو سبعة أقدام تزأر في طريقها إليها. انحنى أسفلها، وتحسس على غير هُدى شريط الفيلكرو، ثمّ نزعه من حول قدمه فاندفع اللوح صوب الشاطئ بعيدًا عنه.

عاد يطفو دون هلع رغم آلام قدمه. لمس الرمال مرّة أخرى، وكان قد اقترب من الشاطئ فوثب على قدم واحدة كي يتمكّن من دفع رأسه فوق السّطح، وأزجته الموجة التالية ليدنو من السّاحل، وكذلك

فعلت موجة أخرى، وأخرى. زحف خارج الماء وفوق رمال الشاطئ. همس لنفسه: "أيها السّافل." جلس فوق الرمال، وكان جرح ساقه بليغًا وغائرًا وبانت أنسجتها البيضاء واللحم الممزق الّذي ينزف دمًا. كان في حاجة لخياطة الجرح وأن يتحرّك سريعًا. تذكّر كيرك حادثة وقعت وقت أن كان في الثالثة عشرة، آنئذ تلقى صبي اسمه بليك ضربة من لوحه فأخرجوه من الماء مغشيًّا عليه، بعدها ثبتوا فكّه بمسامير وخضعت أسنانه لعلاج استغرق شهورًا. هذا الجرح لم يكن خطيرًا كجرح بليك، وقد تكبّد كيرك آلام بعض الانتفاخات في تلك الأثناء، لكن هذا الجزء المُنتزع من ساقه كان يستحق وسام القلب الأرجواني. خرج بن وو من الماء بعد أن استعاد لوح كيرك الطليق وسأل الأخير: "هل أنت بخير؟" ثمّ صاح حين رأى الجرح: "تبًّا! يجب أن ننقلك إلى المستشفى."

"كلا. أبي موجود هُنا، وسينقلني هو."

"هل أنت متأكّد؟"

نهض كيرك وقال: "بلى." أحسّ بالألم، ونزل خيط رفيع من الدماء أسفل ساقه، وتناثرت قطرات قرمزيّة فوق رمال المريخ، لكنّه أشار لبن أن يتركه لحاله قائلًا: "أنا على ما يُرام. شكرًا لك."

والتقط لوحه وعرج فوق الممر المؤدّي إلى ساحة انتظار السيارات. وهتف بن قبل أن يثب مرّة أخرى داخل الماء فوق لوحه: "سيحتاج الجرح إلى حوالي أربعين غرزة."

كانت ربلة كيرك ترتجف بالتزامن مع دقّات قلبه. عرج فوق الممر يُجرجر رباط قدمه فوق الممشى المغطّى بالرمال. كان المزيد من مرتادي الشاطئ يجيئون، فامتلأ ثلثي السّاحة، لكن فرانك كان يقف

في مكان قريب. توقّع كيرك أن يرى أباه داخل العربة أمام الطاولة يُجري مكالمات خاصّة بالعمل وأمامه أوراق متناثرة. لكن حين دار حول الشّاحنة كان باب العربة موصدًا ولا أثر لأبيه.

أسند كيرك اللوح إلى الباب، ثمّ جلس فوق مِصدّ السيارة كي يتفحّص ساقه التي باتت تُشبه الآن سجقًا بولنديًّا انفجر. لو كان اللوح أصاب ساقه عند نقطة أعلى، ربّما كان حطّم رضفته. أحسّ كيرك أنّ الحظّ وقف إلى جانبه، لكن حبذا لو نُقل إلى غرفة الطوارئ.

ربّما كان أبوه على الجانب الآخر من الطريق السريع داخل متجر، يشتري مشروبًا أو وجبة خفيفة، ومفتاح العربة داخل جيب حُلته المبللة المُغلق. لم يشأ كيرك أن يعرج عبر الطريق السريع حاملًا لوحه، ولا أراد أن يتركه فيسرقه لصّ في ساحة انتظار السيارات، فنظر حوله كي يتأكّد أنّ لا أحد يُراقبه، ثمّ اعتمد على ساقه السليمة ووقف فوق المصدّ، وحشر اللوح فوق سقف العربة بحيث لا ينتبه لوجودها أحد من فوق الأرض. كان الرباط يتدلّى من قدمه فعقده كيرك في كُتلة عشوائيّة وألقاه. غمره شعور بالخيبة بسبب ما اتّخذه من تدابير وقائيّة، لكنّه تابع تقدّمه إلى الطريق السريع.

انتظر في ظلّ شجيرة مفرطة النمو ظهور انفراجة يعبر منها في حركة المرور الصباحيّة، ثمّ عرج عبر حارات الطريق الأربع، وفتّش عبر نافذتي صابواي وسيركل دبليو دون أن يرى أباه. بدا متجر معدات ركوب الأمواج خيارًا معقولًا؛ إذْ ربّما كان يشتري كريمًا للوقاية من الشّمس. وكانت موسيقى ميتال تدوي داخل المتجر لكن دون أثر لأي شخص بالمكان.

كان رهانه الأخير والأقوى على محل ستاربكس عند طرف المحلات

الشمالي. كان شاربو القهوة يقرأون الصحف ويعملون على حواسيبهم المحمولة أمام الطاولات والمقاعد الخارجيّة. لكن فرانك لم يكن بينهم، كما لم يقل أولئك الجالسون مِمَن ضايقهم النظر إلى جُرح كيرك المفتوح شيئًا. دخل على أمل العثور على أبيه وإجباره على ترك الهاتف كي يحمله للحصول على الرعاية الطبيّة المناسبة، لكن فرانك لم يكن موجودًا في ستاربكس.

رأت موظفة المقهى كيرك واقفًا ينزف فصاحت: "تبًّا! سيدي؟ هل أنت بخير؟"

أجاب كيرك: "الجرح ليس بهذا السوء." ورفع بعض الزبائن رؤوسهم فوق أقداح القهوة والحواسيب المحمولة دون أن ينطقوا حرفًا.

سألته الموظّفة: "هل أتصل بالطوارئ؟"

قال كيرك: "لديّ من ينقلني إلى العيادة. أيي." ثم أردف: "هل جاء رجل وطلب قهوة فينتي كبيرة مع القليل من الموكا؟"

فكّرت المرأة لحظة وهي تردد: "رجل؟" ثم استطردت: "كانت هنا امرأة طلبت قهوة فينتي كبيرة مع القليل من الموكا وحليب الصويا منزوع الكافيين. لكن ليس رجلًا." استدار كيرك ليغادر حين تابعت: "لدينا عدة اسعافات أوليّة."

فتّش كيرك ساحة الانتظار وممرات المتاجر مرّة أخرى دون أن يعثر على أبيه. تابع طريقه إلى ركن الطاولات الموجود عند الطّرف الآخر من ستاربكس سعيًا وراء أمل أخير، لكنه لا وجد طاولات ولا وجد أباه، بل أماكن انتظار أسفل أشجار أُكالبتوس.

كانت سيارة مرسيدس وحيدة تقف على الجانب الآخر من جذع إحدى الأشجار، ولم ير كيرك سوى الطرف الأمامي وجانبًا من الزجاج

الأمامي. ثمّة قدحا قهوة ستاربكس فوق تابلوه السيارة، ومن المقعد المجاور للسائق امتدت يد رجل لتتناول ما تبيّن لكيرك أنّه قهوة فينتي كبيرة مع القليل من الموكا؛ لأنّه تعرّف على الطوق الأسود لساعة أبيه ذات الطابع العسكري، والتي تُشبه السّاعة التي يرتديها كيرك الآن حول معصمه. كانت نوافذ المرسيدس مفتوحة، فتمكّن كيرك من سماع رنين ضحك امرأة مع قهقهة أبيه المُبتهج.

فقد كيرك الإحساس بساقه؛ ما من ألم، اقترب من الشجرة وتمكّن من رؤية السيارة بوضوح ووجه المرأة ذات الشعر الأسود الطويل وابتسامتها لأبيه. كان فرانك يواجه المرأة، لذلك لم ير كيرك إلا قفاه، وسمعه يقول: "لابد أن أعود." دون أن يغادر مكانه. وعرف كيرك من نبرة أبيه المرتاحة والهادئة أنّه لن يترك المرأة.

دار كيرك ببطء حول الشجرة وعاد إلى الرّكن، ثمّ إلى باب ستاربكس، ودخل.

ثمّة ثلاث نوافذ في الجدار المقابل للمدخل، تصطف فوق ثلاث طاولات صغيرة تطل على أماكن انتظار شاغرة تحت ظلال أشجار الأكالبتوس. اتجه كيرك إلى النوافذ ورفع عنقه فرأى المرأة ذات الشعر الأسود الطويل تضع ذراعها حول كتف فرانك، وأصابعها تعبث في شعره الّذي غمره ملح المحيط. كان أبوه يُقلِّب الموكا داخل القدح، ويجلس فوق منشفة الشاطئ التي غطّت المقعد كأنّ ثيابه لم تجفّ بعد. قالت المرأة ذات الشعر الأسود الطويل شيئًا وضحكت مرّة أخرى، وضحك أبوه هو الآخر، بطريقة نادرًا ما رأى كيرك أباه يضحك بها؛ إذْ بانت أسنانه وتراجع رأسه للوراء وضاقت عيناه كأنّهما في فيلم صامت كتم زجاج ستاربكس صوت حواراته. لم يسمع كيرك

سوى نقرات أصابع فوق لوحات مفاتيح الحواسيب النقّالة وطلبات القهوة.

"لم لا تجلس؟" عادت الموظفة من جديد، التي عرف من الشّارة فوق صدرها أنّ اسمها سيليا، وكانت تحمل صندوق إسعافات أوليّة معدني. قالت: "أستطيع على الأقل أن أضمده لك."

جلس كيرك. لفّت سيليا ساقه بالشّاش، وسرعان ما تخضّل اللون الأبيض بلون الدماء. ألقى نظرة خاطفة على ظلال شجرة الأكالبتوس فرأى المرأة ذات الشعر الأسود الطويل تميل ناحية أبيه بفم مفتوح ورأس مائل في إشارة معروفة عالميًا في لغة الجسد بأنّها توطئة لقبلة مُشتهاة. ومال أبوه ناحيتها.

كان عبور الطريق السريع مرّة أخرى صعبًا، لكن كيرك فكّر في استعادة لوحه من سقف العربة؛ هكذا مشي في الطريق المؤدّي للمريخ، وكان الموج العالي لا يزال مزدحمًا بالركبين، والمدّ المرتفع على وشك الانخفاض خلال ساعات الانحسار. جلس كيرك فوق الرمال إلى جانب لوح أبيه ومجدافه المغروز، فمه جاف، وعيناه مشوشتان، وأذناه لا تسمعان زئير وجريان الموج. رمق ضمادة ربلته المخضلة بالدماء، وتذكّر أنّه مُصاب بجرح غائر بسبب لوح ركوب الأمواج، لكن متى؟ منذُ أسابيع.

نزع الشريط من حول ساقه ببطء، ثمّ حلّ الشّاش المبقّع باللون القرمزي، ولملم الكومة اللزجة بين كفّيه، ثمّ حفر في الرمال حفرة عميقة دفن في قعرها المخلفات وغطّاها بالرمال مرّة أخرى. بدأ الجرح ينزف على الفور، لكن كيرك تجاهله هو والتورّم والألم، وجلس حائرًا وقد أصابه مرض مباغت، وأحسّ أنّه على وشك البكاء. لكنه

لم يبك. ومتى عاد أبوه سيجد ابنه يتعافى من حادث الأمواج، ينتظر فراغه من مكالمات العمل كي يتمكّنا من خياطة جرحه أربعين غرزة، على الأقل.

لم يمر إلى جواره أحد، لا من الخارجين من الماء ولا من القادمين من ساحة انتظار السيارات. جلس كيرك وحيدًا يجرجر أصابعه في الرمال مثل مجرفة صغيرة مدة لا يعلمها إلا الله. وتمنّى لو كان معه كتاب.

"ماذا جرى؟" كان أبوه يخطو خطوات واسعة فوق الرمال، وقد اتسعت عيناه لمرأى ابنه مصابًا بمثل هذا الجرح الكبير. "ماذا أصاب ساقك؟"

أجابه كيرك: "لوحي."

"ربّاه!" جثا فرانك فوق الرمال وانكب يتفحّص الجرح.

"لابد أنّه جعلك تصرخ من الألم."

فأجابه كيرك: "بلى، صرخت من الألم."

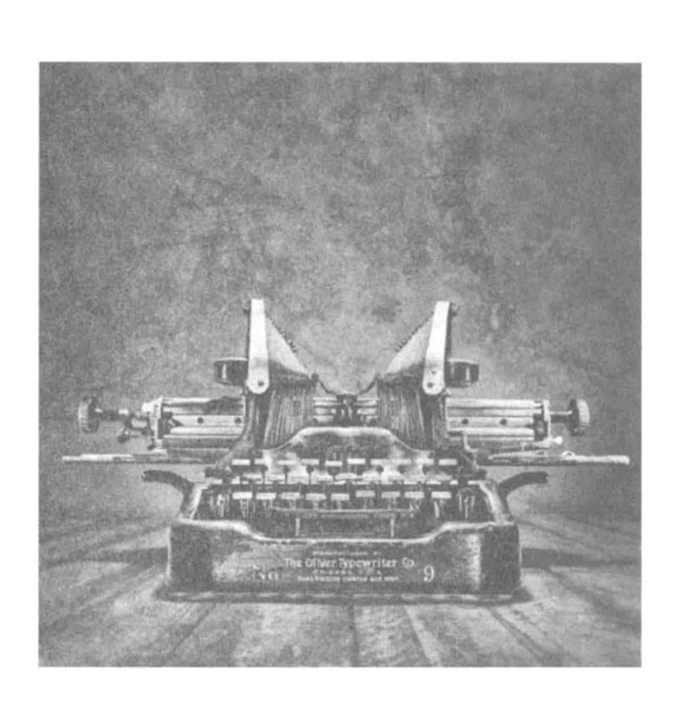
"كأنّها إصابة في جبهة القتال."

قال كيرك: "هدية عيد ميلاد لا تُنسى."

ضحك فرانك، شأن أي أب حين يتلقى ابنه الوحيد ضربة فيمزجها بروح الفكاهة. "هيا بنا إلى العيادة، وهناك ينظفون الجرح ويخيطونه." والتقط فرانك لوحه ومجدافه مستطردًا: "ستكتسب ندبة مثيرة."

قال كيرك: "مثيرة كأنّها الجحيم."

تبع كيرك أباه عبر الطريق بعيدًا عن الشاطئ. كان يغادر المريخ لآخر مرّة وإلى الأبد.


The Oliver Typewriter Co.
No 9

شهر في شارع جريني

غالبًا ما يكون الأول من أغسطس يومًا فذًّا؛ إذْ ربّما يكون بداية الشهر الثامن في منتصف الصيف؛ وربّما لا، هو اليوم الأشد سخونة على الإطلاق. لكن هذا العام؛ مرحى، وقعت أحداث كثيرة في ذلك اليوم. كانت شاري مونك واثقة من خسارة سِنّ آخر، وكان من المتوقّع حدوث خسوف للقمر حوالي التاسعة والرّبع مساءً، وكانت بيتي مونك (أمّ شاري؛ وشقيقتها الكُبرى دالي، وشقيقها الأصغر إيدي) ستنقلهم إلى منزل به ثلاث غرف نوم في شارع جريني. كان المنزل نابضًا بالحياة، لذلك عرفت أنّها ستسكنه منذ اللحظة التي رأت فيها قائمة العقارات المتوافرة. كانت رؤيا – كأنّها لحظة إشراق- قد راودت بيتي، رأت نفسها فيها مع أطفالها داخل المطبخ يتناولون فطورهم على عجل. وكانت

تقف أمام شواية الموقد العلويّة تقلّب الفطائر، والأطفال بثياب المدرسة ينهون فروضهم ويتشاجرون على أخر ما تبقّى من عصير البرتقال. كانت صورتها الذهنيّة شديدة التركيز والدّقة؛ دون أدنى شكّ في أنّ منزل شارع جريني؛ آهٍ من شجرة الجميز العملاقة تلك بالحوش الأمامي، سيغدو منزلها. منزلهم.

كانت الرؤى تراود بيتي؛ وهل من طريقة أخرى لصياغة العبارة؟ ليس في جميع الأيام، ودون أي وهج روحي، لكنّها ترى وميضًا؛ إشراقًا، مثل صورة فوتوغرافيّة لعطلة اُلتقطت منذ زمن بعيد تحمل ذكريات كاملة لكل ما جرى قبلًا وكل ما سيجرى تاليًا. رأت بيتي يوم رجع زوجها بوب مونك من العمل؛ كلمحة خاطفة ملوّنة يظهر فيها محتضنًا كفي لورين كونر سمايث داخل المطعم المُلحق بفندق ميشن بيل ماريوت. كان عمل لورين يتطلّب منها الرجوع إلى شركة بوب؛ لذلك كثيرًا ما كانت تجمعهما الظروف معًا. لكن خلال ذلك الجزء من الثانية أدركت بيتي أنّ زواجها من بوب قد انتهى. فورًا.

لو كان لبيتي أن تُحصي ما رأت من رؤى؛ منذ كانت طفلة صغيرة، وكيف تحققت تلك الرؤى، للزمها أن تقيم حفل عشاء تروي فيه بعض العينات خلال أمسية كاملة: المنحة الدراسيّة التي ستفوز بها بعد أربع سنوات علمت خلالها أنّها ستنال المنحة؛ غرفة السّكن التي ستنزل فيها في مدينة آيوا؛ الرجل الّذي ستعاشره لأول مرّة (لم يكن بوب مونك)؛ فستان الزفاف الّذي سترتديه عند مذبح الكنيسة (وإلى جوارها بوب مونك)؛ مشهد نهر شيكاغو الّذي ستستمتع به بعد أن اجتازت مقابلة الحصول على وظيفة في الصن-تايمز؛ المكالمة الهاتفية التي رأتها مُقبلة ليلة تعرّض والديها لحادث تصادم مع سائق مخمور؛

جنس أطفالها الّذي كانت تعرفه بمجرّد أن ترى نتيجة الاختبار فوق الحوض الموجود داخل حمامها. كانت القائمة تطول وتطول، ليس لأنّها تهوّل من شأن تلك الرؤى، أو لأنّها تمتلك بصيرة خاصّة أو ذهنًا يرى الغيب. بل كانت بيتي تظنّ أنّ أغلب الناس تراودهم نفس الرؤى، لكنهم لا ينتبهون إليها ليس إلا. كما أنّ رؤاها لم تتحقق كلّها؛ إذْ رأت نفسها مرّة تتنافس في برنامج جابردي! وهو ما لم يحدث قطّ. ومع ذلك، كانت نسبة دقّتها تسترعي الإعجاب الشديد.

أراد بوب الزواج من لورين بمجرد افتضاح علاقتهما، لذلك دفع مبلغًا للحصول على الإعفاء الخاص وتأمين الضمان المالي لبيتي حتّى التحاق الأطفال بالجامعة وتوقّف نفقات الأولاد. كان شراء المنزل يستلزم تخطّي عقبات مصرفيّة صعبة وعمليات فحص شاقّة وصكّ نقل ملكيّة لمدّة ستة أشهر، لكن الاتفاق تم توقيعه. كانت الحديقة وشجرة الجميز تلك والشرفة الأماميّة وكافّة غرف النوم والمكتب الصغير المُلحق بالمرأب بمثابة أرض ميعاد، لا سيّما بعد الشقّة الضيقة ذات الطابقين التي استثمرت فيها نقودها أول الأمر والتي عاشوا فيها هم الأربعة كأنّهم قطط داخل علبة، بعضهم فوق بعض. الآن صار لديهم فناء خلفي عميق جِدًّا وواسع! وفيه شجرة رُمّان! وكانت بيتي قد رأت أطفالها؛ في رؤيا، يلبسون قمصانًا ملطّخة برذاذ أرجواني في أكتوبر المُقبل!

كان شارع جريني معزولًا لا تعبره سوى سيارات السكّان، ما يجعل لعب الأطفال في الشّارع آمنًا. لذلك استعطفوا ناقلو الأثاث في الأول من أغسطس أن يُفرغوا دراجاتهم ودرّاجة إيدي ذات العجلات الثلاث قبل أي شيء آخر كي يتمكّنوا من الاستمتاع بالعشب الجديد. وكان

طاقم النقل جماعة من الآباء المكسيكيين الشباب؛ لذلك أسعدهم الانصياع لرغبة الأطفال ورؤيتهم يلعبون هانئين، أثناء تفريغ ونقل أثاث المنزل.

قضت بيتي الصباح تختبر ما تعلّمته من اللغة الإسبانية أثناء المدرسة الثانويّة، في إرسال الصناديق إلى أماكنها المناسبة، ورصّ الأثاث وفق حدسها؛ الأريكة في مواجهة النافذة؛ وأرفف الكُتب على جانبي المدفأة. لكن في حوالي الحادية عشرة صباحًا دخلت دالي تركض برفقة صبيين سمينين في العاشرة تقريبًا، ربّما كانا توأمين، فكلاهما له نفس النظرة الخجولة ونفس الدمامل.

"ماما! هذا كيشاون وهذا ترينيل. بين بيتينا أربعة منازل أخرى."

رددت بيتي: "كيشاون. ترينيل. كيف حالكما؟"

"قالا أنّي أستطيع الغداء معهما."

حدّقت بيتي في الصبيين وقالت: "هل هذا صحيح؟"

هتف الصبيان معًا: "بلى يا سيدتي."

"هل دعوتماني الآن بسيدتي؟"

"بلى يا سيدتي."

"أنت مهذّب يا كيشاون. أم أنّك ترينيل؟"

أشار الصبيان كل منهما للآخر باسمه. كانت ثيابهما مختلفة، وليس مثل التوائم في بعض الأفلام، لذلك استطاعت بيتي التمييز بينهما. إضافة إلى أنّ شعر كيشاون كان على هيئة ضفائر مجدولة بإحكام، في حين كانت رأس ترينيل حليقة تمامًا.

سألتهما بيتي: "تُرى ماذا لديكما على الغداء؟"

"لدينا اليوم نقانق بالفاصولياء يا سيدتي."

"ومن سيطبخ هذا الغداء بالضبط؟"

أجاب ترينيل: "جدتنا أليس؛ فأمّنا تعمل في مصرف أموكوفيدرال، وأبونا يعمل في شركة كوكاكولا، في حين غير مسموح لنا بتناول الكوكاكولا. جدتنا ديانا تعيش في ممفيس، أمّا جدّانا فقد توفيا. ستزور أمّنا منزلكم حين تعود من العمل وستحضر زهورًا من حديقتنا كي ترحب بكم. وسيأتي أبونا هو الآخر حاملًا بعض الكوكاكولا إن سمحتم له، أو فانتا إن كنتم تفضلونها. لم نسأل جدتنا إن كان لديها ما يكفي من الطعام لأجل إيدي وشاري؛ لذلك لا يُمكنهما المجيء."

"ماما! موافقة؟ غير موافقة؟" كانت دالي على وشك الانفجار.

"تناولوا شيئًا أخضر مع النقانق بالفاصولياء وسأفكّر بالموافقة."

"تُرى هل يصلح التفاح يا سيدتي؟ بالنسبة للشيء الأخضر؟ فلدينا تفّاح أخضر."

"سيفي التفّاح بالغرض يا ترينيل."

هرع الأطفال الثلاثة خارج المنزل، فغادرو الشرفة وهبطوا الدَّرج وعبروا أسفل أغصان الجميزة المتدليّة ومشوا فوق العشب. راقبتهم بيتي من بعيد وهم يسارعون بدخول الباب الأمامي لمنزل يبعد عنهم مسافة أربعة بيوت، ثم نادت على إيدي وشاري كي يضعا دراجتيهما فوق العشب ويدخلا لتناول الشطائر التي ستحضرها بمجرد عثورها على المكونات.

انتهى ناقلو الأثاث وغادرو عند الثالثة، وتركوا لبيتي لذّة إفراغ كراتين المطبخ؛ الآنية والأدراج والأرفف. لم يعد لديها أي من أجهزة بوب الكمالية؛ تلك الاختراعات ذات الاستخدام الواحد التي كان يجمعها

من أجل هواية الطهي المزعومة. لم تحب بيتي الطبخ قطّ، لكن منذ انفصالهما اكتسبت وجباتها الدسمة بعض الجاذبيّة؛ إذْ جعلت طبختها للسبانخ بالكريمة الأطفال يُقبلون على السبانخ، وكانت تحشو لفائف لحم الحبش المفروم بالفاصولياء والجبن لكن دون أن يسقط منها شيء أثناء الأكل. وقد احتفل الأطفال حين خصصت أيام الثلاثاء باعتبارها ليال لتناول التوركيتو، وكانوا يتطلعون إليها كل أسبوع. أفرغت الصناديق، وبدا مشهد الأرفف معقولًا، فأدارت بيتي الجهاز الوحيد الّذي ربحته بحقّ؛ ماكينة الإسبرسو المصنوعة في ألمانيا التي تكلّفت حمولتها الهائلة من الفولاذ غير قابل للصدأ حوالي ألف دولار من نفقات ما قبل الطلاق. كانت تحتل ياردة مربّعة فوق الطاولة وتغطيها مقاييس وصمامات جعلتها تُشبه الغواصة في فيلم القارب. كانت تحبّ الماكينة درجة أنّها غالبًا ما كانت تحييها في الصباح هاتفة: "مرحبًا أيها الفتى الضّخم."

جلست أخيرًا فوق أريكة غرفة المعيشة تحمل قدحًا ضخمًا من الإسبرسو مع اثنين بالمائة من الحليب السّاخن. بدت النافذة الواسعة كأنّها شاشة سينما تعرض فيلما اسمه أعيش الآن هُنا، حيثُ يدخل ويخرج من الإطار موكب أطفال إمّا يعيشون في شارع جريني أو يعتبرون الحي مقر عصابتهم. كانت فتاة ذات شعر فاتح تتفحّص فم شاري كأنّها مُساعدة جنية الأسنان التي تُقدِّم تقديرًا لما هو متوقّع، وأنشأ بعض الأولاد قائمًا لكرة البيسبول وجرّب كل منهم حظّه بمضرب بلاستيك في حين يحاول الآخرون اللحاق بالكرة. أمّا دالي وفتاة أخرى فكانتا تتشبثان بأغصان الجميزة القريبة من الأرض. لابد أنّ لكيشاون وترينيل شقيقة؛ صبيّة مُصابة بالدمامل وذات

ضفائر كانت تساعد إد في ركوب درّاجتها الوردية ذات العجلتين، وتركض بمحاذاته في حين يندفع بقوة القصور الذاتي عبر الشارع وفوق العشب النامي أمام المنزل.

تلك الحديقة تخصّ عائلة باتل؛ هل نطق السمسار الاسم هكذا؟ باتل؟ هذا اسم هندي دون ريب. لابد أنّ عائلة باتل تنجب طفلًا كل أحد عشر شهرًا، يبدو هذا جليًّا من الأطفال الخمسة ذوي الشعر الأسود والبشرة الداكنة الموجودين في الشارع، تبدو صلة الدم واضحة بين كل أخٍ وأخيه أو أخته، لكن أقصر قليلًا. كانت بنات آل باتل الكبريات يحملن هواتف آيفون أو سامسونج يتفحّصنها كل خمس وأربعين ثانية، وقد التقطن صورًا عديدة لإيدي فوق الدرّاجة الورديّة.

حاولت بيتي أن تحصي عدد الأطفال، لكن مثل مجموعة أسماك داخل حوض ضخم، جعلت الحركة الدائبة مسألة العد أمرًا مستحيلًا. هب أنّهم عشرة في الخارج؛ يحتشدون ويضحكون ويفرون هُنا وهناك، من أصول وعرقيات مُختلفة.

كلّمت بيتي نفسها: "لقد انتقلت إلى داخل الأمم المتحدة." خطرت لها هذه الفكرة باعتبارها شيئًا يُمكن أن ترويه لماجي؛ صديقتها الأقدم والمرأة التي علّمتها في كل خطوة خطتها أثناء الانفصال-منذ الرؤيا الأولى وحتّى واقع بؤسها المستميت؛ الطلاق البائن والبحث عن محام والثلاثة أعوام ونيف الرهيبة التي شهدت إنهاء الزواج وليالي النبيذ الأحمر. كان الهاتف داخل محفظتها في منتصف أرضية غرفة المعيشة، وكانت تمد يدها لتلتقطها حين رأت بول ليجاريس يُقبل عليها عبر الممشى.

كان رجلًا أكبر منها يلبس سروالًا فضفاضًا وقميصًا أحمر باهتًا يحمل شعار فريق ديترويت رد وينجز مُجعّدًا. ويضع نظارة صبيانيّة حادّة الزوايا لا تناسب رجلًا في مثل عمره الّذي خمّنت بيتي أنّه يزيد عنها بثماني سنوات. كان يلبس صندلًا في قدمه؛ وكُنّا في الصيف على أي حال، لكن بيتي اعتبرت شظف الأحذية في منتصف الأسبوع دليلًا على تعطّل الرجل. مع ذلك ربّما كان الرجل يعمل ليلًا، أو ربّما ربح الجائزة الكُبرى. من يدري؟

كان بول يحمل كيسًا ممتلئًا بلحوم من شركة هانيبيكد؛ ولم تكن بيتي قد رأت ذلك في رؤياها، التي تضع شارتها فوق الكيس. كان الباب الأمامي مفتوحًا على مصراعيه؛ إذْ كُنا نهارًا، وكان ناقلو الأثاث والأطفال ينسابون داخلين خارجين كأنّهم زبائن في محطة أنفاق، ومع ذلك دقّ جرس الباب دون أن يتلوه بسؤال: "هل ثمّة أحد بالمنزل؟"

سارعت بيتي بالسؤال: "كيف حالك؟" وتقدّمت صوب العتبة.

قال: "بول ليجاريس. جارك الملاصق."

"بيتي مونك."

استطرد ممسكًا بكيس اللحم: "جئت أرحب بك؛ رغم أنّي لم آت بصفة رسميّة."

رمقت بيتي شعار الهانيبيكد وأفسحت الطريق قائلة: "في الواقع، في وجود اسم كاسم مونك..." بدا بول حائرًا، كممثل مسرحي بلا مُلقِّن. "ربّما أكون أمًّا يهوديّة؛ وحينئذ يغدو كيس يمتلئ بلحم الخنزير..."

أدرك بول ما ترمي إليه بيتي أخيرًا فأسرع يقول: "حرامًا. ممنوعًا."

"لكنّي لست يهوديّة."

"لا بأس إذن." مدّ بول يده بالكيس وأخذته بيتي منه. "أنا أيضًا حين

انتقلت إلى هنا ترك جار لي من الحي كيسًا أمام المدخل ظللت آكل منه أسابيعًا."

"أشكرك. هل أستطيع أن أدعوك لتناول القهوة بالمقابل؟" لم تكن بيتي ترغب حقًّا في قضاء مزيد من الوقت مع جارها العازب (وكانت قد قدّرت أنّه لا يلبس خاتم زفاف)، الّذي صار بمعيشته لصقها واقع حياتها الجديدة في شارع جريني غير المتوقّع وغير المرغوب. ومع ذلك، كان من الضروري أن تتصرف بكياسة.

أجاب: "سيغدو ذلك لطفًا منك." كان لا يزال في الشرفة، على الجانب الآخر من الباب المفتوح. "لكن لابد أنّ لديك مليون مهمّة على قائمة الأعمال المنزليّة في يوم كهذا."

أعجبها رفضه؛ إذْ ينتظرها بالفعل مليون عمل منزلي، لكنّها أشارت إلى عصبة الأطفال بالخارج في شارع جريني وسألته: "هل أي من أولئك الأطفال طفلك؟"

"أطفالي يعيشون برفقة أمّهم. سترينهم نهاية أسبوعٍ ما."

"فهمت. أشكرك على هذا." وأشارت إلى اللحوم داخل الكيس الّذي تحمله في يدها. "قد نصنع منها حساء العظام يوم الجمعة القادم."

قال بول: "أتمنّى لكم وجبة شهيّة." وبدأ يُغادر الشرفة مستطردًا: "سيغمرك شارع جريني بكرمه كما غمرني. آه..." والتفت، وراح يصعد الدَّرج مرّة أخرى نحو المدخل، قائلًا: "هل لديك ما تفعلينه الليلة؟"

هل لديك ما تفعلينه الليلة؟

كانت بيتي قد سمعت تلك الكلمات تحديدًا آلاف المرات خلال السنوات القليلة الأخيرة. هل لديك ما تفعلينه الليلة؟ من رجال مطّلقين؛ وعزّاب؛ وغير مرتبطين؛ ووحيدين- رجال لديهم أبناء يعيشون مع

زوجاتهم السابقين؛ ورجال يعيشون داخل شقق؛ ورجال يبحثون في مواقع المواعدة على الإنترنت عن أي علاقة فكرية أو رومانسيّة أو حميميّة. رجال ما أن يلقوا عليها نظرة واحدة حتّى يتساءلون ما إذا كان لديها ما تفعله الليلة.

إشراقة!

كانت الرؤيا كالآتي: يُطلّ بول من نافذته في انتظار حصول بيتي مونك على الطلاق، وكانت بيتي (لا تزال) جذّابة وتركن سيارتها بالممر المجاور لبابه. حين تنتهي، يتقدّم نحوها ببطء متذرعًا بأي حجّة كي يقتطع بعضًا من وقتها؛ رسالة لها وصلت بالخطأ إلى صندوق بريده، أو نبأ عن كلب تائه في الحي، أو قلقه على كاحل إيدي الملتوي. سيبقى طويلًا يثرثر دون هدف، وعلى وجهه يرتسم تعبير ينم عن احتياج.

تعامل عقل بيتي مع الرؤيا، أول العيوب في نسيج حياتها الجديدة بشارع جريني؛ الجار يبحث عن امرأة.

قالت: "أنا مشغولة بالمنزل. لديّ الكثير من المهام." وارتشفت قهوتها.

لكن بول تابع: "سأسلّط تلسكوبي على السماء في التاسعة تقريبًا. ثمّة خسوف جزئي للقمر الليلة، سيصل إلى ذروته حوالي التاسعة والربع. وستلقي الأرض بظلالها الحمراء الجذّابة على نصف القمر تقريبًا. لن يستمر الخسوف طويلًا، لكن تستطيعين إلقاء نظرة."

قالت بيتي: "آه." ولم تزد.

هبط بول سريعًا مُغادرًا الشرفة وعبر العُشب، وصادف شاري التي كانت تتواثب وهي تحمل شيئًا ما بين يديها يُشبه حصاة صغيرة شديدة البياض.

هتفت شاري: "ماما! انظري!" وكان ثمّة دماء فوق أصابعها. "سِنّي."

احتضر ضوء النهار خلال الأول الأصيل لها هُنا، وهدأ الشارع حين استراح الجميع من أجل تناول عشاء عائلي. أطعمت بيتي الأطفال شرائح لحم مع سلاطة خسّ وطماطم جاءت مع الأثاث من الشقّة. وكانت دارلين بيتس أمّ كيشاون وترينيل قد أحضرت سابقًا سلّة زهور قطفتها من حديقتها الخاصّة مع بطاقة تسأل: ألن تصيري جارتي؟ كانتا تثرثران في الشرفة حين جاء زوج دارلين يحمل زجاجتي سبرايت ودايت سبرايت ضخمتين، وأعطيا معًا فكرة سريعة لبيتي عن سكّان الحي.

مزح هارلان: "يحمل الزوجان باتل اسمين أولين يؤذيان لساني. أخاطبهما بالسيد والسيدة باتل فحسب!"

حدجت دارلين زوجها وقالت: "عرفان وبريانكا. وهل يؤذيك أن تعرف أسماء أطفالهما؟"

"في الحقيقة، نعم."

وكانت بيتي تحبّ هذا الصنف من البشر.

فجلجلت دارلين بالأسماء: "أننيا. برانوف. بريشا. أنوشكا. وأصغر أولادهما هو أوم."

قال هارلان: "أوم. حفظت هذا."

آل سميث هناك يُهدون سلالًا من المشمش الّذي تثمره شجرتهم، وآل أورنونا هناك لديهم قارب تزلّج لم يُغادر قطّ مدخل منزلهم، وآل باكاس الّذين يسكنون المنزل الواسع المدهون باللونين الأزرق والأبيض يقيمون حفلات ضخمة في أعياد الفصح الأرثوذكسيّة لن تكف الأسرة عن عتابك طوال العام إن تخلفت عن حضورها، أمّا فنسنت

كرويل فيبث قناة إذاعية للهواة طوال ساعات اليوم من منزله الّذي ينتصب فوق سطحه هوائي ضخم.

"وبول ليجاريس يقوم بتدريس العلوم في كليّة برهام، ولديه ابن وابنة شابّين."

"سمعت أنّ ابنه سيلتحق بالقوّات البحريّة."

قالت بيتي: "مُدرِّس ويلبس صندلًا."

سألتها دارلين: "هل زارك؟"

"أهدانا كيس لحم بالصندل. في قدمه، لا على اللحم. تصوّرت أنّ رجلًا يلبس صندلًا في منتصف الأسبوع علامة على أنّه..."

قال هارلان: "على راحته؟"

"بل عاطل."

تنهّد هارلان وقال: "لا مُحاضرات في شهر أغسطس. أحسد رجلًا يلبس صندلًا في يوم كهذا."

إشراقة! رأت بيتي بول داخل الحرم الجامعي بين المُحاضرات، يجلس فوق دِكّة في السّاحة مُحاطًا بالطالبات الجميلات اللائي جعلن ليجاريس يشرح مقدّمة علم الأحياء؛ ذلك أنّه دائمًا ما يكون شاغرًا في أوقات الرّاحة. لا ريب أنّ واحدة من أولئك الطالبات ترغب في الإيقاع بالرجال العجائز الّذين يحتلون مناصبًا هامّة، أو هكذا تمنّى بول ليجاريس.

أغرى دفء المساء الصيفي الأطفال بالعودة إلى شارع جريني. غسلت بيتي الأطباق، وصعدت للطابق العلوي كي تُخرج البياضات من صندوقها وتجهِّز الأسرّة. رأت بول من نافذة غرفة نوم دالي وشاري، ينقل بمساعدة بعض الأطفال أنبوبًا ضخمًا خارج المرأب- تلسكوبه

السابق ذكره- فوق عربة صنعها بنفسه. حلّ الظلام، فثبتت سمّاعة البلوتوث بأذنها وقرنتها بالهاتف كي تصب أديلي نقمتها على مهام المساء الرتيبة من تغطية أرفف دولاب الملابس وفكّ الشمّاعات. كانت لا تني ترتِّب أدراج الدولاب حين سمعت أحد أطفالها يصفق الباب الأمامي ويرتقي الدَّرج بخطوات ثقيلة.

صاح إيدي أثناء دخوله ما سيغدو غرفته الخاصّة: "ماما؟ هل أستطيع أن أصنع تلسكوبًا؟"

"يُعجبني تصميمك."

"لقد صنع البروفيسور ليجاريس تلسكوبه الخاص ومراقبة السماء من خلاله شيء مُدهش."

"بروفيسور، هاه؟"

"بلى. الرجل الّذي يعيش في المنزل المُجاور. مرأبه عامر بالأشياء المذهلة. لديه حزمة من الأسلاك والأدوات داخل دولاب ضخم من الخشب، وثلاثة تليفزيونات قديمة بمقابض على جانبيها وماكينة خياطة بدوّاسة." ووثب إيدي فوق فراشه مستطردًا: "لقد سمح لي برؤية الكون؛ أيّما يكون هذا الشيء، عبر تلسكوبه. رأيت القمر وكأن ظلًّا من الشمس يُغطّي جزءًا منه."

"لست بروفيسورة، لكن أظنّ أنّه ظل الأرض لا الشّمس."

"كان شيئًا طريفًا؛ ذلك أنّه بالعين المُجرّدة يبدو القمر كأنّه مفصول عن السماء، لكن عبر التلسكوب، تستطيعين أن تري الجزء المبتور، سوى أنّه كان أحمر اللون. كذلك رأيت فوهات البراكين وكل شيء. لقد صنع التلسكوب بنفسه."

"وكيف تصنع تلسكوبًا؟"

"تأتين بلوح مستدير من الزجاج وتصقلينه مُدّة طويلة، ثمّ تلمّعينه وتثبّتيه في أحد طرفي أنبوب، كأنابيب السجاد. بعدها تشترين فتحة العين تلك."

"عدسات؟"

"بل النظّارات، أظنّ أنّه قال ذلك. يقوم بتدريس طريقة عمل التلسكوب. هل أستطيع؟"

"إن عثرنا على أنبوب مثل أنابيب السجّاد."

دلف الأطفال إلى الفراش في وقت متأخر من تلك الليلة الأولى في شارع جريني، لكنّهم كانوا قد استنفدوا طاقتهم في الركض فسقطوا كالمغشي عليهم في التوّ واللحظة. وقبل أن تنسى، وضعت بيتي ثلاثة دولارات أسفل وسادة شاري تعويضًا من جنيّة الأسنان عن سنّها المخلوع.

انتهى اليوم أخيرًا، ففتحت بيتي زجاجة نبيذ أحمر قاتم واتصلت بماجي كي تروي لها قصص أطفال الحي وآل بيتس ورابطة الكولا، وبالطبع رؤياها عن بول ليجاريس.

سألتها ماجي: "لكن ماذا عن حظّك مع الرجال؟"

قالت بيتي: "ليس حظّي، بل هم الرجال. جميعهم حزانى، مفضوحين، يستميتون للوصول إلى امرأة تكتشفهم."

رددت ماجي: "بل يستميتون لمضاجعتك. وها أنت ذا، في المنزل المجاور. تُرى إن جاء مرّة أخرى تفوح منه رائحة جرذ؟ أوصدي بابك. سيطاردك."

"آمل أنه يستهدف طالباته، ومساعداته في التدريس. ناديه النسائي."

"قد يؤدّي ذلك إلى طرده، لكن المطلّقة المثيرة التي انتقلت إلى المنزل المُجاور لعبة مشروعة. ربّما يحمل نظّارة معظّمة يصوبها إلى نافذتك

هذه اللحظة."

"إن فعل لن يرى سوى ستائر إيدي المزخرفة بشخصيات حرب النجوم؛ ذلك أنّ غرفتي على الجانب الآخر من المنزل."

كانت أيام أغسطس شديدة الحرارة تتوالى، وتفادت بيتي أي تعامل مع جارها كراهية في سماع هل لديك ما تفعلينه الليلة؟ مرّة أخرى. كانت تسوق عائدة تفتّش شارع جريني بحثًا عن إشارات لبول ليجاريس، وفي مرّة كان وسط حديقته الأماميّة ولوّح لها وهي توقف السيارة في مدخل منزلها، وهتف: "كيف حالك؟"

أجابت: "على ما يُرام. أشكرك!" وهرولت إلى الدّاخل كالمشغولة بأمرٍ ما، في حين لم يكن لديها ما تفعله في الحقيقة. وفي مرّة أخرى، كان يُراقب من مكانه أطفال الحي يركلون الكُرة في مباراة اسمها «بيج أون ذا فلاي»؛ فأمسكت بهاتفها الخامل وتظاهرت بأنّها تُجري مُكالمة أثناء دخولها إلى المنزل. لوّح بول لها، لكنها اكتفت برد التحيّة. كانت تخشى أن يدقّ جرس الباب أثناء المساء وتجده واقفًا أمام الباب، مستحمًّا للتوّ ويفوح منه عطر كريد، ويسألها إن لم يكن لديها ما تفعله، وهل توافق على تناول العشاء معه في مطعم «أولد سباجيتي فاكتوري»؟ وكانت قد رافقت طبيب أسنانها مرّة إلى هذا المطعم بالذّات، وتبيّن أنّه نرجسي مضجر ما جعلها تنتقل إلى طبيب آخر. أعلنت آنذاك هدنة في حرب المواعدات، وها هي الآن يملؤها إصرار شديد على إبقاء حياتها الجديدة في شارع جريني خالية من أي علاقات غراميّة وبالتالي خالية من الكوارث.

لكن كما اتضح لاحقًا، توطدت علاقة أطفالها ببول ليجاريس. وكان

يغسل سيارته في ليلة جمعة (تُرى من يغسل سيارة ليلة جمعة؟) حين أخذهم بوب لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معه كما تقتضي الحضانة. أبصرت بيتي زوجها السابق بالقرب من الطابق السفلي في منزلها الجديد وأطفالها يحزمون حقائبهم، ثمّ راقبتهم يتراصون داخل سيارة بوب. واقترب بول حين أراد إيدي أن يُقدِّم أباه إلى الرجل الّذي يُدرِّس الكون في الكُليّة. ثرثر الرجلان أطول من المألوف، هكذا قالت بيتي لنفسها. في النهاية ابتعد بوب والأطفال، وعاد بول لاستكمال غسيل السيارة. لم تكن قد راودتها أي رؤيا حول الحديث المُتبادل، لكنها تساءلت ما إذا كانا قد قارنا وجهتي نظريهما؛ حسنًا، عنها.

في صباح التالي نامت بيتي حتّى وقت متأخِّر؛ كانت سويعات رائعة صباح يوم سبت بدون الأطفال. هبطت دَرَجَ المنزل الهادئ حافية، تلبس بنطلون يوجا وسترة قطنيّة خفيفة وتحمل لوحها الذّكي.

"مرحبًا أيها الفتى الضّخم." راحت ترتشف إكسيرها الصباحي حافية القدمين، وحملته إلى الفناء الخلفي قبل أن تتعامد الشمس فوق السّطح وتصل الحرارة إلى درجات لا تُطاق. كانت قد حملت لوحها الذّكي معها، وبدا لها كأنّ سنوات مضت على آخر مرّة استخدمت فيها هذا الشيء بأي مكان آخر عدا فراشها. جلست فوق كرسي آديرونداك بلاستيك أسفل الشجرة الموجودة في الفناء الخلفي، وحرّكت شريط التمرير بحثًا عن الأعداد السابقة من مجلّة شيكاغو صنتايمز صنداي، ثمّ تريثت طويلًا جِدًّا في موقع الديلي ميل حين سمعت أصوات نقر.

كان طائر نقّار الخشب يمارس عمله في مكان ما.

خمس نقرات.

تفحّصت أغصان الأشجار بحثًا عن أثر للطائر دون جدوى. ولم يتوقّف النقر.

قالت بيتي لنفسها: "خمس نقرات متعاقبة."

ألقت نظرة على الهيكل الخارجي للمنزل وأسعدها أنّها لم تر الطائر يُفسد الجوانب بنقراته بحثًا عن حشرات، ثم تعاقبت النقرات الخمس مرّة أخرى.

كان الصوت يأتي من الجانب الآخر للسور، من فناء بول ليجاريس الخلفي. كان السور الطويل- الّذي طوّق المنزل حتّى قبالة جيران شارع جريني الطيبين- يحجب رؤية أي شيء في الدّاخل عدا أغصان الأشجار السامقة. ولا أثر للسيد نقّار الرؤوس فوق تلك الأشجار، ورغم ذلك لم تتوقف النقرات المتعاقبة ما أصاب بيتي بالفضول. أرادت أن ترى مدى ضخامة هذا الطائر الخشبي، فنقلت كرسيها إلى جوار السور ووقفت فوقه على أمل أن ترى الطائر يعمل.

خمس نقرات.

كان بول ليجاريس يُحافظ على فنائه الخلفي نظيفًا ومرتّبًا، وزرع فيه مساحة خضروات يرويها بالتنقيط إلى جانب عيدان تنمو عليها الفاصولياء. ثمّة محراث قديم ناله الصدأ وفي حاجة إلى حصان، يستقر وسط رقعة غطّاها العُشب، وتتراص إلى جوارها بشكل متعارض عدد من الألواح الشمسيّة. وفي أخر الفناء، بعيدًا عن الجزء الممهد، ثمّة فرن شواء حجري ضخم وأُرجوحة قائمة بذاتها من النوع الّذي يُطلب عبر البريد.

خمس نقرات.

كان بول بنفسه يجلس أمام طاولة بسيطة فوق دِكّة مصنوعة من

خشب السكويه أسفل مظلّة مائلة، وكان يلبس ثيابه المعتادة؛ سرواله الفضفاض وقميص البولو وذلك الصندل. كان يُثبّت نظارته الأنيقة جِدًّا أعلى رأسه منكفئًا في تركيز فوق ماكينة ضخمة كأنّها مصنوعة منذ القرن التاسع عشر.

خمس نقرات.

كانت الماكينة آلة كاتبة، رغم أنّها لم تكن تُشبه أي آلة كاتبة رأتها بيتي من قبل قطّ. كانت عتيقة، كأنّها تنتمي للعصر الفيكتوري؛ ماكينة طباعة آلية ذات مطارق تضرب الورق الملفوف داخل عربة الآلة الكاتبة. وكان بول ينقر مفتاحًا خمس مرّات متعاقبة، ثمّ يُضيف القليل من زيت التشحيم إلى عتلات الآلة الداخلية، ويكرر العمليّة مع مفتاح آخر.

هكذا كان بول ليجاريس يعصف بصباح هادئ في شارع جريني، في خدمة حلية كتابة تافهة خرجت من روايات جول فيرن.

غمغمت بيتي: "عجبًا!" وعادت إلى الداخل لتلقّي صدمة كافيين أخرى وبقيت مكانها تقرأ في لوحها الذّكي في هدوء نسبي أمام طاولة المطبخ، دون أن تنقطع أصوات النقر المكتومة التي يُصدرها مُعالج نصوص جارها المُدرّع.

في تلك الظهيرة اتصلت بيتي بماجي، وكانت الشمس تحوِّل شارع جريني لمقلاة ونار في آن واحد.

بدا الذهول واضحًا في صوت ماجي وهو تقول: "لديه إذن تلسكوبات وآلات كاتبة بالقرب من منزله. أتساءل عمّ يُخفيه في جعبته."

"محامص عتيقة. تليفونات ذات أقراص. طاولات غسيل بعصّارات. من يدري؟"

"لقد راجعت بعض مواقع المواعدات الغرامية على الإنترنت، ولم أجد له أثرًا."

"جار مُروِّع دوت كوم؟ أكياس حزينة من أجلك؟" كانت بيتي تُطل من النّافذة الأماميّة حين توقّفت سيارة غريبة على الجانب الآخر من الطريق؛ سيارة كوريّة بلون طلاء الأظافر الأحمر. نزل منها شاب؛ السائق، برفقة فتاة أصغر منه عدة سنوات، لا ريب أنّها أخته. مشيا عبر الطريق، ومالا ناحية باب بول ليجاريس الأمامي، وميّزت بيتي مشية ليجاريس بالشّاب.

قالت بيتي لماجي: "خمّني من جاء الآن؟"

سألتها ماجي: "من؟"

"لا ريب أنّهما ذرية البروفيسور المنعزل في المنزل المُجاور. ابن وابنة."

"هل يكشفان عن أوشام أو يلبسان صندلين؟"

حّدقت بيتي بالابنين بحثًا عن أثر لتمرّد أو شذوذ الشباب وقالت: "كلا. يبدوان عاديين."

"العادي ليس إلا برنامج في غسّالة أتوماتيكيّة."

أطلقت الفتاة صيحة وركضت باتجاه باب المنزل الأمامي، وكان بول ليجاريس يتقدّم نحوها حين التقيا فوق العشب. عانقته واحتضنته فوق العشب ضاحكة، وانضم الشاب إلى اللقاء العاطفي؛ طفلان يحتضنان الأب الّذي لم يرياه منذ فترة طويلة؛ كما يبدو.

قالت بيتي: "ربّما اتّصل برقم الطوارئ قريبًا. أعتقد أنّه سيصاب بخلع في كتفيه."

في ذلك المساء تقابلت بيتي وماجي والشقيقتين أوردناند لتناول العشاء بمقهى مكسيكي مبني بالطوب الإسمنتي وتظلله ستائر ورقية لتحجب

الأضواء؛ كان مقهىً رفيعًا لذلك خشوا شرب الماء لكن ضعفوا أمام المارجريتا. امتلأت الليلة بالضحك وقصص الأزواج السابقين والأصدقاء السابقين الخسيسين، والرجال الفاقدين للذوق والسلامة العقليّة. كان الحديث مشوقًا وماجنًا، وأغلبه عن بول ليجاريس، لكنّه خلا من الإطراء.

أعادها سائق أجرة شركة ليفت إلى شارع جريني. كانت السماء قد أظلمت منذ ساعتين، ومن جديد انتقل التلسكوب إلى فناء بول الأمامي. لم تكن سيارته عند المدخل، وكان ابنه وابنته هما من يرصد السماء. قصدت بيتي باب منزلها، لكنّها سمعت صوت الابن يأتيها عبر المدخل.

كان كل ما قاله هو: "طاب مساءك."

أومأت بيتي برأسها وأصدرت صوتًا مبهمًا لكن لم تبطيء.

"هل ترغبين في رؤية أقمار كوكب المشترى؟" كانت الفتاة هي التي سألتها، وتابعت: "مطبوعة في قلب السماء وهادئة كأنّها الجحيم؟"

قالت بيتي: "كلا. أشكركما."

"ستفوتين عرضًا مُذهلًا!" كان صوت الفتاة يُشبه صوت دالي؛ سهل وودود ويميل لحرارة الحماس ولو على أتفه الأمور.

"لا خسوف الليلة؟" كانت بيتي تُخرج مفاتيح بابها الأمامي من محفظتها .

أجابت الفتاة: "هذه ظواهر متباعدة، لكن رصد المشترى سيظل مُتاحًا طوال الصيف. أنا نورا ليجاريس."

"مرحبًا. أنا بيتي مونك."

"والدة دالي وشاري وإيدي؟ قال أبي أنّ أطفالك مبهجون." تقدّمت

الفتاة إلى المدخل واقتربت من بيتي. "اشتريت منزل آل شنايدر. لقد انتقل أولئك الأوغاد المحظوظون إلى أوستن. هذا هي أخي." وأشارت نورا إلى التلسكوب. "قل اسمك للسيدة مونك!"

فقال: "لورنس ألتويل-شانس ديلاجوردو ليجاريس السابع. لكن ناديني بشيك."

بدت الحيرة على وجه بيتي، كامرأة تجرّعت للتو ثلاث زجاجات مارجاريتا، وهو الواقع في الحقيقة. "شيك؟"

"أو لاري. هذه حكاية طويلة. هل ترغبين في رؤية ما رآه جاليليو منذ قرون؟ لقد غيّر مسار التاريخ الإنساني."

كان رفض دعوة كهذه، والفرار إلى داخل المنزل، وقاحة لا تليق بشارع جريني، وكانت نورا وشيك ابنين رائعين. لذلك قالت بيتي: "طالما الأمر كذلك، أظنّ أنّ عليّ أن أرى."

عبرت بيتي حدود منزلها إلى منطقة ليجاريس في زيارتها الأولى على الإطلاق، وتراجع شيك بعيدًا عن التلسكوب كي يُفسح لبيتي متسعًا، وقال: "عايني المشترى."

وضعت بيتي عينيها فوق العدسات عند الطرف المفتوح من أنبوب السجّاد.

"حاولي ألا تزحزحي التلسكوب؛ ذلك أنّه مضبوط في الاتجاه الصحيح."

طرفت عين بيتي حين صدّ زجاج العدسات رموشها. لم تفهم شيئًا مما رأته فقالت: "لا أرى شيئًا."

تنهدت نورا وصاحت: "يا شيك، لا تستطيع أن تقول «عايني المشترى»دون أن تضع المشترى في مجال الرؤية."

"أسف آنسة مونك." وحملق شيك عبر تلسكوب أصغر بكثير مُثبّت

فوق أنبوب السجّاد الهائل وحرّك التلسكوب إلى أعلى وإلى أسفل، وإلى اليمين وإلى اليسار. "ها هو بكامل هيئته مثل أوزة!"
قالت نورا: "آمل أن تري المشترى الآن."
كادت عيناها تلتصقان هذه المرّة بالعدسات، وربّما تشوّهت المسكرة التي تضعها، ورغم ذلك لم تر شيئًا بادئ الأمر، ثمّ رأت ثقبًا دقيقًا من نور. كان كوكب المشترى. لا الكوكب وحده، بل أربعة من أقماره في خطّ مستقيم؛ قمر وحيد على الشمال، وثلاثة على اليمين، شديدة الوضوح.
صاحت بيتي: "ويحي! إنّه بالغ الوضوح! هل هذا هو كوكب المشترى؟"
قال شيك: "ملك الكواكب وأقمار جوفيان."
"كم قمرًا أستطيع أن أرى؟"
"أربعة."
وقالت نورا: "مثل جاليليو. لقد وضع قطعتين من الزجاج داخل أنبوب نحاسي وسلّطه إلى أكثر الأجسام سطوعًا في السماء الإيطاليّة، ورأى ما رأيتِه أنت للتوّ. هكذا صفق الباب أمام النظرية البطلمية عن الكون، ورمى نفسه في الماء المغلي."
عجزت بيتي عن رفع عينيها بعيدًا عن العدسات. لم يسبق لها قطّ أن حدّقت في قلب الكون ورأت كوكبًا آخر بعينيها. كان المشترى مذهلًا.
قال شيك: "تمهّلي حتى تري كوكب زحل. الحلقات والأقمار."
أدمنت بيتي بغتة المشاهد الفلكيّة فصاحت: "أرني!"
قال شيك يشرح لها الأمر: "لا أستطيع؛ ذلك أنّ زحل لا يطلع إلا في الصباح الباكر. إن أردت اضبطي منبهك على الخامسة إلا ربع، وسأقابلك هُنا وأضبط التلسكوب من أجلك."

"الرابعة وخمس وأربعين دقيقة صباحًا؟ مُحال." وابتعدت بيتي عن التلسكوب وأقمار جوفيان تلك. "قل لي الآن ما هي حكاية «شيك» هذه."

ضحكت نورا وقالت: "الثنائي الكوميدي أبوت وكوستيلو. في واحد من أفلامهما كان النحيل اسمه شيك. لقد شاهدناه ألف مرّة فبدأت أنادي شقيقي بهذا الاسم. شيك الملتصق."

"أفضل من لا-لا-لا-لاري لي-لي-ليجاريس."

قالت بيتي: "فهمت. أنا أيضًا كان اسمي إليزابيث إلى جانب سبع فتيات أخريات في الصفّ الرابع." ونظرت إلى المشترى مرّة أخرى عبر التلسكوب وأدهشها المنظر مرّة أخرى.

"ها هو أبي قد جاء." رأت نورا أضواء سيارة أبيها الأماميّة مُقبلة عبر شارع جريني، وفكّرت بيتي أن تغلق بابها الأمامي، لكنّه سيغدو تصرّفًا فظًّا منها لو فعلت ذلك الآن، وتكون قد تخلّت عن غريزتها القتالية.

قال بول وهو يهبط من السيارة: "ماذا تفعلون أيها الأشرار فوق عشبي؟" ونزل شابٌ آخر أصهب لا يكبر شيك بكثير من المقعد المُجاور. "لا أقصدك أنت يا بيتي، بل هذين الصعلوكين."

التفتت نورا صوب بيتي وقالت: "معذرة؛ فأبي يستخدم كلمات ككلمة صعاليك."

قال بول مُشيرًا إلى الشاب الأصهب الّذي استرعت نحافته الشديدة وسوء تغذيته المُحتملة انتباه بيتي رغمًا عنها: "هذا دانيال." كان يلبس ثيابًا جديدة لا ريب أنّه ليس من اختارها؛ ذلك أنّه لم يكن مرتاحًا فيها. تبادل الأولاد التحايا وقالت بيتي مرحبًا.

قال بول وهو ينظر إلى العملاق الغازي في السماء: "لديكم الرجل

الكبير على مرمى البصر. يا دانيال هل سبق أن رأيت كوكب المشترى؟"
"كلا." ولم يزد، بل تقدّم صوب الأنبوب الضخم ونظر خلال عدسة المجهر، ثمّ هتف بلهجة مُحايدة: "عجبًا."
سأل بول: "بيتي؟ هل ألقيت نظرة؟"
"بلى. وصحت قائلة يا ويحي." ثم رمقت نورا قائلة: "معذرة؛ إذْ سمعتني أقول يا ويحي."
فقالت نورا: "كلمة ويحي لا بأس بها. كلمة شائعة مثل رائع أو عظيم."
وقال شيك: "مثل كلمة مدوِّخ."
وقال بول: "أو مُدهش."
وقال دانيال بلهجة مُحايدة مرّة أخرى: "أو مثير كثدبين."
ولم يدر أي منهم ما هو الردّ المناسب على التشبيه الأخير.

مكث الشاب دانيال بضعة أيام في منزل ليجاريس، وسمعت بيتي الرجلين يتكلمان في الصباح؛ إذْ يعبر صوتهما البعيد فوق السور المحاذي للفناء الخلفي. ورأتهما يغادران معًا كل مساء في حوالي السابعة، ثمّ اختفى الأصهب النحيل ذات ليلة، وعاد شارع جريني من جديد مكانًا للدراجات والكرات ولهو الأطفال بعناد لا يتزحزح لأنّ الدراسة كانت تدق الأبواب، وغدت نهاية الصيف جليّة أمام العيون. اصطحبت بيت الأطفال خلال المساء الأخير في أغسطس لتناول البيتزا في مطعم تنتشر في جنباته ألعاب الأركيد، وحين عادوا إلى المنزل كان الحي يُشبه فردوسًا هادئًا بعد كل ذلك الصخب، باستثناء أطفال آل باتل الّذين كانوا يلهون بخرطوم الحديقة فوق العشب فانضم إليهم إيدي وشاري، ودلفت دالي إلى المنزل. مكثت بيتي بالخارج

تستمتع بنسمة هواء باردة حلوة حرّكت أوراق الجميزة، واستندت إلى غصن قريب من الأرض تتسلّى على البيتزا المتبقيّة داخل عُلبة المطعم. لا أثر لبول ليجاريس. ولم تكن سيارته في مدخل منزله. لذلك أحسّت بأنّها على راحتها وسط الشارع الهادئ، رغم إحساس بالذنب بسبب شريحة البيبروني الرابعة الممتلئة بالزيتون والبصل التي أكلتها. طوّحت القشرة المستديرة الرفيعة فوق العشب: سيعثر عليها طائر ما، وتخيّلت أنّها رأت حشرة ضخمة جِدًّا تزحف فوق مدخل منزل بول ليجاريس.

كادت تُطلق صيحة فزع؛ ذلك أنّ الحشرة ربّما كانت عنكبوتًا ضخمًا، لكنّها أدركت أنّ ما رأته ليس إلا حزمة مفاتيح فوق الأرض مكان وقوف سيارة بول.

ثمّ وجدت بيتي نفسها في مأزق؛ تُرى ما هو التصرّف الواجب عليها كجارة؟ ينبغي أن تأخذ المفاتيح وتحتفظ بها حتّى يرجع بول إلى المنزل، ثمّ تطرق بابه الأمامي وتُعيدها إليه. وإن كانت مفاتيح أولاده، وهو أمر مُحتمل جِدًّا، ستنقذه من قلق بحث عقيم. أي أحد في مكانها سيفعل ذلك، لكنّها الرؤيا؛ إذْ سيبتهج بول بسبب استعادة مفاتيحه وسيُصر على ردّ جميل بيتي بدعوتها على عشاء يطبخه بنفسه. سيقول مثلًا ما رأيك لو شويت بعض الضلوع في الفناء الخلفي مع وصفة الصلصة الخاصّة بي!

لم ترغب بيتي أن تذهب إلى هناك، وكان الحل الأيسر بالنسبة لها هو أن تطلب من إيدي أن يُعيد المفاتيح. سيعدو ابنها إلى منزل بول حين يعود الأخير ويُعطيه المفاتيح، وستكون بيتي داخل منزلها وينتهي الموقف. هكذا مدّت يدها والتقطت المفاتيح. كان ثمّة سلسلة متصلة

بشارة كلية برهام الأهليّة، وعِدة مفاتيح منزليّة ومفتاحان صناعيان حُفر بهما رقمين تسلسليين ومفتاح قفل درّاجة، أمّا أضخم شيء في الحلقة فكان شريحة بوكر بلاستيكيّة مُثبّتة من خلال ثقب محفور في حرفها.

كانت الشريحة بالية وقد انبرت حوافها المسننة. كانت حمراء في السابق، أمّا الآن فصارت مرقّطة ببقع باهتة. لا يزال واضحًا رقم 20 المنقوش في وسطها. لابد أنّ بول ربح عشرين دولارًا في واحد من الكازينوهات العائمة المُقلّدة على حدود الولاية. أو ربّما تكون الشريحة هي كل ما تبقّى من ألفي دولار. قلبت الشريحة فرأت حرفي «NA» محفورين فوق الجانب الآخر. كان الحرفان غريبين ومنمنمين مثل وشم، داخل مُربع محفور في ركن الشريحة على هيئة ملعب بيسبول. رأت في ضوء المساء الشّاحب كتابة منقوشة فوق المساحات المفتوحة بالشريحة، لكنّها كانت هي الأخرى بالية وغير واضحة باستثناء بعض الحروف؛ حرف «g» هُنا، أو حرفي «oc»، وكلمة بدت كأنّها «نائب» لكن قد تكون «roit» أو «ضلوع» أو أي كلمة مكوّنة من أربعة أحرف.

كان الأطفال على الجانب الآخر من الشّارع يلعبون الكرة المرتدة أمام باب مرأب أسرة باتل، فحملت بيتي المفاتيح إلى الداخل كي تحتفظ بها إلى أن تنتدب إيدي لمهمّة إعادتها.

كانت دالي منكفئة فوق حاسوبها المحمول داخل غرفة المعيشة تشاهد فيديوهات اليوتيوب عن قفز الجياد.

سألتها بيتي: "هل أنت مشغولة؟" ولم تجب دالي، ففرقعت بيتي أصابعها وهتفت: "أنت، يا ابنتي."

قالت دالي دون أن ترفع عينيها عن الحاسوب: "ماذا؟"

"هل يُمكن أن تبحثي لي عن شيء عبر جوجل؟"

"عمّ؟"

"شريحة البوكر هذه." ورفعت بيتي سلسلة المفاتيح.

"هل ترغبين أن أبحث عن «شرائح البوكر»؟"

"بل عن هذه الشريحة بالذّات؟"

"لست في حاجة لجوجل كي أجيبك. هذه شريحة بوكر."

"من أين؟"

"من مصنع شرائح بوكر."

"سأضربك بها على رأسك إن لم تبحثي عنها على جوجل."

تنهدت دالي ورمقت أمّها وحلقة المفاتيح وشريحة البوكر وأمالت عينيها قائلة: "لا بأس! لكن هل أستطيع أن أُنهي هذا الفيديو؟"

عرضت بيتي على دالي تفاصيل الشريحة: اللون الأحمر الباهت؛ حرفا «NA» الممسوحين على الجانب الآخر، ثمّ تركت سلسلة المفاتيح خلفها كي تغسل كفّيها من آثار البيتزا. وكانت تعبئ غسّالة الأطباق حين سمعت صيحة دالي من غرفة المعيشة.

فصاحت: "ماذا؟"

جاءت دالي إلى المطبخ تحمل الحاسوب وقالت: "الأمر ذو صلة بالمخدرات."

"أي أمر؟" وكانت بيتي ترص أواني المائدة فوق رفّ غسّالة الأطباق العلوي.

قالت دالي: "شريحة البوكر." وعرضت على أمّها مجموعة صور ظهرت على شاشة الحاسوب، مستطردة: "حرفا «NA» اختصار لعبارة «ناركوتيكس أنونيموس»- مُدمني المخدرات المجهولين. مثل

«AA»- مدمني الكحول المجهولين. لقد أدخلت عبارة شرائح بوكر تحمل حرفي *NA* فخرج لي موقع إنترنت، ثمّ بحثت عن الصور فكانت هذه النتائج."

نقلت بيتي بصرها بين التصميم على الشّاشة وتصميم الشريحة. كان حرفا *NA* داخل مستطيل مائل إلى جانب كلمات النفس؛ الله؛ المجتمع؛ الوقاية بالمساحات المفتوحة.

قالت دالي: "يسلمونها لهم احتفالًا «بالإفاقة»؛ أي الامتناع عن تعاطي المخدرات لمدة تزيد عن شهر."

"لكن هذه تقول عشرين." تُرى ماذا كان بول ليجاريس يفعل بشريحة بوكر من جمعيّة مُدمني المخدرات المجهولين؟

قالت دالي: "أظنّ أنّها تعني عشرين عامًا. أين وجدت هذه المفاتيح؟"

ترددت بيتي؛ إذْ لو كان لدى بول ليجاريس ما يُخفيه بشأن المخدرات أو مُدمني المخدرات المجهولين، فهي لا ترغب في أن تعرفه دالي حتى تتحقق هي بنفسها.

قالت بيتي: "عثرت عليها ملقاة في الطريق."

"هل أبحث لك عن شيء آخر؟ شرائح شيبسي أو قواعد لعب البوكر؟"

"لا." وعادت بيتي تحشو غسّالة الأطباق، وحين انتهت اتصلت بماجي.

قالت ماجي: "لا ريب مدمني المخدرات المجهولين. فحرفي AA لمدمني الكحول، وCA لمدمني الكوكايين؛ إذْ لديهم جمعية لكل فئة من فئات المدمنين المجهولين."

"وجمعيّة لمدمني المُخدرات؟"

"لكن لا وجود لجمعيّة مُصابي النوم الارتيابي." وأصاب ماجي الفضول: "هل أنت واثقة أنّها مفاتيحه؟"

"لا. لكنّها كانت في مدخل بيته، لكن لنفرض؛ وهو الفرض الّذي سيجعلني أنا وأنت امرأتين حمقاوَين..."

"دائمًا ما يطأ الرجال في برامج التعافي من الإدمان رفيقاتهم في البرنامج؛ كان لسارة جاليس قريبة تزوّجت زميلًا لها في برنامج التعافي من إدمان الكحول، لكن أظنّ أنّهما انفصلا لاحقًا."

"لكن في حال كان بول ليجاريس عضوًا في جمعية مدمني المخدرات المجهولين، أتساءل عن السبب في بقائه بها عشرين عامًا؟"

"حسنًا." وتوقّفت ماجي، ثم تابعت: "أظنّ أنّ للمخدرات علاقة بهذا الأمر."

عاد إيدي وشاري بعد ساعة مبللين بسبب خرطوم مياه حديقة آل باتل. خلال الساعة التالية استحمّ الأطفال الثلاثة وجلسوا أمام البلايستيشن يشاهدون فيلمًا بجودة فائقة الدّقة. وكانت بيتي في المطبخ برفقة لوحها الذّكي تبحث عن «ناركوتيكس أنونيموس» في موقع تلو الآخر، فلم تسمع الطرقات على الباب.

دخل إيدي المطبخ وقال: "البروفيسور ليجاريس هُنا." رفعت بيتي عينيها الخاليتين من التعبير إلى ابنها الّذي استطرد: "يقف عند الباب الأمامي."

وجدته هناك؛ في الشرفة، يقف أمام عتبة الباب، يلبس جينز وقميصًا أبيض ويضع في قدمه حذاءً مصنوعًا من الجلد. أوصدت بيتي الباب خلفها برفق كي يحجب صوت الفيلم.

قالت: "مرحبًا."

"أسف على إزعاجك. هل أستطيع أن أعبر إلى فنائي الخلفي من فنائك؟"

"لِم؟"

"لأنّي مُغفّل. ذلك أنّي حبست نفسي خارج منزلي. أظنّ أنّ بابي الجرّار مفتوح. كنت سأقفز من فوق السّور لكن سأهبط فوق براميل نفاياتي."

رمقت بيتي بول؛ رمقت نفس الوجه الّذي أحضر لها لحوم هانبيكد منذ شهر؛ نفس الرجل الّذي كان يغسل سيارته يوم الجمعة ويظنّ أنّ أطفالها مُبهجون؛ الجار الّذي صنع تلسكوبه الخاص وأصلح آلاته الكاتبة القديمة. تراودها رؤيا! يجلس بول داخل حلقة تضم رجالًا ونساءً يجلسون فوق كراس قابلة للطي. يُصغي إلى دانيال؛ الأصهب النحيل، يروي لهم عن أيام تعاطيه الهيروين. وبول يهزّ رأسه؛ إذْ يرى فيما يحكيه دانيال صورة مما كان يفعله قبل عشرين عامًا.

تقول بيتي: "انتظرني هنا."

وعادت بعد ثوان تحمل سلسلة المفاتيح في يدها.

غمغم بول: "مفاتيحي! هل سرقت مفاتيحي؟ هذه دعابة."

"بل كانت في مدخل بيتك. تصوّرتها حشرة ضخمة، لكن لا."

"لابد أنّ جهاز التحكّم في سيارة عن بُعد سقط دون أن انتبه؛ حادث آخر يؤكّد سهوي المستمرّ. لم تكن لديّ فكرة عن المكان الّذي أضعتها فيه، لذلك أشكرك."

قالت بيتي: "سمعة شارع جريني وسياسة الجيرة الطيبة." صار عليها الآن أن توصد الباب أمام أي تعاملات مع الجار الّذي يعيش بالمنزل الملاصق؛ الجار الّذي كان يلبس صندلًا؛ والّذي ظلّت تتجنّبه منذ انتقلت إلى هُنا. لكنها أدهشت نفسها بسؤال طرحته: "ماذا جرى لذلك الشّاب الأصهب دانيال صاحب المفردات النبيلة؟"

كان بول قد استدار كي يُغادر لكنّه توقّف وواجه بيتي عند عتبة الباب. "آه، داني." وتوقّف ثم أردف: "هو الآن في ولاية كنتاكي."
"كنتاكي؟ هل هو من هناك؟" كانت بيتي تتكئ الآن براحتها على حرف الباب، دون اكتراث. ساورها إحساس أنّها مرتاحة مع بول أمام عتبة بابها؛ إحساس لم تشعر به من قبل قطّ، خصوصًا منذ سمعت هل لديك ما تفعلينه الليلة؟ هذه أول مرّة.
"من ديترويت. ثمّة مركز تم افتتاحه في كنتاكي؛ لذلك سيكون مسؤولًا عنه تسعين يومًا إن سارت الأمور على ما يُرام. آمل ألا تكون إقامته معي قد تسببت في أي مضايقات لك."
"لا. بل أردت أن أعطي الشاب شطيرة تسمنه."
"آه حقًّا؛ إذْ يحتاج داني إلى الاهتمام بالطعام بدرجة أكبر." وابتعد بول من جديد كي يُغادر.
قالت بيتي: "في الواقع، كان الناس يعتبرون الصُّهْب من أمثاله شياطينًا في قديم الزمان؛ بسبب لون شعرهم."
ضحك بول: "لديه شياطينه؛ لكن ليس أكثر من أي أحد مِنّا."
أخفضت بيتي عينيها نحو المفاتيح في يد بول، تحديدًا على شريحة البوكر التي تحتفي بعشرين عامًا من الإفاقة؛ عقدان بلا مُخدرات، وأجرت بعض الحسابات في رأسها. كان شيك ليجاريس في الواحدة والعشرين من عمره على الأقل، أي أنّه كان رضيعًا حين وصل أبوه إلى القاع، وحين بدأ بول رحلته التي استمرّت حتّى هذه الليلة من أغسطس.
خلال لمحة البصر هذه أيقنت بيتي أنّها هي وأطفالها ينتمون إلى هذا المكان؛ هذا المنزل في شارع جريني.

"أشكرك لأنّك وفّرت عليّ متاعب جمّة." وأشار بمفاتيحه.
فقالت بيتي بالأسبانيّة: "لا مشكلة." وراقبته وهو يبتعد متوجّهًا إلى منزله المجاور.
استدارت كي تدخل منزلها، حين رأت نفسها داخل المطبخ في الصباح الباكر، لا تزال تفصلها سويعات عن بزوغ الفجر، والأطفال يغطّون في نوم عميق فوق أسرّتهم.
تقول لماكينة الإسبرسو: "مرحبًا أيها الفتى الضّخم." تشمّ قهوتها الصباحيّة وفي قدح آخر كابتشينو مزدوج تُغطيه الرغوة.
ثمّ تحمل القدحين وتخرج بها من الباب الأمامي، تهبط درجات الشرفة، وتمشي فوق العشب، وأسفل أغصان شجرة الجميزة المتدليّة.
أخرج بول ليجاريس تلسكوبه إلى مدخل المنزل؛ حيث تُشير الآلة الآن صوب الجهة الشرقية من السماء الزرقاء الداكنة العميقة فوق شارع جريني.
ها هو كوكب زحل يبزغ، فترى عبر فتحة المجهر الكوكب المطوّق مزهوًّا، شديد الوضوح.


ROYAL

ألان بين زائد أربعة

أمسى السفر إلى القمر أقل تعقيدًا بكثير هذا العام مقارنة بعام 1969؛ وذلك كما أثبتنا نحنُ الأربعة. رغم ذلك لم تنطلق مِنّا شهقة إثارة واحدة. في الواقع، قلت لستيف وونج ونحن نحتسي بيرة باردة في فنائي الخلفي وأمامنا الهلال كأنّه أميرة رقيقة تتدلّى منخفضة جهة الغرب، أنّه إذا ألقى؛ لنقل، مطرقة بقوّة كافية، فإنّ الأداة المذكورة ستقطع مسافة خمسمائة ألف ميل تُبحر خلالها حول ذلك القمر تحديدًا ثمّ تدور عائدة نحو الأرض كأنّها قطعة بمرَنج، أليس هذا مُدهشًا؟

يعمل ستيف وونج في هوم ديبوت؛ لذلك تقع يده على مطارق كثيرة، وقد طرح فكرة رمي بعضها. وتساءل مِداش زميله في العمل؛ الّذي اختصر اسمه الأول إلى اسم آخر يُشبه أسماء نجوم الراب، كيف

يُمسك إنسان بمطرقة ملتهبة تطير بسرعة ألف ميل في السّاعة. أمّا آنا التي تدير مكتبًا لتصميمات الجرافيك، فقالت إنّنا لن نجد مطرقة نُمسك بها؛ إذْ ستحترق مثل نيزك، وكانت مُحقّة. إضافة إلى أنّها لم تقتنع ببساطة القذف والانتظار والرجوع الكوني هذا؛ إذْ تتشكك دائمًا في صدق ما أعرفه عن برامج غزو الفضاء. تقول إنني دائمًا أردد «بعثات أبولو هذه» و«برنامج لوناخود للهبوط فوق القمر ذلك»، وأنّي بدأت أزيّف التفاصيل كي أبدو كأنّي خبير، وهي مُحقّة في ذلك أيضًا.

أحتفظ بكل الكُتب غير الروائيّة على قارئ إلكتروني صغير ماركة كوبو؛ لذلك أبرزت فصلًا من كتاب «مُحال يا إيفان: لماذا خسر الاتحاد السوفييتي صراع الوصول إلى القمر. لبروفيسور مُهاجر لديه وجهة نظر قويّة مفادها أنّ السوفييت أرادوا في منتصف الستينيات المزايدة على برنامج أبولو من خلال مهمة الذهاب والعودة هذه؛ بدون مدار ولا هبوط، فقط مجموعة صور فضلًا عن الحقّ في الشماتة. هكذا أرسل الشيوعيون مركبة سويوز بدون ملاحيين باستثناء ما يُفترض أنّه مانيكان يلبس بدلة فضائيّة، لكن أمورًا كثيرًا لم تجر على ما يُرام فلم يجرؤوا على المحاولة مرة أخرى، ولا حتّى مع كلب. خذلان سبوتنيك.

لكن آنا نحيلة وبارعة كأنّها كرباج، ولديها من الحماس ما يفوق كل من واعدتهن يومًا (طوال ثلاثة أسابيع مضنية). لذلك رأت تحديًّا هُنا، وأرادت أن تنجح حيث أخفق الروس. لكم سيكون طريفًا. قالت سنسافر جميعًا، قولًا واحدًا، لكن متى؟ قلت نرتّب عملية إقلاع بالتزامن مع الذكرى السنوية لأبولو 11؛ رحلة الفضاء الأشهر في

التاريخ، لكنه كان موعدًا غير ممكن لأنّ ستيف وونج كان قد حجز في عيادة أسنان خلال الأسبوع الثالث من يوليو. ماذا عن نوفمبر، حين هبط أبولو 12 وسط محيط العواصف في حدث نسيه كل سكّان الأرض الآن تقريبًا؟ لكن كان على آنا أن تكون إشبينة العروس خلال حفل زفاف شقيقتها الأسبوع التالي لعيد القديسين. هكذا تبيّن أنّ أفضل موعد لتنفيذ المهمّة سيكون السبت الأخير من سبتمبر.

كان روّاد الفضاء فترة أبولو يقضون آلاف الساعات في قيادة الطائرات النفّاثة والحصول على شهادات الهندسة؛ كذلك كان عليهم التمرين على الهرب من كوارث منصات الإطلاق من خلال الانزلاق حول كابلات طويلة إلى مخابئ مبطّنة سميكة آمنة، وأن يعرفوا كيف تُنفّذ قواعد هذا الانزلاق. لم نفعل شيئًا من ذلك، رغم أنّنا نفّذنا اختبار طيران لمحرّكنا الصاروخي في الرابع من يوليو، أمام مدخل منزل ستيف وونج الواسع في أوكسنارد، يحدونا الأمل ألا ينتبه أحد في ظلّ الألعاب النارية التي ملأت السماء ليلًا، إلى انطلاق المرحلة الأولى من مهمّتنا من دون ملاحين. تمّت المهمّة بنجاح، ومسح ذلك الصاروخ ولاية باها وهو يدور الآن حول الأرض كل تسعين دقيقة ومن المُحتمل، أقولها صريحة للوكالات الحكوميّة المتعددة، أن يحترق دون التسبب بأضرار خلال رحلة العودة في غضون اثني أو أربعة عشر شهرًا.

يحظى مداش المولود في قرية جنوب الصحراء الكُبرى بعقل بارع؛ ذلك أنّه ربح جائزة استحقاق من معرض العلوم عن تجربة على مواد التذريّة، خلال دراسته كطالب مُحوّل في ثانوية القديس أنطوني كنتري داي، دون مهارات كافية في اللغة الإنجليزيّة؛ وهو الشيء الّذي أبهجنا جميعًا. وبالتالي كان مداش مسؤولًا عن بناء درع فعّال واقي من

الحرارة لتأمين رجوعنا سالمين إلى الأرض، فضلًا عن كافّة المفرقعات مثل المشابك المتفجّرة في مرحلة الانفصال. كانت آنا مسؤولة عن إجراء الحسابات ومعدلات رفع الأحمال والميكانيكا المداريّة وأخلاط الوقود والمعادلات. وكلّها أمور أدّعي معرفتها، لكنّها كانت تصيبني بالحيرة في الحقيقة.

إسهامي كان بناء قمرة القيادة؛ وهي وحدة ضيقة شبه كروية تُشبه مصباحًا أماميًا قام بتجميعها تاجر شديد الثراء يعمل في تجهيزات حمامات السباحة، صمم على دخول مجال الملاحة الفضائية الخاصّة كي يحظى ببعض أرباح ناسا الهائلة، لكنّه مات أثناء نومه قبيل عيد ميلاده الرابع والتسعين، فوافقت زوجته (الرابعة) وأرملته على بيع الكبسولة بمئة دولار، رغم أنّي كنت مستعدًّا لدفع مئتين. بل أصرّت على طباعة إيصال على آلة من آلات زوجها الكاتبة القديمة؛ وكانت آلة خضراء هائلة من نوع الرويال ديسكتوب، التي كان يهوى جمعها لكنّه فشل في صيانتها حيثُ تراكم عدد كبير منها يعلوه الصدأ في ركن بالمرأب. وكتبت **واجبة التسليم في غضون يومين إضافة إلى البضاعة المُباعة لا تُسترد/البيع نقدًا فقط**. أطلقت على الكبسولة اسم الآن بين؛ تكريمًا لطيّار المركبة القمريّة أبولو 12 ورابع رجل يمشي على سطح القمر، والوحيد الّذي التقيته في مطعم مكسيكي بهيوستن عام 1986 . يومئذ كان يدفع لموظّف الخزينة كأي شخص عادي يكسو رأسه الصلع، حين هتفت: "أيتها البقرة المُقدّسة! أنت أل بين!" بعدها وقّع لي أوتوجرافًا ورسم صورة رائد فضاء صغير فوق اسمه.

تطلّبت زيارتنا المزمعة نحنُ الأربعة للقمر بناء غرفة داخل ألن بين وخسارة بعض الوزن. هكذا انتزعت وحدة الاتصال بالكامل بسبب

عدم وجود مركز تحكّم يقوم بتوجيهنا من الأرض، ووضعت شريطًا لاصقًا (سعر اللفة منه ثلاثة دولارات من هوم ديبوت) بدلًا من المسامير والبراغي والمفصلات والمشابك والوصلات. وكان مرحاضنا يحتوي على ستارة للخصوصيّة، وكنت سمعت من مصدر خبير أنّ استخدام المرحاض في غياب الجاذبيّة يستدعي أن تتعرّى تمامًا وتُعطي نفسك نصف ساعة مثلًا، لذلك بلى، كانت الخصوصيّة مسألة هامّة. كما خلعت الباب الخارجي وقفل الإخلاء الضخم ووضعت بدلًا منهما سدادة من سبيكة الفولاذ المزوّدة بنافذة واسعة ومريول ذاتي الغلق؛ ذلك أنّ ضغط الهواء داخل ألن بين سيُغلق الغطاء بإحكام بسبب الفراغ الفضائي. المبادئ البسيطة للفيزياء.

حين تُعلن أنّك ستطير إلى القمر يظنّ الجميع أنّك ستهبط فوقه وتغرس علمًا وتثب مثل كانجارو بسبب جاذبية القمر التي تبلغ سُدس جاذبية الأرض وتجمع صخورًا تعود بها. لم نكن نعتزم القيام بشيء من هذا، كُنّا سنحلّق حول القمر لكن الهبوط مسألة مختلفة تمامًا، أمّا بالنسبة لإرسال أحد أفراد الطاقم للسير فوق السطح؟ فهذا هو الجحيم بعينه؛ ذلك أنّ اختيار مَن مِنّا نحن الأربعة سيخرج أولًا ويغدو الشخص التاسع عشر الّذي يطبع آثار قدميه هناك بالأعلى، كان من شأنه إشعال كراهية شديدة قد تقضي على الطاقم قبل بدء العدّ التنازلي بكثير. ولنواجه الحقيقة، كان الاختيار سيرسو على آنا بأي حال.

استغرق تجميع المراحل الثلاث للمركبة الفضائيّة الصالحة ألن بين يومين. عبأنا عُلب الجرانولا والماء داخل زجاجات بغطاء مضغوط، ثمّ ضخخنا الأكسجين السائل لإطلاق الصاروخ ذي الخطوتين،

والوقود تلقائي الاشتعال اللازم لإطلاق مُحرّك الصاروخ الصغير الّذي سيُحلّق بنا إلى ملتقانا القمري. احتشد أغلب أهالي أوكسنارد أمام مدخل منزل ستيف وونج من أجل إلقاء نظرة على ألن بين، دون أن يعرف واحد منهم من هو ألن بين أو لماذا أطلقنا اسمه على المركبة الفضائيّة، واستعطفنا الأطفال كي يختلسوا نظرة داخل المركبة، لكن لم نكن قد أمنّا عليها. تُرى ماذا تنتظرون؟ هل ستنطلقون قريبًا؟ شرحت لكل أحمق يودّ أن يسمع ماهية نوافذ الإطلاق ومسارات الحركة، وعرضت عليهم من خلال تطبيق موونفيز المجّاني كيف سيغدو حتميًّا بالنسبة لنا أن نتقاطع مع مدار القمر عند اللحظة المناسبة تمامًا وإلا قامت جاذبية القمر بـ... آه، تبًّا! ها هو القمر! ضع صاروخك في اتجاهه وانطلق!

أربعٌ وعشرون ثانية بعد إخلاء البرج، كانت مرحلتنا الأولى تقتضي حرق كل الحواجز، وبيّن لنا تطبيق الماكس-كيو (بتسعة وتسعين سنتًا) تعرّضنا لقوة شدّ تُعادل 11.8 ضعف وزننا عند مستوى البحر، وكأنّنا كُنا ننتظر هاتفًا ذكيًّا يخبرنا بهذه الحقيقة؛ إذْ كُنّا نقاتل لالتقاط الأنفاس حتّى آنا التي كانت تصرخ: "اهبطوا من فوق صدري!" في حين كُنّا بعيدين عن صدرها. بل كانت هي، في الحقيقة، من يجثم فوقي ويسحقني كأنّها لاعب دفاع يُحاصرني. انفجرت مشابك الديناميت التي أعدّها مداش بشكل رائع، وانطلقت المرحلة الثانية كما كان مُقررًا. بعدها بلحظة طفى غبار وبعض الفكّة وأقلام حبر من وراء مقاعدنا لتقول لنا: مرحى! صار لنا مدارا!

بقدر ما تكون حالة انعدام الوزن طريفة قدر ما يصل إليه خيالك،

إلا أنّها تغدو مصدر ضيق لبعض رواد الفضاء مِمَن ينفقون ساعاتهم الأولى هناك في التقيؤ دون سبب واضح، وكأنّهم يفرطون في الأكل أثناء حفل الاستقبال الّذي يُقام قبل الإطلاق. هذه واحدة من الحقائق التي لم يعلنها برنامج ناسا ولا ظهرت في مذكرات روّاد الفضاء قطّ.
هدأت معدة ستيف وونج أخيرًا بعد أن قطعت الأرض ثلاث دورات، وبعد أن انتهينا من مراجعة عملية الحقن خارج مدار القمر. هكذا فتحنا صمامات مُحرِّك الصاروخ الصغير الّذي سيحملنا إلى القمر، ومارس الوقود ذاتي الاشتعال سحره الكيميائي و- هووب!- كُنا ننقل الحمولة إلى الكوكب السّاحر حيث بلغت سرعة هروبنا سبعة أميال في الثانية، وراحت الأرض تتضاءل وتتضاءل خارج النافذة.
كان الأمريكيون الذين سبقونا إلى القمر يحملون حواسيبًا شديدة البدائيّة، لذلك عجزوا عن استخدام البريد الإلكتروني أو جوجل لحسم المناقشات. لكن الألواح الذكية التي حملناها معنا كانت مزوّدة بحوالي سبعين بليون ضعف ما كان مُخزّنا على حواسيب أبولو، كما كانت مفيدة جِدًّا لا سيما خلال زمن التوقف عن العمل أثناء انتقالنا. لذلك استعان مداش بلوحه الذكي لمشاهدة الموسم الأخير من مسلسل جيرلز، والتقطنا مئات الصور الشخصيّة مع الأرض البادية وراء النافذة، وقذفنا كرة طاولة من المقعد الأوسط في مباراة بلا طاولة ربحتها آنا. وقمت بتوجيه المركبة للحصول على رؤية واضحة لبعض النجوم التي كانت واضحة في نور الشّمس: أنتاريس وننكاي والعنقود الكروي NGC 6333، والتي لم تطرف لأي منها عين حين مررنا بينها.
لكن الحدث الأكبر في الفضاء الفاصل بين القمر والأرض هو عبور

نطاق الجاذبيّة، وهو نطاق بالغ الوضوح مثله مثل خطّ التاريخ الدولي لكنه يُشبه نهرًا ضحلًا بالنسبة لألن بين؛ إذْ تشدنا الجاذبية الأرضيّة على هذا الجانب من النطاق، وتبطيء تقدمنا وتُغرينا بالعودة إلى الأرض حيثُ الظروف المواتية للحياة كالماء والغلاف الجوي والمجال المغناطيسي. لكن ما أن نعبر حتّى يتشبّث بنا القمر ويضمنا إلى حضنه العتيق هامسًا لنا أن أسرعوا كي نلمح مدهوشين إقفاره المذهل.

كافأتنا آنا في نفس اللحظة التي وصلنا فيها إلى هذه العتبة بعدد من طيور الكركي المصنوعة من ورق الألومنيوم، التي ثبتناها في أقمصتنا كأنّها أجنحة طيارين. ثمّ ضبطت المركبة على وضعية الدوران البطيء بحيث تدور مركبتنا الخاضعة لجاذبية القمر حول محور غير مرئي من أجل توزيع حرارة الشمس، بعدئذ أخفضنا الإضاءة وثبّتنا قميصًا ثقيلًا فوق النافذة لحجب نور الشمس ومنعه من دخول القمرة، ونمنا؛ وقد تكوّر كل منا داخل ركن مُريح من أركان مركبتنا الفضائيّة الصغيرة.

حين أقول للناس أنّي رأيت الجانب البعيد من القمر، يرددون في الغالب: "تقصد الجانب المُظلم." كأنّي سقطت أسير تعويذة لدارث فيدر[3] أو بينك فلويد[4]. لكن الحقيقة هي أنّ كلا الجانبين يحظيان بالقدر ذاته من أشعّة الشمس، لكن في فترات مُختلفة.

ولأنّ القمر كان على وشك أن يُصبح بدرًا بالنسبة لسكّان الأرض، اضطررنا للانتظار فوق الجانب المُظلم على الجهة الأخرى. وفي تلك العتمة، وفي غياب نور الشّمس حيث يحجب القمر انعكاس الأرض، أدرت المركبة بحيث تستقبل نافذتنا مشهد اتّصال الزمكان الّذي

---

(3) شخصيّة شهيرة من شخصيات حرب النجوم. [المترجم]

(4) فريق روك إنجليزي. [المترجم]

كان يستحق آيماكس: نجوم لا يرف لها جفن فوق درجات مُذهلة من الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق والنيلي والبنفسجي، حيثُ تترامى مجرّتنا لأبعد مما تصل إليه عيوننا كأنّها سجادة ماسيّة زرقاء يطوقها فراغ أسود مُفزع وفاتن في آن.

ثمّ فجّ نور مُباغت كأنّ مداش كبس زرًّا. عدلت المركبة قليلًا، وإذا بسطح القمر أسفلنا. كان مُذهلًا على نحو أخرس ألسنتنا، مكان وعر ينتزع صيحات الفزع والدهشة، وبيّن لنا تطبيق لوناتيكيت (بتسعة وتسعين سنتًا) أنّنا عبرنا من الجنوب إلى الشمال، لكن عقولنا كانت تائهة في الفضاء؛ إذْ كان السّطح فوضويًا كأنّ الريح عصفت به، أو كخليج غطّاه الرماد. ظللنا على هذا الحال إلى أن طابقت فوهة بوانكاريه الصدميّة مع دليل «هذا هو قمرنا» الموجود على قارئي الإلكتروني. كانت مركبتنا تُحلِّق على ارتفاع 153 كيلومترًا (95.06 ميلًا)، بسرعة تفوق رصاصة بندقيّة، وكان القمر ينزلق قبالتنا بسرعة هائلة فأمسينا نبتعد عن الجانب المُظلم. كانت فوهة أورسمه مُحاطة بخطوط بيضاء عشوائيّة، وكشفت فوهة هيفسايد عن وديان طويلة ومنخفضات تُشبه انجرافات نهريّة. حلّقنا فوق فوهة دوفاي وقسمناها شطرين متساويين من الجنوب إلى الشمال، وكانت حافتها شديدة الانحدار مثل شفرة حادة. أمّا بحر موسكو أو الماري موسكوفينسي فكان بعيدًا ناحية الشمال؛ نُسخة مصغّرة من محيط العواصف، حيثُ مكثت مركبة ألن بين الحقيقيّة يومين كاملين منذ أربعة عقود ونصف؛ تتنزّه وتجمع الحجارة وتلتقط الصور. لكم كان رجلًا محظوظًا!

كانت طاقتنا على الاستيعاب محدودة؛ لذلك قامت هواتفنا الذكية

بالتسجيل، وتوقفت عن ملاحقة المشاهد رغم أنّي كنت أدرك أنّ فوهتي كامبل ودالمبير الهائلتين المتصلتين بفوهة سليفر الصغرى كانتا قريبتين من النقطة التي سنرجع منها إلى الأرض فوق قطب القمر الشمالي. جهّز ستيف وونج مقطوعة موسيقيّة مُعيّنة من أجل شروق الأرض المنتظر، لكّنه اضطر إلى إعادة تشغيل البلوتوث على مُشغِّل الموسيقى الخاص بآنا ولذلك تأخّر التحضير، فهتف مداش: "أدر لنا أغنية! أدر لنا أغنيّة!" وذلك ما أن اخترقت بقعة حياة تنبض باللونين الأزرق والأبيض؛ مكان يضم كل نتائج خيارتنا وسائر ذكرياتنا، الكون المظلم فوق الأفق المسنن. توقعنا شيئًا كلاسيكيًّا كموسيقى لفرانز جوزيف هايدن أو جورج هاريسون، لكن «ذا سيركل أوف لايف» من فيلم «ذا لايون كينج» هي التي رافقت طلوع كوكبنا الأم فوق القمر الجصّي. حقًّا؟ أحد ألحان ديزني؟ لكن في الحقيقة أمسك ذلك الإيقاع وتلك الجوقة والمعنى المزدوج للكلمات بتلابيبي، فخنقتني. وغمرت الدموع وجهي شأن الآخرين الّذين طفوا بأرجاء المركبة. احتضنتني آنا كأنّما لا نزال صديقين، وبكينا. بكينا جميعًا. ولو كنت في مكاننا كنت بكيت أنت أيضًا.

كان انزلاقنا إلى الأرض مفاجئًا؛ رغم الاحتمال القائم (الّذي لم نذكره بيننا على الإطلاق) بأن نحترق أثناء الرجوع مثلما حدث لقمر تجسس صناعي قديم حوالي عام 1962 . بالطبع كُنّا سعداء جِدًّا بنجاحنا في القيام بالرحلة وبلغنا الحدّ الأقصى من مساحة الذاكرة بهواتفنا الذكيّة بسبب صورنا الذكيّة. لكننا أثرنا أسئلة حول ما سنفعله عند عودتنا، ناهيك عن نشر بعض الصور على إنستجرام. إن صادفت يومًا أل بين مرّة أخرى سأسأله عن حياته بعد أن عبر نطاق الجاذبيّة

مرّتين. هل أصابه الاكتئاب ذات أصيل هادئ إذْ يدور العالم تلقائيًّا؟ وهل ستصيبني نوبات أسى بين الحين والآخر لأنّ لا شيء يضاهي في روعته شطر فوهة دوفاي من المنتصف؟ سنرى.

هتفت آنا: "مهلًا! هذه كامشاتكا!" تفتت درعنا الواقي من الحرارة إلى ملايين المذنبات الدقيقة أثناء هبوطنا فوق الدائرة القطبيّة الشماليّة، وعادت الجاذبيّة تأمرنا بالهبوط نحن الذين أردنا الصعود. انطلقت البارشوتات ورجّت المركبة عظامنا، فخسر مُشغِّل الموسيقى لصقاته وأصيب مداش في جبهته. ارتطمت المركبة بسطح الماء قبالة جزيرة أواهو، وكانت الدماء تنزف من الجُرح البشع بين حاجبي مداش، فألقت إليه آنا بمنديل رأسها لأنّه تُرى ما الشيء الّذي لم يُفكّر واحد منا في أن يأخذه معه أثناء الطواف حول القمر؟ لكل من يقرأ هذه الكلمات ويعتزم تقليدنا: خذ معك ضمادات.

مع استقرار المركبة؛ أي حين بدأت بالتمايل فوق مياه المُحيط بدلًا من التحلل إلى الهيولي، أشعل مداش طلقات الإنقاذ التي جهّز بها نظام التخلّص من المظلات، وفتحت صمام مُعادلة الضغط مبكّرًا بعض الشيء، فاندفعت أبخرة سامة ناتجة عن احتراق فائض الوقود لتملأ الكبسولة، وأصابنا غثيان فضلًا عن دوار البحر.

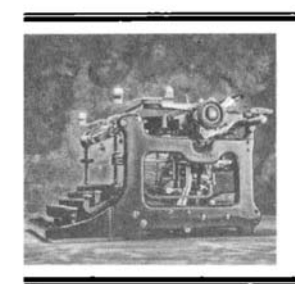
تساوى ضغط الهواء داخل القمرة مع الضغط خارجها، فتمكّن ستيف وونج من تحرير الباب الرئيس، وبثّ نسيم المحيط الباسيفيكي أنفاسه الرقيقة داخل القمرة، كأنّها قبلة من أمّنا الأرض، لكن بسبب ما تبيّن أنّه عيب هائل في التصميم، بدأ نفس المحيط الباسيفيكي في الانضمام إلينا داخل مركبتنا الفضائية الضيقة. وباتت رحلة ألن بين التاريخيّة الثانيّة مهددة بالغرق. فكّرت آنا بسرعة ورفعت أجهزة

آبل عاليًا، لكن ستيف وونج خسر هاتفه السامسونج (الجالاكسي! عجبًا!) الّذي اختفى في قاع القمرة ومياه البحر التي تواصل الارتفاع تقدِّم لنا مخرجًا.

سحبنا من الماء قارب صيد يحمل على متنه غواصين من فندق كاهالا هيلتون. وقال لنا من يتقنون الإنجليزيّة منهم إنّ رائحتنا بشعة، وأفسح لنا الأجانب متسعًا بينهم.

كنتُ أغرف سلاطة فواكه من إناء واسع مُزخرف موضوع فوق طاولة بوفيه الفندق، بعد أن استحممت وأبدلت ثيابي، حين سألتني سيدة ما إذا كنت واحدًا من أولئك الذين كانوا داخل هذا الشيء الّذي هبط من السماء. قلت لها نعم سافرت إلى القمر وعدت سالمًا إلى قيود الأرض التي لا مناص منها. تمامًا مثل ألن بين.

هُنا سألتني: "ومن هو ألن بين؟"



بلدتنا اليوم مع هانك فيست

طليقًا في نيويورك

مدينة نيويورك! أنا بمفردي منذ ثلاثة أيام حيثُ جئت برفقة زوجتي التي تحتفل بذكرى تخرجها الخامس والعشرين مع راهبات نادي جوتا جيتا جاي. لم أزر جزيرة منهاتن منذ كان فريق الكاتس في برودواي، وقت أن كانت شاشات تلفزيون الفنادق ليست عالية الدّقة.

* * *

إذن ما الجديد الآن في نيويورك؟ ما لا يُحصى إن كنت مُغرمًا بذكريات المدينة، والشيء اليسير في حال تركت لك المدينة العارية فرصة تشعر فيها أنّك أعزل. أظنّ أنّ مدينة نيويورك تبدو أجمل على شاشات التلفزيون وفي أفلام السينما، حيث سيارات الأجرة مُجرّد صافرات بعيدة وحيثُ ينقذ الأبطال الخارقون الأمر برمّته. أمّا في العالم الحقيقي (عالمنا) فكل يوم في المدينة الآثمة يُشبه قليلًا موكب شركة مايسيز يوم عيد الشّكر، ويُشبه كثيرًا استلام الأمتعة بعد رحلة طيران طويلة ومزدحمة.

* * *

يغدو المشي في شوارع المدينة الواسعة بأسرع ما يُمكن ضرورة مُلحّة، لاسيّما حين تُبدد الزوجة التاريخ الائتماني للعائلة بكل تلك المتاجر الكُبرى التي تحمل اسمًا يتكون من كلمة واحدة: برجدورف؛ جودمان؛ساكس؛ بلومي، والتي لا يتفوّق واحد منها على متجر هنورثي الّذي افتتح فرعًا في سفنث وسيكامور منذ عام 1952. تلك الأماكن الفاخرة تُرهق رصيدي(المتضائل) كثيرًا لمجرّد شراء بضع حقائب، لكن المشي في شوارع نيويورك فُرجة في حدّ ذاتها. أقصد، إلى أين ينطلق الجميع؟

* * *

ربّما سنترال بارك؟ ذلك المستطيل الأخضر الواسع الّذي يضم موسيقيين أكثر مما في فرقة استعراضات مدرسة ايست فالي الثانويّة، لكنّهم جميعًا عازفون منفردون. عازفو الساكس ونافخو الأبواق وعازفو الكمان والأكورديون هؤلاء، فضلًا عن عازف واحد على الأقل لآلة الأوتار الثلاثة اليابانيّة، منهمكون في مباراة مع زميلهم الموسيقي الّذي يتضور جوعًا ويعزف لحنا رديئًا على مسافة أمتار قليلة، يُفسد السلام النسبي بالحديقة العامّة. أضف أيضًا إلى مئات المهرولين الجادّين ومن على وشك الركض وراكبي الدرّاجات، عددًا مساويًا من المتسكعين والسائحين الّذي يمتطون دراجات مستأجرة والدرّاجات الثلاثيّة التي تجرّ ركّابًا، علاوة على الجياد والحناطير التي تجعل رائحة الحديقة كأنّها حديقة حيوانات، وستحنّ إلى حديقتنا السبيتز ريفرسايد بارك التي رغم قلة ما فيها من مناظر، لكنّ سناجب بلداتنا الثلاث تبدو أسعد على الأقل. تعبر الحديقة على قدميك من شوارع الإيست سايد التي تمتلئ بقصور الأثرياء الأقدمين، إلى شوارع الويست سايد المزدحمة بستاربكس وأسواق الجاب والبيد باث آند بيوند. هل صادفت للتو

مركز تسوقنا التجاري هيلكريست في بيرمان؟ يبدو ذلك، لكن أين كانت ساحة انتظار السيارات اللائقة؟

* * *

أعترف أنّ الحاضرة المعروفة بمدينة نيويورك لا تخلو من سحر؛ إذْ حين تسقط الشمس وراء الأبراج السكنيّة وتكفّ عن شيٍّ أرصفة الشوارع، فلا أجمل من تزجية الوقت أمام طاولة على جانب الطريق حاملًا كوب كوكتيل بين أصابعك. آنئذ تحظى مدينة اليانكي بطلاوة مطعم شواء وحانة كاونتري ماركت المفتوح. جلست وشربت وشاهدت عالم سكّان نيويورك غريبي الأطوار وهم يتجوّلون. رأيتُ رجلًا يحمل قطًّا فوق كتفيه، وسائحين أوربيين يلبسون أضيق بناطيل يُمكن تصورها، وفريق إطفائيين يتسلقون درجًا آليًا إلى شقة شاهقة، ثمّ يعودون بعد فترة يتكلمون عن كاشف دخان رديء، ورجلًا يضع تلسكوب منزلي الصنع في الشّارع، والممثّل كيفر ستْرلاند يسير بين الناس، وامرأة تحمل طائرًا أبيض ضخمًا فوق كتفها، آمل ألا تصادف الرجل الّذي يحمل قطًّا.

* * *

تبقى سلطة القيصر الاختبار الحقيقي لأي من مطاعم الفنادق- اكتب ذلك! ذلك أنّ مطعم الصن جاردن ونُزل الريد لايون في المطار يُقدمان سلطة رائعة. لكن الطبق الّذي تناولته بأحد مطاعم ميدان التايمز؛ خلال العشاء الّذي سبق دخول المسرح برفقة الزوجة والطالبات الماكرات، كان مترهلًا ومغطّى بالكثير من الصلصة. تبًّا لك يا قيصر! بعد أن دفعت الحساب ذهبت الفتيات لمشاهدة نسخة برودواي من مسرحيّة شيكاغو؛ وهي تُشبه الفيلم السينمائي لكن دون لقطات مقرّبة. لا أعرف الكثير عن المسرح الغنائي، لكن أراهنكم أنّ ما شاهدته الفتيات تلك الليلة لم يكن

أجمل بأي حال مما يفخر بعرضه قسم الدراما بكلية مادو هيلز الأهليّة منذ عشرين عامًا ونيف، والّذي عُرض أثناء مهرجان المسرح الجامعي الأمريكي العام المنصرم. هل يتفوّق شارع المسارح في نيويورك على شوارع التريسيتيز؟ الإجابة بالنفي حسب هذا المراسل الصحافي.

* * *

في حال أصابك الجوع وتشتهي تناول سجق فرانكفورتر؛ ستجدها متوافرة بكل أنحاء مانهاتن- على نواصي الشوارع؛ وكل بضعة أمتار داخل الحديقة؛ وداخل محطات مترو الأنفاق، مع عصير البابايا. لكن لا شيء منها يبزّ سجق بتروورث هوتدوج إمبوريم في شارع جراند ليك. يصلح خبز منهاتن المرشوش بالسكّر للمتخصصين باللاهوت، لكن كافيتريا كرين ويست سايد تقدّم كعكًا مُختمرًا شهيًّا لكل من في التريسيتيز. الكثير من البيتزا يُصنع بطريقة نيويورك، لكنّي أنفقت نقودي على شريحة من بيتزا لامونيكا نيوبوليتان. وبلى، يقومون بتوصيلها داخل دائرة يصل نصف قطرها عشرة أميال حول فروعهم الأربعة عشر. وبمناسبة الحديث عن الطعام الإيطالي، يتمتّع أنتوني إيتاليان سيلار داخل فندق هاربور فيو بأجواء أي ملهى صغير في الحي الإيطالي دون جرائم العصابات.

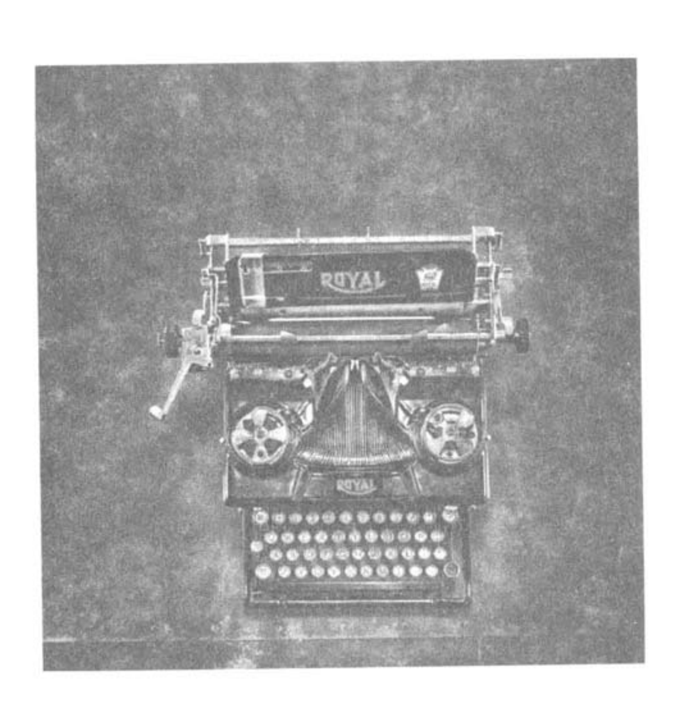
* * *

تُرى، بم تنفرد نيويورك ونفتقر نحنُ إليه في تريسيتيز؟ ليست بالأشياء الكثيرة؛ إذْ ينقل لنا التلفزيون كافّة المباريات والبرامج في العالم وتضطلع شبكة الإنترنت بالباقي. أعترف أن تعدد المتاحف في منهاتن أمرٌ ممتاز ومدهش ومثير للإعجاب وخلافه؛ ذلك أنّ التمكّن من السير داخل؛ لنقل مثلًا، معبد قديم من دندره أو قاعة تمتلئ بعظام الديناصورات، يُبشِّر بنزهة عظيمة حتّى حين تكون مضطرًّا لتقاسم هذه النزهة مع طلاب مدارس من كل أرجاء الولاية

وسائحين من كل أرجاء العالم. مكثت يومًا كاملًا أتنقّل بين المتاحف حين حجزت النساء مواعيدًا لتجميل الوجه وتدليك الجسد والعناية بالأقدام؛ أعني علاجات صداع الكحوليات. هكذا رأيت لوحات لن أفهمها أبدًا، و«تركيبًا» لم يكن يتعدّى حجرة تمتلئ بعينات السجّاد الممزق، وتمثال على هيئة مبرّد ضخم منبعج يعلوه الصدأ. كان أسد شركة مترو جولدن ماير يئن: الفنّ للفنّ.

* * *

كان أخر المتاحف التي زرتها متحفًا للفن الحديث حيثُ شاهدت فيلمًا لم يزد عن كونه تزجية للوقت. حقًّا، ساعات حائط كثيرة تدق وناس يراقبون ساعاتهم. منحت الفيلم عشر دقائق، وكان بالطابق العلوي كنفا خالي يشق منتصفه، ثمّة كنفا آخر ملوّن بالأزرق الفاتح في نصفه السفلي والأزرق الدّاكن في نصفه العلوي. وكانت مروحيّة حقيقيّة تتدلى من السقف في بئر السلّم، هليكوبتر تجمّدت أثناء الطيران. أمّا في أعلى الدَّرج فكان ثمّة آلتان كاتبتان إيطاليتان؛ نسخة ضخمة ونسخة صغيرة من نفس الطراز، تقبعان وراء زجاج العرض كأنّما كانتا مرصعتين بجواهر ثمينة على خلاف الحقيقة! بل لم يكن عمر الماكينتين يتجاوز الخمسين عامًا. لم يكن بيدي حيلة إلا التفكير في قدرة التريسيتيز على حشد مجموعة من الآلات الكاتبة المستعملة وتحصيل رسوم الفُرجة، ومصنع باكستر للحوم في الوايت بوليفارد الشّاغر الآن صار متاحًا. تُرى مَن منا لديه القدر الكافي من الانشغال بالصالح العام يتولّى تنفيذ تلك الفكرة؟


ROYAL
ROYAL

ممثلة مرموقة

صبيحة يوم اثنين في أوائل شهر نوفمبر عام 1978، استيقظت سو جليب وغادرت الشقّة قبل أن تصحو شريكتاها في السّكن، كعادتها كل يوم من أيام الأسابيع الستة الماضية. كانت ربيكا نائمة فوق سرير من طابقين يعلو فوق الأرض مسافة ثمانية أقدام داخل غرفة المعيشة، أمّا شيلي فمن الجائز أن تكون لا زالت غارقة في سبات عميق وراء الباب الموصد لغرفة النوم الوحيدة بالشقّة.

أخذت سو حمامًا بسرعة وهدوء داخل مغطس يتدلّى فوقه خرطوم مطّاط مُثبّت في صنبور مياه، كان الماء يتدفّق ضعيفًا فاترًا تارة، وساخنًا كسطح كوكب عطارد تارة أخرى. لم تكن قد أحسّت بالنظافة بعد منذ حضرت إلى نيويورك، بل بدأت تشعر بحكّة في

فروة رأسها. ارتدت ثيابها وسط ضباب الحمّام الضيّق، والتقطت حذاءها من تحت أريكة غرفة المعيشة حيث كانت تنام، ووضعت حزام محفظتها الجلديّة الكبيرة فوق كتفها لتدلى فوق جانبها في الجهة الأخرى، ثمّ حملت المظلّة التي اشترتها يوم الجمعة؛ إذْ ذكرت الأنباء أنّ ثمّة عاصفة متوقّعة، وكانت سو جاهزة ودفعت خمسة دولارات لأحد الرجال العديدين الّذين كانوا يجيئون حاملين صناديق ملآنة بالمظلات ما أن تنذر السماء بالمطر. غادرت سو من الباب الأمامي بأسرع ما يُمكن وتأكّدت من إغلاقه بإحكام؛ ذلك أنّها أخفقت في إحكام غلقه مرّة فاضطرت إلى سماع محاضرة غاضبة من شيلي حول المخاطر الناجمة من باب شقّة غير مُغلق في مدينة نيويورك عام 1978؛ لذلك لم يكن إغفال التأكّد من إغلاق الباب أمرًا مقبولًا. كان الحال قد بلغ بشريكتيها في السكن حدّ اعتبارها مسكونة بالأرواح الشريرة، وفتاة يجب التفاوض حولها. ثمّ مرّة أخرى، لم يكن شريكات في سكن واحد، بل جعلت كل من ربيكا وشيلي من نفسيهما صاحبتا المنزل ورحبتا بسو كما يليق الترحيب بطفيل يُصيب الأمعاء. كانت ربيكا ودودة جِدًّا الصيف الماضي حين كانت تعمل مصممة أزياء في أوبرا أريزونا سيفيك لايت، في حين كانت سو؛ الممثلة المحليّة، تلعب ثلاثة أدوار بارزة. كانتا آنذاك صديقتين مقربتين، فكانت ربيكا في أيام العمل الخفيف تستحم في مسبح عائلة جليب وتسهر مع الرفاق في فناء آل جليب. لذلك عرضت على سو أريكتها "لبعض الوقت" في حال؛ إن فكرت يومًا، جاءت إلى مدينة نيويورك. لكن عندما حضرت سو تحمل ثلاث حقائب وثمانمائة دولار مدخرات وحلم، أبدت شيلي؛ شريكة ربيكا الفعليّة بالسّكن، موافقتها على الاتفاق بكلمات: "بلى، لا

بأس." لكن ذلك كان قبل سبعة أسابيع، حين كانت سو لا تزال تُمضي كل ليلة فوق الأريكة داخل غرفة المعيشة الضيّقة، قبل أن تتحوّل المشاعر داخل الشقّة المكوّنة من غرفة نوم واحدة تُطلّ على الشطر الشمالي من برودواي من القبول الحميد إلى البرود الجليدي؛ ذلك أنّ ربيكا أرادت التخلّص من سو، وأرادت شيلي أن تراها ميتة. كانت سو تأمل في استمالتهما من خلال قضاء المزيد من الوقت في الثرثرة والاسترخاء فضلًا عن خمسين دولارًا مساهمة في إيجار الشقّة، إلى جانب شراء الحليب وعصير برتقال تروبيكانا، بل وشيئًا اسمه كعكة الشوكولاتة أكلتها شيلي في مرّة من المرّات. لكن مثل تلك الإشارات لم تلق التقدير المتوقّع.

تُرى ماذا تعمل سو؟ وإلى أين تمضي؟ كانت تبحث عن شقّتها الخاصّة في مدينة نيويورك كل يوم، لكن الوكالتين اللتين كان اسمهما أبارتمنت فايندرز وويستسايد سبيسيز، كانت لديهما "أماكن شاغرة" داخل عمارات معتمة لطّخها البول حيثُ لا أحد يردّ على الجرس، أو أماكن لم تعد متوفّرة، أو لم يكن لها وجود بالأساس. نصحتها شيلي أن تلصق إعلانًا عن حاجتها إلى شريكة في السّكن فوق لوح إعلانات نقابة الممثلين، لكن سو اعترفت بعدم انضمامها إلى النقابة حتّى هذه اللحظة؛ إذْ لا يُمكنها ذلك قبل الحصول على عمل ثابت بالتمثيل. آنئذ ضيّقت شيلي عينيها تعبيرًا عن خيبة أمل فائقة وقالت: "بلى، لا بأس." ثم أردفت: "حين تذهبين إلى محلّ شوبرايت في المرّة القادمة، اشتر لنا علبة قهوة شوكفول أوناتس كبيرة، رجاءً." هكذا كانت صُرّة مواهب أريزونا التي لعبت دور ماريا في مسرحيّة قصّة الحي الغربي (خلال الموسم الأخير بأوبرا أريزونا سيفيك لايت.) خلال هذه الأسبوع

الثامن، تميل للبكاء في هدوء كل ليلة داخل لفّة الفراش فوق الأريكة، تُغطيها الظلال ماسية الشّكل التي صنعتها قضبان النافذة (هل تمنع هذه القضبان السّرقة حقًّا؟). كثيرًا ما كانت تقاوم الدموع في مترو الأنفاق الّذي كان يُكلّفها نصف دولار في كل مرّة، لأنّها كانت تخشى أن يرى عابر شابة جميلة مكسورة فيسرقها أو يرتكب ما هو أسوأ. كان الانتقال إلى نيويورك بالنسبة لسو دليلًا على الإيمان؛ الإيمان بنفسها وبموهبتها وبوعد المدينة التي لم تنم قط. تصوّرت أنّها ستغدو مغامرة كما بأفلام السينما؛ حيثُ تغادر من باب مسرح ما بعد انتهاء مسرحيّة وتقبّل بحارًا وسيمًا يقضي أجازته على البرّ، أو كما في برنامج تلفزيوني مثل «ذات جيرل» حيثُ تمتلك شقة بمطبخ واسع له مصاريع خشبيّة وصديق يعمل بمجلّة نيوزفيو. لكن نيويورك لم تعاونها. تُرى كيف يُمكن أن تسوء أحوال سو جليب التي كانت التعريف الدقيق لعبارة تهديد ثلاثي؛ فهي تُغنّي وترقص وتمثّل! وهي التي انتبه والداها لموهبتها الخام ولم تزل بعد فتاة صغيرة! وهي التي اضطلعت ببطولة سائر مسرحيات المدرسة الثانويّة! وهي التي وقع عليها الاختيار من بين جوقة أوبرا سيفيك لايت لتغدو الممثلة الرئيسة خلال ثلاثة مواسم! وهي التي مثّلت مسرحيّة هاي بوتون شوز مع المنتج مونتي هول صاحب البرنامج التلفزيوني هيّا نعقد اتفاقًا! وهي التي حظيت بحفل وداع زينته يافطة ضخمة كُتب عليها إلى برودواي!

لماذا إذن جعلتها نيويورك؛ نيويورك، تبكي؟ كانت سو أثناء ليلتها الأولى في المدينة؛ حين اصطحبتها ربيكا على متن حافلة لمشاهدة مركز لينكولن، قد حدّقت في وجوه سكّان المدينة بالشطر الشمالي من برودواي وسألت نفسها: "إلى أين يمضي الجميع؟" وصارت تعرف الآن

أنّ الجميع يهيمون في كل مكان. هذا الصباح كانت ستتجه إلى البنك: فرع مانيفاكتشررز هانوفر حيث فتحت حسابًا منذ خمسة أسابيع، وهناك أعطتها موظفة لا مبالية من وراء جدار مصنوع من البليكسي جلاس المُضاد للرصاص ورقة بعشرة دولارات وورقة بخمسة وخمسة أوراق بدولار من خلال شقّ، وذكّرت سو أنّ مدخراتها قد انخفضت الآن إلى 564 دولارًا بالضبط. أنفقت ما يزيد على المائتي دولار في نيويورك ولا شيء معها سوى مظلّة بخمسة دولارات زرقاء اللون ولها مقبض قابل للتقصير. غادرت البنك إلى محل كعك لتناول كعكة سادة: الأرخص، وقهوة مُحلاة بالسكر والحليب. كان هذا هو فطورها الّذي تناولته وقوفًا أمام طاولة دبقة من آثار فتات السكّر المنثور وبقع القهوة. مشيت إلى مكتب أبارتمنت فايندرز في شارع كولمبوس، الكائن أعلى درج واسع فوق مطعم هونان الصيني. لم تتبدّل الأماكن الشاغرة منذ يوم السبت الماضي، لكن سو بحثت في لوح الإعلان على أي حال عن خاتم من الماس المصقول، أو عن جوهرة منسيّة، أو عن مكان يحمل اسمها. كان مكتب السمسار يُكلّفها خمسين دولارًا كل أسبوع: مبلغ كان في مستطاعها استعماله في إضاءة الشموع. سترجع لاحقًا أثناء النهار حين يضعون إعلانات أخرى حسبما يُفترض، لكنّها كانت تعرف أنّ آمالها ستخيب مرّة أخرى لا محالة.

قررت التأقلم مع المدينة الآثمة: لأنّها دارت على عقبيها وعادت في اتجاه برودواي تحمل في رأسها جدول أعمال لساعات النهار. لن تهدر الوقت على التسكّع في السنترال بارك بعشبه المهزول ودككه المكسورة وأفنيته القذرة وممراته التي تناثرت فيها أكواب القهوة المهملة والواقيات الذكريّة المستعملة وسائر المخلفات الأخرى. لن تتفرّج على

متاجر التسجيلات والكُتب دون أن تشتري شيئًا، ولن تنفق النقود على نشرات شوبيز وباكستيتج أو ديلي فاريتي بحثًا عن إشعارات بشأن عقد مقابلات أو اختبارات لاختيار ممثلين غير نقابيين. ليس اليوم؛ ذلك أنّها ستقصد اليوم المكتبة العامّة؛ ذلك المبنى الشهير في الشارع الثاني والأربعين والجادّة الخامسة؛ المبنى البارز الّذي تزينه أسود حجرية في الواجهة.

بدأ المطر يسقط على مسافة مربعين سكنيين من محطة مترو أنفاق الشارع السادس والثمانين، فتوقّفت وأخرجت المظلّة وكبست الزرّ الموجود بالمقبض، لكن المظلّة لم تنبسط. شدّت النسيج كي تفتح المظلّة بالقوّة، لكنّها تسببت في انثناء بعض العيدان المعدنيّة، فحاولت دفع المقبض البلاستيكي فوق القائم، لكنّ المظلّة انثنت كساق طاولة للعب الورق. هزّت المظلّة وحاولت الضغط على المقبض البلاستيكي فانبسط نصفها فحسب. كانت غزارة المطر تزداد، فعادت تدوس فوق المقبض وتحاول فتح المظلّة، لكنّها انقلبت مجرفة وانفصل مزيد من العيدان المعدنيّة كأنّها ضلوع مبتورة.

يئست، وحاولت حشر الهيكل التالف داخل سلة مهملات طافحة في شارع ثمانية وثمانين برودواي، لكن المظلّة بدت كأنّها تقاوم وترفض الدخول إلى جوار نفايات أخرى، لذلك اضطرت سو للمحاولة أربع مرّات قبل أن تتخلّص منها، ثمّ هرعت إلى محطّة مترو الأنفاق، وكان المطر يتساقط من شعرها أثناء وقوفها في طابور أمام كشك لشراء عملتي توكِن ستحتاجهما في تنقلات اليوم.

تأخرت القطارات المحليّة، واحتشد عدد هائل من الركّاب على الخطوط المتجهة إلى أطراف المدينة. كان العدد يتزايد فوق الرصيف

حتّى أوشكت سو على لمس خطّ الأمان الأصفر، دفعة واحدة وتهوي فوق القضبان. بعد أربعين دقيقة، كانت تقف داخل عربة قطار شديدة الازدحام حيثُ تكدّس الركاب فوق بعضهم البعض، وتصاعدت الأبخرة من معاطفهم الثقيلة المبللة بالمطر بفعل حرارة الأجساد. ضاقت العربة بالأجساد وارتفعت حرارتها فبدأ العرق ينزل من سو، وفي محطّة كولمبوس سيركل توقّفت ولم تتحرك عشر دقائق؛ إذْ انحشرت الأبواب ولم تفتح لمنع الهرب. في النهاية بلغت ميدان التايمز، فدفعت سو بنفسها خارج العربة إلى تيار البشر المتجهين إلى الدَّرَج. تابعت المشي عبر الأبواب الدوّارة، ثمّ صعدت درَجًا آخر ومنه إلى فوضى مفترقات طرق الدّنيا، حيثُ الجميع سائرون في كافّة الاتجاهات.

كان ميدان التايمز نسخة من المحطّة في الأسفل؛ متسخًا يفيض بالعرق والبشر. وكانت سو قد تعلّمت درسًا مبدئيًّا منذ لحظة وصولها إلى المدينة، وهو ألا تتوقّف، وأن تمشي في اتجاه ما حتّى وإن لم يكن لها اتجاه مُعيّن، خصوصًا في شارع اثنين وأربعين، وأن تتفادى الأنقاض البشريّة المكوّمة هناك لأجل المخدرات أو الدعارة، وفي المطر، بيع مظلات بخمسة دولارات.

كانت قد تجوّلت في المنطقة من قبل طمعًا في مواعيد مع الوكلاء الأدنى موهبة؛ أولئك الّذين يمتلكون مكاتبًا قريبة من تقاطع برودواي الرئيس مع الجادّة السّابعة. هناك أدهش سو أن تجد موظفين عاديين أمام مكاتب عاديّة يؤدّون مهام عاديّة على مسافة بضعة طوابق من هسهسات ميدان التايمز. لم يحالفها الحظّ مع أي وكيل؛ ولم تكن قد تجاوزت المكاتب الخارجيّة، فكانت مواعيدها تنحصر في

ترك سيرتها الذّاتية مع سكرتيرات يرددن: "بلى، لا بأس." بنبرة مشابهة على نحو ملحوظ لنبرة شريكتها المؤقّتة في السّكن: شيلي.
كانت سو خلال شهرها الأخير في سكوتسديل قد مثّلت إعلانين تلفزيونين لشركة فالي هوم فورنيتشرز، حيثُ تفتح ذراعيها وتهتف: "كل الغرف؛ كل التصميمات؛ ولكل الميزانيات!" ثمّ؛ طوال عطلات أربعة أسابيع متتالية، مثّلت بمهرجان الرينسانس لفصل الخريف دور عاهرة شبقة تستشهد بأبيات من شكسبير، مُقابل ثلاثين دولارًا في اليوم الواحد. أضافت هذا الرصيد من الأعمال إلى سيرتها الذّاتية بقلم حبر، لكنها كانت تعلم أنّها تبدو كسير الهواة؛ لهذا قررت إعادة كتابة السيرة بأكملها وشراء طابعة أوفسيت لعمل مئات النسخ، ثمّ تثبيت كل نسخة أسفل صورة فوتوغرافيّة لها، الصورة التي كانت تجعلها تُشبه شيريل لاد في مسلسل ملائكة تشارلي، لكن بقميص مفتوح حقيقي.
لكن المشكلة كانت في عدم امتلاكها آلة كاتبة، ولا ربيكا. وعندما سألت شيلي إن كان لديها ماكينة يُمكنها استعمالها، لم ترفض ولكن قالت: "يؤجرونها في المكتبة." لذلك كانت سو جليب بلا مظلّة، تمشي شرق الشارع الثاني والأربعين، وتعبر مُراهقًا جامد الملامح أبرز ذكره خارج البنطلون وراح يتبوّل أثناء تسكّعه في الطريق، دون أن يُعلق عابر واحد على المشهد.
في تلك اللحظة التي اكتشفت فيها سو أنّ المكتبة الرئيسة تغلق أيام الاثنين، لمع برق خاطف في سماء وسط منهاتن الرصاصيّة. وقفت إلى جوار مدخل المبني الشهير مُغلق الباب، عاجزة عن استيعاب معنى تلك الكلمات الثلاث البسيطة: مُغلقة أيام الاثنين. طغى صوت

الرّعد على زمامير السيارات، وانفلتت الدموع من عينيها؛ ذلك أنّ ما لقيته من إحباطات كان يفوق طاقتها: فشريكتاها في السّكن لم يكن صاحبات رحيمات؛ والسنترال بارك كان مكانًا تملؤه الأشجار العارية والمقاعد غير الصالحة والواقيات الذكرية المستعملة؛ والنوافذ لها قضبان تحجز المغتصبين في الخارج وتسجن الضحايا في الداخل؛ ولا بحارة وسيمين ينتظرون لقاء فتاة لتقبيلها. لا. ففي مدينة نيويورك يستولي سماسرة العقارات على نقودك ويعطونك بدلًا منها أكاذيب؛ ويتلقى مدمنو المخدرات جرعاتهم على مرأى من الجميع؛ وتُغلق المكتبة العامة أيام الاثنين.

كانت سو تبكي، هناك في الشارع الثاني والأربعين بين الجادّة الخامسة والسادسة أو؛ طبقًا للخارطة، شارع الأمريكتين. تنتحب وتلهث وتذرف الدموع على مرأى من الجميع الّذين تجاهلوا الفتاة التي تمر بيوم شديد القسوة وتبكي بصوت عال في العلن، كدأبهم حين شهدوا قضيب الشاب المراهق. حتّى...

هتف رجل: "سو جليب! يا طائر القرقف الصغير!"

كان بوب روي هو الرّجل الوحيد في الدنيا الّذي يناديها بطائر القرقف. كان روب روي يعمل مديرًا تجاريًّا في أوبرا أريزونا سيفيك لايت، لكنّه يعيش في نيويورك. كان مسرحيًّا مُحترفًا تعاقد لهذا الموسم ومثليًّا، مثّل مرّة فوق مسارح برودواي وفي إعلانات تجارية خلال الستينيات قبل أن يتجه إلى الإدارة المسرحيّة كعمل ثابت. كانت إدارة أوبرا السيفيك لايت بعيدًا عن الغرب تُشبه معسكرًا صيفيًّا بالنسبة له؛ وكان هذا دأبه كل عام، حيثُ يمارس مهامه باجتهاد يقل عن اجتهاده في الضحك والثرثرة. كان بوب يبدو كالعارف بأسرار المسرح، وما من

خيار ثالث في حال عملت إلى جواره أو وقّع لك شيكات راتبك: فإمّا ترى منه الحُبّ أو الاشمئزاز. هكذا تعوّل طريقة تعامله معك على حكمه المتقلّب عليك.

وقد أحبّ سو جليب منذ اللحظة التي رآها فيها تلبس أحد فساتين بروفات مسرحيّة بريجادون في صيف عام 1976. أبهجه شبابها والهالة التي تحيط بشعرها الأشقر وعينيها الصافيتين العامرتين بدماثة الخلق وأخلاقياتها المنصفة في العمل. عشق التزامها بالمواعيد، وحفظها لكلمات الدور، وتفكيرها المستمر في عملها فوق خشبة المسرح. وفتنة جسدها الأسمر بفعل الشّمس وثدييها القويين فضلًا عن تواضعها الجمّ وخلوها من الضغينة. كل رجال الأوبرا السبعة كان يشتهون النوم معها، لكنها كانت ترفض. وفي الوقت الّذي كانت تشغف فيه أغلب الممثلات بهذا الافتتان وتطلب غرفة تبديل الثياب الأوسع، كانت سو جليب لا تشتهي إلا الوقوف فوق خشبة المسرح، وبعد ثلاثة مواسم لم تتبدّل سو مثقال ذرة، فنمى حبّها في قلب روب روي أكثر وأكثر.

كان يستقل سيارة أجرة تقف عند الرصيف، وقد فتح زجاج النافذة والمطر يهطل بينهما. قال بلهجة آمرة: "ادخلي هذه السيارة الآن فورًا!" أفسح لها متسعًا وانطلقت السيارة. "كنت أراهن أنّي سأرى إيفا جابور في شارع اثنين وأربعين قبل أن أراك. هل تبكين؟"

"لا. بلى. آه يا بوبي!"

وشرحت سو الموقف: تعيش في المدينة منذ شهرين، وتنام فوق أريكة ربيكا، ومدخراتها تنفد. يرفض الوكلاء مقابلتها، ورأت شابًا يتبوّل في الشارع. وهي تبكي الآن تحديدًا لأنّ أفلام السينما الوحيدة التي

كشفت حقيقة مدينة نيويورك هي الأفلام التي كانت تدور حول حدائق تعاطي المخدرات وسائقي التاكسي في فورات القتل. ضحك بوب روي عاليًا هتف: "أنت في نيويورك منذ شهرين ولم تتصلي بي؟ أنت شريرة يا سو. شريرة، شريرة."

"لا أعرف رقم هاتفك."

"وماذا كنت تفعلين في الميدان الموحل؟"

"أزور المكتبة."

"كي تراجعي آخر مغامرات نانسي درو؟ أخمّن أنّك قرأتِ كل مغامراتها الآن."

"بل لأنّ لديهم آلة كاتبة، وأحتاج لكتابة سيرة ذاتية جديدة."

"يا طائر القرقف! لنبدأ بتحسين مزاجك أولًا، ما رأيك في قدح شاي أو قهوة ساخنة؟ أو أيّما شيء ينبت في المقاطعات الهنديّة يهدئ من روع حبيبتي سو."

حملتهما السيارة الأجرة إلى شقّة بوب على أطراف المدينة؛ إلى حي قذر تتألف كل عماراته من ستة طوابق وتصطف فوق أرصفته صناديق النفايات المقلوبة. ناول السائق ستة دولارات ولم يطلب الباقي. تبعته أسفل المطر وتسلقا المدخل وعبرا الباب الرئيس الثقيل، ثمّ صعدا أربعة طوابق على درج ضيق متعرّج إلى الشقة رقم 4. وهناك استعمل ثلاثة مفاتيح لثلاثة أقفال مختلفة فوق الباب.

كانت جدران المدخل المتسخ ضعيف الإضاءة رماديّة اللون أكثر منها خضراء؛ لونها الأصلي، والأرضيّة عبارة عن متاهة من البلاط المتنافر المكسور. تقدّمت سو داخل ملاذ فاحت منه رائحة الشموع وسائل غسيل أطباق معطّر برائحة الليمون؛ غرفة عجائب يقبع

فيها حوض الاستحمام في منتصف المطبخ الصغير بالضبط. كانت شقّة بوب روي المستطيلة تتألف من أربع غرف متلاصقة ضيقة تزدحم بالقطع المعدنيّة والتحف الصغيرة وقطع الزينة وأثاث على كافّة الأشكال، وأرفف وكتب وصور داخل أطر وتذكارات اشتراها من سوق السلع المستعملة، وتسجيلات قديمة ومصابيح صغيرة وتقاويم زمنيّة ترجع لعقود سابقة. قال: "أعلم أنّ الشقة تبدو كأنّي أبيع هُنا جرعات سحريّة، كأنّي بائع متجوّل في فيلم رسوم متحرّكة من إنتاج ديزني." وأشعل المدفأة بعود ثقاب ضخم، ثمّ ملأ غلاية لامعة على الطراز الإنجليزي القديم بماء من الصنبور. وضع كوبين فوق صينية وقال: "سيكون الشاي جاهزًا في غضون دقائق يا طائر القرقف. خذي راحتك."

كانت الغرفة الملاصقة للمطبخ عبارة عن رواق حقيقي ضيق يمتلئ بالكنوز والمهملات. وكانت غرفة المعيشة تضم ثلاثة مقاعد ضخمة تنتمي لعصور مختلفة؛ واحد منها من شركة ليزي بوي، وجميعها مغطاة بقماش ملوّن. كادت المساحة المربعة تضيق بطاولة القهوة المستديرة المغطاة بأكوام كتب وصندوق سيجار يمتلئ بأقلام الرصاص المبريّة ومزهريّة بها زهرة أوركيد صناعيّة، وخنافس مجمّعة من ألعاب كوتي تقف منتصبة كأنّها تتقاتل أو تتزاوج. كانت الأمطار لا تزال تهطل بغزارة في الخارج، لكن ستائر النافذة التي ربما اشتراها من قصر ينتمي لعصر ما قبل الحرب الأهلية حجب زئير العاصفة. أمّا الغرفة الأخيرة في الشقة المستطيلة فكانت غرفة نوم بوب التي يحتل معظمها فراش له أربعة عمدان.

قال بوب من المطبخ، على مسافة ثمانية أقدام فحسب: "لن أتمكّن

من الانتقال من هذا المكان أبدًا؛ إذْ سأستغرق عُمرًا في حزم الحقائب."
وأردف: "هلا أدرت الراديو من فضلك؟"
"هذا في حال عثرت عليه." أجابت سو وسمعته يضحك. اضطرت للتفتيش بدقّة بين ركام يعوزه الترتيب؛ كأنّها تعيش داخل عرض «ضائع ونسيه الزّمن»، إلى أن رأت المذياع. كان صندوقًا خشبيًّا أصفر يُشبه صندوق ثلج، له مقبضان دائريان يُشبهان شريحتا بوكر سميكتان وتعلوه أربعة أسطر تحمل ترددات مختلفة. حرّكت مؤشّر الصوت إلى أن صار عاليًا جِدًّا كي يسمعه بوب في المطبخ.
"لابد أن تسخن صمامات الراديو."
"هل يستقبل الموجات القصيرة من الاتحاد السوفييتي؟"
"وكيف عرفتِ؟"
"كان لجدتي راديو مماثل."
"كذلك جهازي! في الحقيقة هذا سبب شرائي له."
جاء بوب يحمل صينية فوقها كوبين وإبريق حليب وسكريّة مُزينة بنحلة مرسومة فوق الغطاء، فضلًا عن طبق يمتلئ بكعكات أوريو.
"تخففي من المعطف إن شئت؛ إلا في حال أحببت أن تظلّي مبللة."
تزامن بثّ المذياع موسيقى أوركستراليّة مع بثّ غلاية الشاي صفيرها الهارموني. ساعد الشّاي المُحلى بالحليب وثلاث كعكات وشقّة بوب روي الدافئة والمريحة، سو على التنفس بعمق لأول مرّة منذ شهور؛ فأرسلت تنهيدة طويلة كموجة تبلغ ذروتها ومالت إلى الوراء فوق مقعد وثير استبدل الراحة بالخجل.
قال بوب: "حسنًا. احكِ لي القصة كاملة."
شجّعتها نظرات بوب العطوفة فانطلقت تروي القصة كاملة. كان

يُساندها عند كل حكاية وكل طرفة؛ هكذا كانت نيويورك هي المكان الوحيد المناسب لسو كي تتحقق! وغدا سلوك شيلي "بلى، لا بأس." متوقّعًا من فاسقة مثلها! وأصبح مترو الأنفاق مكانًا مُحتملًا ما لم تتبادل النظر مع العابرين. قد تعثر على شقّة في إعلان مبوّب منشور في باب للإيجار بصحيفة التايمز أو الفيليدج فويس، لكن عليك قراءتها مبكّرًا؛ في السابعة صباحًا مثلًا، ثمّ تنطلق إلى الشقق سريعًا وفي حوزتك كيس من الكعك المُحلّى لأنّ الموظّف يفتح الباب دائمًا لأي امرأة جميلة تحمل كعكًا محلّى. من تلك النقطة، عادا بالزمن إلى الوراء واستغرقا في ذكرياتهما عن مواسم الصيف في أريزونا، وقارنا بين ما كان يُقال وراء الكواليس وبين ما كان يُقال في العلن، تكلّما عن قصص الحب التي منيت بنهايات فظيعة، وتصديق سو لفكرة أنّ مونتي هول كان مهنيًّا لا يتزعزع. صبّ بوب شايه وضحك.

"هل تناولت الغداء؟"

"لا. كنت سأتناول شريحة بيتزا." كانت البيتزا بنصف دولار للقطعة الواحدة، فأصبحت وجبة سو الاحتياطيّة في منتصف النهار.

"سأخرج لشراء وجبة ساخنة، وأنت تخففي من ثيابك وخذي حمامًا ساخنًا. سأترك لك ثوبًا سرقته من منتجع صحي في الصحراء، بعدها نأكل مثل يهوديين من الطبقة الوسطى."

رفع لوحًا خشبيًّا ضخمًا كان يُغطّي المغطس الوجود داخل المطبخ، وكان سبب وجوده داخل المطبخ يرجع لشيء يتعلّق بالسباكة الأصلية في العمارة القديمة. فتح الماء فتصاعدت أعمدة البخار السّاخن لتغطّي قضبان النافذة، ووضع الثوب فوق المقعد. إلى جواره سلّة رقيقة من سعف النخيل تضم صابونة معطّرة وشامبو وبلسم

وإسفنجة عضويّة وإبريقًا كي تملأه بالماء وتشطف نفسها به.

"سأغيب، خذي راحتك." وأوصد بوب خلفه قفلين من أقفال الباب الأمامي.

وجدت سو لذّة هائلة في ملمس الماء الساخن فوق بشرتها وفي صبّ الماء فوق رأسها، بعد نوبات الاستحمام السريع الخاطف في شقّة الأطراف. كان الاستحمام داخل مطبخ شيئًا طريفًا، لكنها كانت بمفردها، والمغطس يُشبه حوض الاستحمام السّاخن في فناء عائلة جليب، لذلك فركت سو جسدها وغمرت نفسها بالماء وغطست كي تشعر أنّها نظيفة بحقّ. كانت لا تزال داخل المغطس حين انفتحت أقفال الباب الأمامي وعاد بوب يحمل كيسًا ضخمًا يحتوي على وجبة ساخنة.

"أرى أنّك لا تزالين عارية." لم يرفع بوب عينيه عنها، ولم تكترث سو؛ ذلك أنّه ما دامت "الكواليس ليست المكان المناسب لإبداء الحياء" كما يُقال في المسرح، كذلك كان مطبخ بوب روي المكان غير المناسب لاحمرار الوجه خجلًا.

كانت أطراف سو الشاحبة تسبح الآن داخل الثوب المصنوع من القماش بمقاس رجالي، وقد جلست أمام طاولة القهوة تمشّط شعرها المبلل. وضع بوب أمامها بضع شطائر وعلبتي حساء وسلطة كرنب أبيض وقطع مخلل وعلُبتي صودا. تكلّما أثناء تناولهما الغداء عن أفلام السينما وعن المسرحيات. وقال بوب إنّه سيُحضر لها تذاكر مجّانية لحضور عروض رديئة في برودواي وتذاكر مقاعد رخيصة بالعروض الكُبرى؛ وبالتالي لن تمر ليلة في نيويورك تعود فيها وحيدة فوق أريكة ربيكا. بل سيتصل بأصدقائه للحصول على نصائح بشأن

وكلاء يُمكنهم ترتيب لقاء أو اثنين، دون أي وعود أخرى. كان يعرف بعض عازفي بروفات البيانو مِمَن يستطيعون مساعدتها أثناء تجارب الأداء بعزف مقطوعات موسيقية تلائم الدور. هتف بوب وهو ينفض فتات الشوفان من أصابعه: "حسنًا يا طائر القرقف. أريني سيرتك الذّاتية."

أخرجت النسخة القديمة من محفظتها وأمسك بوب قلم رصاص، وبعد أن ألقى نظرة خاطفة، رسم حرف x كبير فوق الصفحة وتنهّد قائلًا: "عاديّة. عاديّة جِدًّا."

ساءها تعليق بوب فسألته: "وما الخطأ فيها؟" كانت قد اجتهدت في تحضيرها حتّى أصبح عملها على خشبة المسرح مكتوبًا فوق تلك القطعة من الورق. سائر المسرحيات التي مثّلت بها أثناء المدرسة الثانوية والتي تضم مسرحيات الفصل الواحد وضعتها بين نجمتين *جائزة جماعة المسرح*؛ كل الأعمال التي شاركت بها بأوبرا أريزونا سيفيك لايت، من أحد أفراد الجوقة إلى دور نيللي فوربش في مسرحية ساوث باسيفيك الّذي لعبته العام الماضي؛ خمسة مواسم ضمّت ثماني عشرة مسرحيّة غنائيّة! المسرحيات التي مثّلتها على خشبة الجازلامب بلايهاوس دينر؛ إيميلي في مسرحيّة أور تاون، وبين أفراد المجموعة في مسرحية زوو ستوري. المقطع الّذي أدته بصوتها من أجل مسيرة التوعيّة بمرض السكّري. كل عمل فنّي قامت به سو جليب أدرجته ضمن هذه السيرة.

"حسبما نُردد نحنُ الملكات المنهكات: «لا أحد يكترث يا عزيزتي.»"

ونهض بوب ثم دخل غرفة نومه. أخرج من أسفل فراشه آلة كاتبة قديمة ملفوفة داخل غطاء بلاستيكي واقي من الغبار. "هذا الوحش

ثقيل جِدًّا. ينبغي أن أتخلّص منها. هلا أفسحت لها متسعًا فوق الطاولة من فضلك؟" فأزاحت سو بقايا الطعام وكومة الكُتب.
كانت آلة بوب الكاتبة تكاد تكون في ضخامة مذياع جدته؛ أنتيكة معدنية سوداء مناسبة لشقّة تزدحم بأشياء قديمة غريبة. كانت الآلة من نوع الرويال المزوّدة بأجزاء زجاجيّة على الجانبين، كأنّهما نافذتي أوبرا لأي طائر قرقف تحلو له الإقامة بين المفاتيح. سألته سو: "هل هذا الشيء لا يزال يعمل؟"
"هذه آلة كاتبة يا طفلتي. شريط وزيت وورق وأصابع سعيدة. هذه كل ما تحتاجه. هذه السيرة على أي حال..." وتناول سجل أعمال سو بين أصابعه بازدراء كأنّه قشرة بطيخ تعفّنت، ثم أمسك قلم رصاص استعمله كمؤشّر. "لن نُدرج إلا الأدوار التي مثلتيها، لا اسم المدرسة الثانوية التي التحقت بها أو حفلات العشاء المسرحيّة. أول أدوارك الهامة هو دورك بأوبرا أريزونا سيفيك لايت، لا يُمكنك الكذب بشأن تلك الأدوار؛ لذلك تضعينها في الصدارة بحروف كبيرة، ثمّ تكتبين أفضل المسرحيات وأفضل الأدوار في المقدمّة، لا حسب ترتيب قيامك بها. أمّا إذا كانت فردًا في الجوقة فأذكري اسم الدور مثل «إلين كرايمور» أو «كاندييفر» في نهاية السيرة، وإن سألك أحد أخبريه أنّها أدوار ضمن الجوقة. أمّا تلك الأدوار الأخرى؟ مسرحيات المدرسة الثانويّة وكل ذلك؟"
"بلى؟"
"تُكتب تحت عنوان «المسرح الإقليمي» بخطّ منمّق. إياكِ أن تصارحيهم بأنّها كانت مسرحيات فصل واحد؛ وإياكِ والقول أنّك فزت بأي جوائز؛ وإياك والقول أنّ عرضها لم يستمر سوى أسبوعين. بل

اكتف بقول أنّك كنت ممثلة في الريجون بايل أوف روكس بأريزونا، ولديك ما يُثبت ذلك."

"أليس هذا كذبًا؟"

"لا يبالون." وأشار بوب بقلمه الرصاص إلى شيء ما في السيرة الذاتية مرّة أخرى وهتف: "آه، انظري! لقد سبق لك التمثيل في الإعلانات! فالي فورنيتشرا مرض الشهرا لا، لا، لا. تكتبين هُنا: «إعلانات عند الطلب». سيرون أنّك مثّلت إعلانات لكن لن يطلبوا إعلانًا واحدًا."

"حقًّا؟"

"ثقي ببوبي روي يا سو. هكذا يفعل كل الممثلين العظام. الآن نقطة أخيرة، هذه الفقرة المكروبة التي تُعدد مهاراتك الخاصّة. أي شخص على الجانب الآخر من طاولة اختيار الممثلين يعتبر هذه الفقرة محض هراء. لاحظي أنّي لم أقل «أريكة»."

"لكن تُرى إذا كانوا يبحثون عن مهارات خاصّة؟"

"سيسألونك. لكن هذه القائمة؟ الجيتار. تتقنين العزف على ثلاثة أوتار؟ تستطيعين التلاعب بثلاث برتقالات بضع ثوان؟ تتزلجين بالعجلات، اذكري لي طفلًا ليس ماهرًا في التزلّج بالعجل؟ تتزلقين على الثلج وتركبين دراجة ولوح تزلّج، يا للصفقة الكُبرى! هل كتبت حقًّا هنا أحد رموز لغة الإشارة؟"

"تعلمت شيئًا منها تحضيرًا ليوم التراث القَبَلي. هذا الرمز يعني «شاق»."

هتف بوب بلغة الإشارة الوحيدة التي يتقنها: "بل يعني «عبث»، عِي أنّ سيرتك لن تحظى إلا بنظرة خاطفة؛ إذْ سينقل القائمون على اختيار الممثلين أبصارهم بين صورتك وبينك ليروا إن كانت مطابقة.

هل أنت امرأة حقًّا؟ هل شعرك أشقر؟ هل تزاولين رياضة من أي نوع؟ وفي حال كنت ما يبحثون عنه يعودون إلى السيرة ويراجعون رصيدك من الأعمال والأكاذيب، بعدها يخربشون العبارة السحريّة: تُستدعى مرّة أخرى."

أدخل بوب ورقة في الآلة القديمة، وضبط الهوامش وعلامات التبويب، وفي غضون دقائق كان قد كتب سيرة نظيفة واضحة نضرة جعلت سو تبدو حالمة متمرّسة كما كانت حين وثبت داخل الباص المتجه إلى المدينة الكُبرى. لابد أن تتباهى بأدوارها الثلاثين، لكن الورقة كان ينقصها ملء خانة واحدة وهي اسمها في أول الصفحة.

قال بوب: "هيّا نفكّر في هذا قليلًا ونحن نشرب مزيدًا من الشاي." حمل صينية الأكل إلى المطبخ وأشعل حطبًا آخر في المدفأة. "أود تقديم المزيد من الكعك، لكن آنئذ لن يتبقّى منه شيء."

"نفكّر في ماذا؟" تأمّلت سو سيرتها المهنيّة الجديدة، وساورها إحساس بأنّها تحبّ نفسها أكثر بسبب ما كتبه بوب.

"هل فكّرت يومًا في تغيير اسمك؟"

"اسمي الحقيقي هو سوزان نورين جليب. لكن النّاس يعرفوني دائمًا باسم سو."

"كان اسم جوان كراوفورد هو لوسي ليسيور قبل أن تغدو جوان كراوفورد. وكان ليروي شرير يُدعى جونيور قبل أن يُصبح روك هدسون. هل سمعت يومًا اسم فراني جام؟"

"من؟"

ردد بوب السطور الأولى من أغنية «فوق قوس قزح.»

"جودي جارلند؟"

"رفيقة فرانسيس تنقصها مهارة صديقة دوروثي[5]، أليس كذلك؟"
"سيُصاب والداي بالإحباط إن لم أظهر باسمي الحقيقي."
"إحباط والديك هو أول ما تفعلينه عند المجيء إلى نيويورك." أصدرت الغلاية صفيرًا، فأعاد بوب ملء إبريق الشاي الموضوع إلى جوار ماكينة الكتابة. "ولنهب أنّك حققت نجاحًا مبهرًا على مسارح برودواي؛ وهو ما ستفعلينه. هل ترغبين حقًّا أن تري ذلك الاسم يتلألأ بين الأضواء: سو جليب؟"
احمرّ وجه سو خجلًا؛ لا بسبب شعورها بالإحراج من مثل هذا المديح، لكن لأنّها كانت تعلم في سريرتها أنّ أمامها مستقبل كممثلة. كانت ترغب في أن تغدو ممثلة شهيرة، بلى، شهيرة مثل فرانسيس جام.
سكب بوبي مزيدًا من الشاي في القدحين، وقال: "وكيف تنطقين ذلك الاسم؟ جلييب؟ جلي-بي؟ أم جلايبي؟" واصطنع تثاؤبًا طويلًا، ثم استطرد: "هل تعرفين ما الاسم الّذي كانت تامي جرايميز تحمله على خشبة المسرح؟ تامي جرايميز." واصطنع تثاؤبًا أطول من سابقه. "ما رأيك... في سوزان نورين؟" تخيّلت سو ذلك الاسم يتلألأ بالأضواء دون وجود ما يمنع.
نقر بوب الورقة المحشورة داخل آلة الرويال بأصبعه وهتف: "هذه شهادة ميلاد لسو الجديدة. إن تمكنت من الرجوع بالزمن واختيار اسم جديد لك ولأبيك أمك، فأي الأسماء تحبّين؟ إليزابيث سانت جون؟ مارلين كونر برادلي؟ هولي ووداندفاين؟"
"وهل يُمكن أن أحمل اسمًا من تلك الأسماء؟"
"سنراجع هذا الأمر مع النقابة، لكن بلى. أي الأسماء تحبّين يا طائر

---

(5) دوروثي بطلة رواية ساحر أوز العجيب التي قدّمت جودي جارلند دورها في النسخة السينمائيّة الأولى من الرواية عام 1939. [المترجم]

القرقف؟"

رفعت سو قدح الشّاي. ثمّة اسم حلمت يومًا أن تحمله في المدرسة الإعداديّة، حين غنّت ضمن فرقة شعبيّة لأجل بلوغها مرحلة الشباب. كل زميلاتها كن يختلقن أسماءً مثيرة مثل رينبو سبيريتتشيزر، واصطنعت هي اسمها الخاص وتخيلته يزين غلاف ألبومها الغنائي الأول.

هتفت بصوتٍ عال دون أن يبدو على وجه بوبي أي ردّ فعل: "جوي ميكبيس."

قال: "ستواجهين متاعب جمّة بسبب إشارة الدخان هذه، ما لم تكن سلالة جليب تحمل دماء الأمريكيين الأصليين في عروقها."

هكذا انقضت ظهيرة اليوم التي تفتّق خلالها ذهن بوبي عن سيل ثابت من الأسماء الفنيّة، أحلاها كان اسم سوزانا وودز، وأسوأها كان كاسندرا أوداي. أحضر بوب ما تبقّى من الكعك والتهماه معًا، في حين تابعت سو العمل على اسم جوي: جوي فريندلي؛ جوي روركي؛ جوي لوفكرافت.

وهتف بوبي: "جوي سبيلدميلك."

دخلت سو المرحاض. كان حمّام بوب يطفح هو الآخر بغنائم المزادات، ووجدت صعوبة في تصوّر الفائدة من وجود طاقم قوارير بولينج خشبيّة داخل مكان كهذا.

حين خرجت كان بوبي يُمسك حزمة بطاقات بريديّة كلاسيكيّة مصوّرة من باريس تحمل أسماء شخصيات فرنسيّة بارزة، مثل جان دارك وإيفيت وبابيت وبرناديت، لكن دون أن يلقى أي منها حماسًا.

رفع بوبي بطاقة عرضها على سو قائلًا: "ممم... طريق سانت أونوريه. ينطقونه «أونو-راي» هذا هو الاسم الرجالي. أمّا النسائي فيحمل

حرف «ياء» إضافيّة في نهايته، لكن يُنطق بالطريقة ذاتها: أونوري. أليس اسمًا جميلًا؟"

"لكنّي لست فرنسيّة."

"سنحاول العثور على لقب أنجلوساكسوني. اسم بسيط من مقطع واحد مثل بيتس أو تشرش أو سمايث أو كوكي."

"لا شيء منها مناسب." قلّبت سو في كومة البطاقات البريديّة القديمة؛ برج إيفل؛ نوتردام؛ شارل ديجول.

"أونوري جودي." ردد بوب الاسم فأحبّ وقعه. "ينتهي بحرفي ياء."

"بل سينادونني باسم أونوري جودي مفرطة البراءة."

"كلا؛ إذْ يزعم الجميع أنّهم يتقنون اللغة الفرنسيّة يا عزيزتي طائر القرقرف الصغير. الحقّ أقول لك أنّ اسم أونوري جودي اسم رائع." ومدّ يده ليحمل هاتف أسود صغير من فوق رفّ كُتب وطلب رقمًا. "لديّ صديق داخل النقابة حيثُ يمتلكون حاسوبًا للتأكّد من عدم تكرار الاسم. جين فوندا، فاي دوناوي، راكيل ولش."

"راكيل جليب؟ سيسعد أبواي بهذا الاسم."

أجاب مارك صديق بوب على الطرف الآخر من الهاتف فقال الأخير: "ماركي العزيز، هذا بوب روي. أعلم! أحقًّا؟ كلا، ليس منذ غادرت البلدة على متن تلك السفينة السياحيّة. هذا مبلغ كبير! هلا أسديتني معروفًا؟ راجع قاعدة البيانات بحثًا عن اسم فنّي. كلا، اسم شاغر. اللقب جودي بحرف ياء في النهاية. أمّا الاسم الأول فهو أونوري." ثمّ تهجّى حروفه. "سواء كان حرف الياء الأخير بالاسم الأول يحمل تشديدًا أو أي شيء آخر. بلا شك، سأظل معك."

لم تكفّ سو عن تقليب الاسم الجديد في رأسها المرّة تلو الأخرى،

فقالت: "لا أدري يا بوبي."

"في مستطاعك أن تتخذي القرار أثناء ذهابك إلى النقابة وبحوزتك عقدك الأول وشيك بالمستحقات الماليّة. آنئذ يُمكنك أن تكوني سو جليب أو كاتومان زيلكوفيتس. لكن لابد أن أصارحك..." انطلق صوت من الهاتف، لكنه لم يكن صديق بوب الّذي قال: "بلى، أنتظر مارك. شكرًا لك. "والتفت إلى سو مستطردًا: "سبق أن حضرت بروفة نهائيّة في بريجادون، وهناك رأيت على خشبة المسرح فتاة تلعب دور امرأة اسمها فيونا، هذه الفتاة ستحظى بمستقبل باهر."

ابتسمت سو وتورّدت خجلًا. كانت هي فيونا تلك، وقد أحبّت هذا الدور. كان دور فيونا هو دورها الأول خارج الجوقة، والدّور الّذي أدّى لسائر الأدوار التي كلفتها بها أوبرا أريزونا سيفيك لايت، والدور الّذي دفع بها إلى نيويورك، وجعلها تغتسل في مغطس مطبخ بوب روي.

قال بوب: "أحببت تلك الفتاة؛ وتلك الممثلة. لم تكن بطلة مسرحيّة تلعن نيويورك لأنّ المدينة لم تلب لها ما تريد، أو ممثلة ناشئة غطّت وجهها المساحيق تمثّل في أوبرا السيفيك لايت لأنّ المسافة والمكياج أخفيا حقيقة أنّها في الثالثة والأربعين من عمرها. فيونا تلك لم تكن موهبة شاخت. كلا، بل موهبة شابّة؛ صبيّة من أريزونا تستطيع السيطرة على خشبة المسرح كأي ممثلة من ممثلات عائلة باريمور، والغناء مثل جولي أندروز، وتحظى بنهدين ترتعش لمرآهما قلوب الرجال. لو كنت قدّمت نفسك لي باعتبارك أونوري جودي لكنت قلت: «أنت من أبحث عنها بالتأكيد!» لكن لا، آنئذ كنت سو جليب. فكّرت، سو جليب؟ هذا الاسم لن يلقى رواجًا."

أحسّت سو جليب بالدفء يسري في أوصالها. كان بوبي روي أكبر

معجبيها وقد أحبّته. لو كان أصغر خمسة عشر عامًا، وأخفّ أربعين رطلًا، وليس مثليًّا، كانت باتت ليلتها في فراشه. وقد تبيت بغض النظر عن أي شيء.

عاد مارك إلى الهاتف، فسأله بوب: "هل أنت واثق؟ بهذا الهجاء الّذي ينتهي بحرف ياء؟ لا بأس، أشكرك يا ماركو. سأفعل. يوم الخميس؟ لم لا! إلى اللقاء!" وضع سمّاعة الهاتف ثمّ نقره بأصابعه وقال: "الآن وقت اتخاذ القرار الحاسم يا طائر القرقف."

مالت سو إلى الوراء في مقعدها الوثير. كانت الأمطار قد توقّفت في الخارج، وجفف نسيج الثوب جسدها الّذي كان مبللًا، وفاحت منها رائحة صابون الحمّام المعطّر. وكان المذياع الضخم يبث توزيعًا موسيقيًّا لأحد ألحان الملاهي الليليّة الشهيرة، ولأول مرّة في حياتها، بدت نيويورك المكان الّذي تنتمي إليه سو جليب...

وبعد عام واحد:
طاقم الممثلين البارزين

أونوريه جودي (في دور الآنسة وينتورث)- تلقّت الآنسة جودي تمرينها في أوبرا أريزونا سيفيك لايت، وترشّحت لإحدى جوائز أوبي العام الماضي عن دورها كيت برونزويك في مسرحيّة جو رونيان باكوتر بلوز. هذا الدور هو دورها الأول في برودواي. وهي تتقدّم بالشكر لأبويها وروبرت روي الصغير لما قدموه من عون أتاح لها ما وصلت إليه.



نهاية أسبوع استثنائيّة

كُنّا أوائل ربيع عام 1970، ولأنّ عيد ميلاد أخر العنقود كيني ستال العاشر سيحلّ بعد أسبوع ونصف؛ لذلك لم يكن مضطرًّا لحضور المدرسة. كانت أمّه ستصحبه عند الظهر كي يقضي معها عطلة نهاية أسبوع خاصّة، لذلك أتى إلى طاولة الفطور بثيابه العادية غير المدرسيّة. وكان شقيقه الأكبر كيرك، وشقيقته الكُبرى كارين يلبسان الزي الدراسي الخاص بمدرسة سانت فيليب نيري، واعتبرا الاتفاق غير عادل؛ إذ أرادا أن تأتي أمّهما لاصطحابهما أيضًا. أن تحملهما بعيدًا عن المنزل الّذي انتقلوا إليه، وأن يعيشوا مرّة أخرى في ساكرامنتو أو أي بقعة أخرى شريطة أن يكونوا الأطفال الوحيدين، وألا تصنع مزاجيّة أبوهم السيئة والطابع العملي المشرق الدائم لزوجته الثانية من حيواتهم أرجوحة عاطفية.

كانت أخوات كيني غير الشقيقات في السابعة عشرة والخامسة عشرة والرابعة عشرة، وأخوه غير الشقيق يكبره بعامين، ولا رأي لأي منهم في مسألة عدالة خطّة الاحتفال بعيد ميلاده. يعيشون معًا في أيرونبند، ويرتادون مدارس عموميّة موحّدة فلم يضطروا لارتداء أزياء مدرسيّة. هكذا لم تسترع نهاية الأسبوع هذه اهتمامهم، ولا بدت لهم جديرة بالملاحظة أو استثنائيّة بأي حال.

كان المنزل الصغير الّذي يسكنونه يُطل على طريق وبستر عند أطراف البلدة، أقرب إلى مولينااس من أيرونبند؛ المركز الإداري للمقاطعة وحيثُ يعمل والد كيني كبير طهاة مطعم بلوجم. كانت أشجار الأوكالبتوس؛ أو أشجار الصمغ الأزرق، تصطف على جانبي طريق وبستر أغلب المسافة بين البلدتين، وتنثر أوراقها وثمارها فوق حارتي الطريق وكتفي العابرين. كان الأجداد قد غرسوا منذ عقودٍ مضت الحمولة الفوضويّة التي جاءت من أستراليا كمصدات للرياح تقي بساتين اللوز، وكذلك في مسعى مُضَلَّل لزراعة أشجار من أجل عوارض الطرق الحديديّة. جرى ذلك في زمن كان من الممكن فيه جني ثروة من عوارض الطرق الحديديّة، بشرط ألا تكون مصنوعة من أشجار الأوكالبتوس. ضاعت ثروات في الأشجار الثلاث المجدولة المقشورة كثيفة الأغصان التي تناثرت في أرجاء فناء منزل كيني الأمامي، وبدد سيل الأنقاض المستمر كل مساعي إنبات العشب بينها. في حين كسا هذا العشب الفناء الخلفي الّذي اصطبغ باللون الأخضر، وتناوب الأطفال على جزّه بين حين وآخر. كانت بساتين اللوز على الجانب الآخر من الطريق؛ إذْ كان اللوز يُمثّل صناعة كُبرى فيما مضى، ولا يزال إلى الآن.

كان والد كيني قد عثر على وظيفة جديدة في أيرونبند، ومنزل جديد، ومدرسة جديدة، وكما تبيّن لاحقًا، عائلة جديدة. فنقل أطفاله الثلاثة إلى المنزل الصغير في نفس الليلة التي غادروا فيها ساكرامنتو، ونام الأولاد داخل ما كان في السابق شرفة ذات جدران زجاجيّة، أمّا البنات فضمتهن غرفة نوم واحدة تحتوي على فراشين كل فراش يتألف من دورين.

قضى كيني الصباح، بعد أن جاءت ورحلت حافلتان مدرسيتان، يتسكّع حول المنزل. كان والده نائمًا، وزوجة أبيه تغسل أطباق الفطور في هدوء. لم يسبق له يومًا أن بقي بمفرده في المنزل دون الأطفال الآخرين، وكانت تسري في أوصاله رعشة إدراك أنّ المنزل له وحده يفعل به ما يشاء. التوجيه الوحيد الّذي تلقّاه هو أن يبقى هادئًا. هكذا شاهد التلفزيون لبعض الوقت بصوت مسموع بالكاد، لكنّها كانت قناة وحيدة هي القناة 12 من شيكو، ولم تعرض شيئًا استرعى انتباهه خلال ساعات المدرسة. لعب بنماذج السفن والطائرات التي بناها من قطع الفكّ والتركيب، واستعمل سطح طاولة القهوة الموجودة في غرفة المعيشة باعتباره البحر الواسع. وعبث بأدراج ثياب شقيقه وأخيه غير الشقيق بحثًا عن خبايا، لكنّهما كانا يخفيان كنوزهما في أماكن أخرى؛ فراح يقذف كرة قدم بقدمه في محاولة للتسديد نحو أقرب أشجار اللوز، مراهنًا على أنّ الكرة في حال أخفق لن تعلق بين أغصانها. ربط قطعة من ملاءة قديمة في عصا مهملة، وصنع راية ظل يلهو بها وقتًا طويلًا كأنّه يقود مهمّة في الحرب الأهليّة. كان يُحاول غرس الراية داخل حفرة حين نادته زوجة أبيه من نافذة المطبخ التي رفعتها.

"كيني! أمّك هُنا!"

ولم يكن قد سمع صوت السيارة.

في المطبخ، أدهشه مشهد لم يره خلال سنوات عمره الأخيرة؛ كان أبوه قد صحا ويجلس أمام الطاولة حاملًا قهوته الصباحيّة. أمّا أمّه؛ أمّه الحقيقيّة، فكانت تجلس أمام نفس الطاولة وتحمل هي الأخرى قدح قهوة. وكانت زوجة أبيه تقف على قدميها وتتكئ على طاولة المطبخ ترتشف قهوتها هي الأخرى. لم يسبق قط أن ضمّ مكان واحد رعاة عالمه الثلاثة في نفس التوقيت.

ابتسمت أمّ كيني وهتفت: "ها هو الدبّ كيني!" بدت مثل سكرتيرة في مسلسل تلفزيوني؛ تلبس ثيابًا رسميّة وحذاءً عالي الكعبين وشعرها الأسود ممشّط وأنيق وتضع أحمر شفاه ترك آثارًا فوق قدح القهوة. نهضت واحتضنته بذراعين معطّرين وباست جبينه قائلةً: "هيّا أحضر حقيبتك، سنغادر."

لم تكن لدى كيني فكرة عن الحقيبة التي تتحدّث عنها أمّه، لكنّ زوجة أبيه كانت قد وضعت بعض الثياب داخل حقيبة ابنتها الصغيرة ورديّة اللون، فصار جاهزًا. نهض أبوه وربت فوق شعر كيني قائلًا: "سآخذ حمامًا. اذهب وألق نظرة على سيارة سباق أمّك."

فسألها كيني: "هل أحضرت لي سيارة سباق؟" وكان يتصوّر أنّ هدية عيد ميلاده ستكون سيارة لعبة مصنوعة من المعدن المصبوب.

لكن لا؛ إذْ كانت تقف في مدخل المنزل سيارة رياضيّة حقيقيّة بمقعدين وعجلات مصنوعة من أسلاك معدنيّة. كان سقفها مكشوفًا فغطتها أوراق الأوكالبتوس. كانت السيارات الرياضيّة الوحيدة التي سبق أن رآها في التلفزيون، يقودها محققون وأطباء شباب.

"هل هذه سيارتك يا ماما؟"

"بل أعارها لي صديق."

تفحّص كيني النافذة المجاورة لمقعد السائق وقال: "هل أستطيع أن أجلس فيها؟"

"هيّا."

اكتشف كيني كيف يفتح الباب وجلس خلف المقود. بدت مؤشرات ومفاتيح السيّارة كأنّها مؤشرات ومفاتيح طائرة نفّاثة، والكسوة الخشبيّة كأنّها أثاث منزلي، وفاحت من المقاعد رائحة قفازات بيسبول جلديّة. كانت الحلقة الحمراء في منتصف عجلة القيادة تحمل شعار شركة فيات. بعد أن وضعت أمّه الحقيبة الورديّة اللون داخل صندوق السيارة، طلبت من كيني أن يُساعدها في إعادة غطاء السيّارة.

"سندع الريح تهبّ عبر شعرنا إلى أن نصل إلى الطريق السّريع، ما رأيك؟" وفكّت أقفال السطح وساعدها كيني في طيه إلى الخلف فانطوت مع السّطح النافذة الخلفيّة المصنوعة من البلاستيك الشفّاف. أشعلت أمّه المُحرِّك الّذي أطلق صوتًا كأنّ تنينًا يجلو حلقه، ثمّ خرجت من مدخل المنزل. كانت قد خلعت حذاءها العالي وراحت تكبس الدّواسات بقدمين حافيتين، ولبست نظّارة من النوع الّذي يلبسه متزلجو الجليد. ابتعدت السيارة والأم والابن عن المنزل وانطلقت في طريق وبستر ولمعت أشعّة الشّمس التي تخللت ظلال أشجار الصمغ في عيني كيني، وتردد صفير الرياح في أذنيه وراحت تتخلل شعره. كانت السيارة هي أروع وأبهى مركبة شهدها كيني يومًا، فأحسّ أنّه في أسعد لحظات حياته منذ كان طفلًا صغيرًا.

اقترب موظف محطّة شِلّ في أيرونبند من السيّارة، وأولاها وأولى المرأة التي تقودها كل اهتمامه. فملأ الخزّان ومسح الزجاج الأمامي وتحقق من الزيت وأبدى إعجابه "بالمحرّك الإيطالي." دعت الأم ابنها لتناول زجاجة كولا خالية من الصودا من ماكينة الشراء، ففضّل بيرة الجذور(اختياره الدائم) من المبرّد. ساعد الرّجل أمّه في إعادة السطح وغلق الأقفال، وكان يبتسم ويثرثر ويتساءل حول الجهة التي تقصدها، هل هي الشمال أم الجنوب، ويسألها لو كانت تنوي العودة إلى أيرونبند قريبًا. عادا إلى السيارة التي حملتهما إلى الطريق السريع (في اتجاه الجنوب)، وعندها قالت الأمّ لابنها أنّ عينيّ موظف شِلّ تُشبهان عينيّ بقرة وضحكت.

وقالت وهي تُشير إلى الراديو الصّغير داخل التابلوه الخشبي: "تحرّى لنا عن بعض الموسيقى يا حبيبي. أدر ذلك القرص، ثمّ ذلك بحثًا عن محطّة مناسبة."

حرّك كيني خطّ المؤشّر الأحمر فوق الأرقام كأنّه عامل لاسلكي بقاذفة قنابل. كانت محطة الإذاعة المحليّة تبثّ إعلانًا عن أحذية ستان ناثان للعائلة؛ وهو أحد متاجر البلدة. تعاقب التشويش مع الأصوات إلى أن حدد كيني موجة محطّة ذات صوت عال وواضح تبثّ أغنية لمطرب عن قطرات المطر فوق رأسه. كانت والدة كيني تعرف الكلمات فرددتها مع المطرب وراحت تفتِّش في حقيبة يدها عن شيء ما وتسوق السيارة في الآن ذاته. عثرت على جِراب جلدي صغير بإبزيم، فكّته لتكشف عن أطراف سجائر. كانت سجائر طويلة، أطول من التي يدّخنها أبوه. وضعت واحدة بين شفتيها فصبغ أحمر شفاهها المُرشِّح الأبيض، وكبست مفتاحًا في التابلوه. أصدر المفتاح فرقعة في غضون ثوان،

فسحبته إلى الخارج. كان ثمّة ملف أحمر متوهّج في نهاية المفتاح، شديد السخونة فاستعملته في إشعال سيجارتها الطويلة. أعادت المفتاح الساخن إلى مكانه داخل الثقب، ثمّ أبدلت كفّيها فوق المقود كي تفتح نافذة مثلثة صغيرة. سرعان ما انفتحت فرجة صغيرة تصدر صفيرًا، واندفع دخّان سيجارتها الطويلة من النافذة كأنّها حيلة ساحر. عندئذ قالت: "أخبرني عن مدرستك يا حبيبي. هل تحبّها؟"

صارحها كيني أنّ مدرسة سانت فيليب نيري لا تُشبه مدرسة سانت جوزيف؛ المدرسة التي كان ملتحقًا بها في السابق حين كان في ساكرامنتو. كانت مدرسة سانت فيليب نيري ضيقة، ولا يرتادها أطفال كثيرون، وبعض الراهبات لا يلبسن ثياب الراهبات. وتناول رشفات قصيرة خفيفة من زجاجة بيرة الجذور، وروى لأمّه عن رحلات الباص إلى المدرسة، وأنّ الزي المدرسي كان ذو نقوش حمراء بدلًا من النقوش الزرقاء، وأنّه جاءت أيام لم يضطروا فيها لارتداء الزي من الأساس، وأنّ طفلًا من فصله اسمه مونسون بنى نماذجًا مثله وأنّه كان يعيش داخل منزل فيه بركة للسباحة، لكنها ليست بركة محفورة في الأرض مثل الموجودة في حديقة المدينة، بل بركة مستديرة فوق الأرض.

بسبب سؤال واحد، انطلق كيني يثرثر طوال الطريق من أيرونبند إلى طريق مدينة بوت. استغرقت أمّه في التدخين، وحين تلاشت المحطّة الإذاعية عثر كيني على محطّة أخرى، ثمّ أخرى، وأذنت له أمّه أنّ يلوِّح لسائقي الشاحنات العابرين الّذين أطلقوا زماميرهم. كان يضمّ قبضته ويلوِّح بها مبتهجًا فكان السائقون، حين ينتبهون إليه، يطلقون الزمامير في أكثر الأحيان. وفي مرّة من المرّات، رأى كيني سائق

شاحنة يرمقهما من خلال المرآة الجانبيّة ويُطلق زمّارته دون أن يُلوِّح له كيني، بل وأرسل قبلة ربّما كان المقصود بها أمّه، لا كيني.
توقّفا لتناول الغداء في ماكسويل أمام حافلة مأكولات اسمها كانتري كافيه؛ وهي حافلة يقصدها المسافرون وصائدو البطّ في موسم الصيد. كانت الفيات هي السيارة الرياضيّة الوحيدة في ساحة الانتظار، وبدا أنّ النادلة أحبّت الثرثرة مع أمّ كيني، فانطلقتا تثرثران كصديقتين قديمتين أو شقيقتين، ولاحظ كيني أنّ النادلة تضع أحمر شفاه ثقيل جِدًّا هي الأخرى. سألته ماذا تحُضر للشاب الناضج، فطلب هامبرجر.
فقالت أمّه: "أوه، لا يا حبيبي. الهامبرجر هو الطعام الشّائع، أمّا حين نكون في مطعم فعلينا أن نطلب الموجود بالقائمة."
"ولم لا يا ماما؟ أي لا يعبأ بالقائمة. ونانسي تأذن لنا." وكانت نانسي هي زوجة أبيه.
فأجابت أمّه: "أرى أن نجعلها قاعدة مميّزة، بيني وبينك فحسب." بدت قاعدة شاذّة فُرضت فجأة؛ إذْ لم يسبق قطّ أن فرض أحد على كيني ما يأكله أو ما لا يأكله. استطردت أمّه: "أظنّ أنّك ستحب شطيرة الدّيك الرّومي الحارّة. سنتقاسمها."
تخيّل كيني أنّ أمه قصدت أنّ الشطيرة ستكون ساخنة، ولم يكن متأكّدًا إن كان سيحبّها فسأل: "هل يُمكن أن أطلب حليبًا مخفوقًا؟"
فابتسمت وقالت: "بلى. فأنا لينة العريكة!"
الحقّ أنّ كيني أحبّ الشطيرة المفتوحة التي كانت تسبح في صلصة اللحم البنيّة وليست ساخنة على الإطلاق، أمّا الخبز الأبيض الّذي امتصّ الصلصة كلّها فكان لذيذًا مثل لحم الدّيك الرّومي، وكانت

الطماطم المهروسة هي طعامه الأثير في كل الأوقات. أخذت أمّه مغرفة جبن قريش على شرائح طماطم، وجزءًا من شطيرة الديك الرّومي. أتى الحليب المخفوق بالفانيلا داخل كأس صلب مُثلّج تم تحضيره فيه، ومعبّأ بضعف كأس زجاجي فاخر. ملأ الكأس الزجاجي لنفسه، وقرع الصلب بالزجاج كي ينزل الحليب بسرعة. كان هذا قدرًا هائلًا من الحليب المخفوق لن يستطيع كيني شربه.

ذهبت أمّه إلى المرحاض، ولاحظ كيني أنّ كل المسافرين الرجال كانوا يلاحقونها بعيونهم، ويديرون رؤوسهم كي يتابعوا حركتها. ونهض واحد منهم كي يسدد حسابه، وتوقّف أمام المائدة الصغيرة التي يجلس كيني أمامها بمفرده.

سأله الرّجل: "هل هذه أمّك يا فتى؟" كان يلبس حلة بنيّة وربطة عنق غير مُحكمة، وكان لنظارته حاجبان متحرّكان للوقاية من الشّمس يرفعهما كأنّهما حافتا قبعتان صغيرتان.

غمغم كيني: "أم-ممم."

فابتسم الرّجل وقال: "لديّ صبي مثلك في المنزل، لكن أمّه ليست كأمّك." وضحك بصوت مدو، ثمّ سدد حسابه.

عادت أمّه من المرحاض وكانت شفتاها مدهونتان بالأحمر حديثًا. أخذت رشفة مما تبقّى من حليب كيني المخفوق، وطبعت آثارًا حمراء فوق الشفّاطة الورقيّة.

كانت ساكرامنتو تبعد أكثر من ساعة على الطريق السّريع. لم يأت كيني إلى بلدته الأمّ منذ حزم أبوه أمتعتهم داخل السيارة ذات الصّالون العائلي يوم انتقلوا إلى أيرونبند. كانت المباني تبدو مُريحة المظهر، لكن

حين غادرت السيّارة الفيات الطريق السريع وجد كيني نفسه في طريق لم يسبق أن مشي فيه قطّ. لكنّ ابتسامة ارتسمت فوق وجهه حين أبصر يافطة فندق ليمنجتون؛ إذْ كان والداه يعملان في هذا الفندق، لكن أمّه وحدها هي التي كانت تعمل فيه الآن. هُنا مكث هو وشقيقه وشقيقته فترة من الزّمن خلال عطلات نهاية الأسبوع حين كان أبوه وأمّه لا يزالان زوجين. كانوا يلعبون داخل قاعة المؤتمرات الواسعة متى كانت شاغرة، ويأكلون أمام شبّاك المقهى حين لا يكون المحل مزدحمًا. كان أبوهم يمنحهم خمس سنتات عن كل صينية بطاطا يلفونها بورق القصدير قبل أن يرصّها داخل الفرن. وكان في مستطاعهم؛ بعد أن يستأذنوا، الحصول على الحليب بالشوكولاتة من ماكينة البيع الآليّة، ما داموا يستخدمون كؤوسًا صغيرة. كان هذا منذ زمن بعيد التهم جزءًا لا بأس به من عمر كيني.

أوقفت أمّه السيارة الفيات خلف الفندق، ودخلا من باب المطبخ، تمامًا كالذكرى المطبوعة في رأس كيني عن سيارة أبيه ذات الصالون العائلي وسيارة أمّه الكورولا. رحب الموظفون جميعًا بأمّه التي ردّت التحيّة لكل شخص باسمه. أبدت سيدة وأحد الطهاة عدم تصديق أنّ كيني كبر إلى هذا الحدّ منذ رأوه أخر مرّة، لكن كيني لم يتذكّرهما، رغم اعتقاده أنّه سبق ورأى نظارة السيدة التي تُشبه عينيّ قطة، ذات العدسات السميكة. وبدا المطبخ أكثر ضيقًا من الصورة المطبوعة في رأس كيني.

كانت أمّ كيني تعمل نادلة في مقهى فندق ليمنجتون حين كان صغيرًا، وكان أبوه يعمل طاهيًا. آنئذٍ كانت تلبس زي الفندق، لكنّها تلبس الآن ثيابًا رسميّة وتحتل مكتبًا قبالة رواق الفندق. كان المكتب يزدحم

بالأوراق وشغلت أحد جدرانه لوحة إعلانات اصطفّت فوقها بطاقات فهرسة كثيرة مُرتّبة في أعمدة، وكُتب عليها بألوان مُختلفة.

"أيُّها الدّب كيني، لدي بعض الأمور عليّ عملها، بعدها سأكشف لك عن مفاجأة عيد ميلادك، اتفقنا؟" وكانت تضع بعض الأوراق داخل حافظة أوراق جلديّة، وأردفت: "هل يُمكنك أن تجلس هُنا قليلًا؟"

"هل أستطيع التظاهر أنّ هذا هو مكتبي وأنّي أعمل هُنا؟"

ابتسمت وقالت: "بالتأكيد. ها هُنا بعض دفاتر الملاحظات، وانظر، هذه مبراة أقلام رصاص كهربائيّة." وبيّنت له كيف يدفع قلمًا رصاص داخل فتحة الماكينة وتشغيلها كي يحصل على قلم مسنون كأنّه إبرة حياكة. "لا تُجب على الهاتف إن يرن."

آنئذ دخلت المكتب امرأة تُدعى الآنسة أبوت، وسألتها: "هذا إذن هو رجلك الصّغير؟" كانت أكبر من أمّه وتلبس نظارة مربوطة في سلسلة تُحيط عنقها. كانت الآنسة أبوت مُكلّفة برعاية كيني وإبلاغ أمّه في حال احتاج إليها.

"سيقوم كيني ببعض المهام لأجلنا اليوم."

فهتفت الآنسة أبوت: "رائع! سأعطيك طوابعًا وختّامة لجعل كل الأوراق رسميّة. هل يروقك ذلك؟"

حملت أمّه حافظة الأوراق الجلديّة وغادرت، وجلس كيني فوق مقعدها خلف المكتب، وأحضرت له الآنسة أبوت بعض الطوابع التي تحمل تاريخًا فوقها وفاتورة وإيصالًا وعلبة معدنيّة مستطيلة فيها حشوة مشبّعة بحبر أزرق.

قالت الآنسة أبوت: "ابن أختي في مثل عمرك."

وضع كيني الطوابع والحبر فوق صفحات قليلة من أحد الدفاتر، ثمّ أصابه السأم، فراح يُفتِّش داخل أدراج المكتب العليا. كانت الأدراج تضم حواجزًا تفصل مشابك الأوراق عن علب الدبابيس وأربطة الأوراق المطاطيّة والأقلام الرصاص وبعض أقلام الحبر التي تحمل اسم فندق ليمنجتون فوق جوانبها. وضم درج آخر مغلفات وورق رسائل يحمل أيضًا اسم الفندق إلى جانب رسم صغير للمبنى فوق كل صفحة.

نهض من خلف المكتب واتجه إلى الباب ورأى الآنسة أبوت خلف مكتبها الخاص تكتب رسالة ما.

قال كيني: "آنسة أبوت! هل أستعمل بعض الأوراق التي تحمل اسم فندق ليمنجتون؟"

تابعت الآنسة أبوت الكتابة وقالت دون أن ترفع عينيها: "ماذا؟"

"هل أستعمل بعض الأوراق التي تحمل اسم فندق ليمنجتون؟"

أجابت وهي تواصل الكتابة: "بالطبع."

هكذا وضع كيني الطوابع فوق الأوراق ورسم خطوطًا بأقلام الفندق، ثمّ وقّع باسمه إلى جانب الطوابع. وآنئذ خطرت له فكرة.

نزع غطاء الآلة الكاتبة التي كانت موجودة فوق منضدة صغيرة إلى جوار مكتب أمّه. كانت الماكينة ذات لون أزرق فاتح، وتحمل حروف IBM فوقها. كانت ضخمة بحقّ وتشغل أغلب المنضدة المُخصصة لها. وضع ورقة داخل الآلة الكاتبة وكبس المفاتيح، لكنّها لم تعمل، ولم تطبع شيئًا. أوشك كيني على سؤال الآنسة أبوت لماذا لا تعمل الآلة الكاتبة لكنه رأى آنئذ مفتاح التشغيل مقفلًا. كبس المفتاح فأرسلت الماكينة همهمة واهتزّت، وتحرّكت الكرة الآلية التي تحمل

الحروف إلى الأمام وإلى الخلف مرّة واحدة، ثمّ توقّفت على الجهة اليُسرى. لم تتحرّك الغربة التي تحمل الورقة، فاعتقد كيني أنّ الآلة الكاتبة حاسوبًا ما أو أحد آلات الطباعة عن بُعد.

حاول كتابة اسمه، لكن ما انتهى إليه كان كككككككككككككككك. اكتشف أنّه إذا واصل الضّغط على أحد المفاتيح فإنّ الحرف يتكرر ويُطلق صوتًا يُشبه طلقات مدفع رشّاش: كككك ككككككك ككككك كييي ييييين ن ن ن ييييي. لكن أكثر ما أصابه بالحيرة هو عدم وجود مقبض يضربه بقوّة كي تعود الورقة للخلف. لا مقبض، بل زرّ ضخم جِدًّا كُتب فوقه كلمة رجوع. كبس الزرّ فتراجعت الكُرة للوراء مسافة واستطاع كتابة سطر جديد. هكذا صارت هذه الآلة الآن رسميًّا، أروع آلة كاتبة رآها كيني أو سمع عنها في حياته.

لم يكن كيني يعرف كيف يكتب مثل الكبار؛ مثل الآنسة أبوت أو أمّه، فلم يستخدم سوى أصبع واحد للكبس على الحروف التي يريد كتابتها، لكنّه كان يكبس بين الحين والآخر حروفًا لا يُريدها: كينننستدهلكل كتينني ستانهل كينن ساث. على أنّه بعد تنقّل شديد البطء بين الحروف وحرص هائل، تمكّن من كتابة اسمه بطريقة صحيحة: كيني ستال، فأخرج الورقة من الآلة الكاتبة، ووضع تاريخ اليوم إلى جوار اسمه وكلمة فاتورة.

"ما رأيك في استراحة لتناول القهوة؟" كانت الآنسة أبوت تقف عند الباب.

قال كيني: "لا أشرب القهوة."

هزّت الآنسة أبوت رأسها وقالت: "لا بأس، هيّا نر ماذا يوجد غير القهوة، ما رأيك؟"

تبعها داخل الرواق حيثُ رأى أمّه تقف برفقة مجموعة رجال يتكلّمون في مسائل العمل، ومع ذلك نادى كيني على أمّه.
صاح كيني: "ماما!" وأشار نحو مطبخ الفندق مردفًا: "سآخذ استراحة!"
التفتت إليه وابتسمت ولوّحت بكفّها بإشارة خفيفة، ثمّ عادت تلتفت إلى رجال الأعمال.
في المطبخ، سأل الآنسة أبوت ما إذا كان ممكنًا أن يتناول الحليب بالشوكولاتة الّذي تعوّد عليه، لكن آلة البيع لم تعد تبيع حليبًا بالشوكولاتة، بل تبيع حليبًا عاديًّا وشيئًا اسمه حليب منزوع الدّسم. لذلك اتجهت الآنسة أبوت إلى مبرِّد فضّي اللون وأخرجت علبة حليب بالشوكولاتة، وأمسكت كأس شرب واسع وملأته حتّى أخره. كانت كميّة حليب بالشوكولاتة تفوق المسموح به لكيني، وهو الشيء الّذي أسعده. أمّا الآنسة أبوت فسكبت لنفسها بعض القهوة من إبريق زجاجي كان موضوعًا فوق ماكينة قهوة من نوع بون. لم يتمكنا من العودة بمشروبيهما عبر الرواق، فدخلا المقهى التي كانت تفوح بنفس الرائحة وتبدو تمامًا كالصورة المطبوعة في رأس كيني حين كان صغيرًا. جلسا أمام مائدة شاغرة لشخصين، لا أمام شبّاك تقديم المشروبات. سألته: "هل تذكرني؟ كنتُ أعمل هنا مع أبيك، قبل أن تلتحق أمّك بالعمل معنا." تابعت الآنسة أبوت أسئلتها، وأغلبها حول ما إذا كان يحب نفس الأشياء التي يُحبّها ابن أختها؛ البيسبول وفصول الكاراتيه وبرامج التلفزيون. لكن كيني صارحها أنّهم لا يستقبلون سوى قناة واحدة هي القناة 12 من شيكو.

عاد إلى مكتب أمّه وقد قرر أن يكتب رسالة إلى أمّه على آلة IBM الكاتبة. أدخل ورقة جديدة تحمل شعار فندق ليمنجتون وبدأ يكتب ببطء شديد.

أمي العزيزة.
كيف حالك أنا بخير سيارة صديقك الرياضيّة تُشبه سيارة سباق. أحبّ صوت المُحرِّك المرتفع وتشغيل الراديو. رأيتك في الفندق الآن وأتساءل عن المفاجأة الكُبرى المُعدّة لي؟؟؟؟؟ ؟ سأترك هذه الرسالة في مكان بحيث تغدو هي الأخرى مفاجأة لك. بعد أن تعثري عليها اكتبي لي فورًا على هذه الآلة الكاتبة الرااائعة جِدًّا والسّهلة جِدًّا.
محبّتي
كيني ستال فاتورة مستلمة مستملة.

طوي كيني الرسالة قدر ما يستطيع ووضعها داخل مُغلّف، ولعق الطرف اللاصق بحرص كي لا يجرح لسانه. كتب عبارة **إلى أمّي** على المُغلّف بأحد أقلام فندق ليمنجتون، ثمّ بحث عن مكان يُخفي فيه الرسالة وقرر أنّ أفضل مكان هو أحد أدراج المكتب أسفل بضعة أوراق خاصّة بالفندق.
كان كيني يلهو بأربطة مطاطيّة حين رجعت أمّه إلى المكتب برفقة رجل داكن البشرة وذي شعر مسترسل أسود. "كيني، هذا هو السيد جارثيا. إنّه من أعارنا سيارته لرحلة اليوم."
قال كيني: "مرحبًا! هل هذه سيارتك؟ السيارة الرياضيّة؟"

أجاب السيد جارثيا: "بلى. يسعدني لقاؤك. لكن هيّا نجعل اللقاء لائقًا، ما رأيك؟ هيّا قف."

ففعل كيني ما قاله الرّجل.

واصل السيد جارثيا: "الآن نتصافح. شُدّ على يدي."

فاعتصر كيني كفّ السيد جارثيا قدر جهده.

قهقه السيد جارثيا وقال: "لا تؤذني." ابتسمت والدة كيني للرجلين، فتابع السيد جارثيا: "الآن، انظر في عينيّ كما أنظر أنا في عينيك بالضبط. الآن يجب أن تقول: يسعدني لقاؤك."

فردد كيني: "يسعدني لقاؤك."

"الآن إلى الجزء الأهمّ حيث يطرح كل منا سؤال على الآخر من أجل مزيد من التواصل، رجلًا لرجل، متفقان؟ سأطرح عليك السؤال التالي: هل تعلم إلام ترمز كلمة «فيات»؟"

هزّ كيني رأسه لأنّ السؤال أربكه ولأنّه لم يكن يفهم ما يدور؛ إذْ لم يسبق أن شرح له أحد طريقة التصافح.

"Fix it again , Tony" ضحك السيد جارثيا، واستطرد: "الآن جاء دورك. سلني."

"أوم." كان على كيني التفكير في سؤال، وكان يحملق في رأس السيد جارثيا المغطاة بشعر أسود فاحم كثيف، لامع ومصفف بعناية. آنئذ تذكّر أنّه سبق أن رأى السيد جارثيا حين كان صغيرًا يلهو في الفندق برفقة أخته وأخيه. وتذكّر أنّ السيد جارثيا لم يكن يعمل في المطبخ مع أبيه، بل كان يأتي الرواق مرتديًا حُلّة. "أنت تعمل هُنا أيضًا، مثل أمّي، أليس كذلك؟"

تبادل السيد جارثيا مع أمّه نظرة خاطفة وابتسامة، وأجاب: "كنت في

السابق يا كيني، أمّا الآن فأعمل في السناتور."
"هل أنت سناتور؟" كان كيني يعرف معنى كلمة سناتور من أنباء القناة 12.
سارعت أمّه بالرّد: "السيد جارثيا يعمل في فندق سناتور يا كيني. ولديه مفاجأة كبيرة لك."
تساءل السيد جارثيا: "لم تقولي لي؟"
فأجابت: "تصوّرت أنّها ستكون هديتك الصّغيرة."
رمق السيد جارثيا كيني وقال: "لا بأس. سمعت أنّ عيد ميلادك اقترب، هل هذا صحيح؟"
هزّ كيني رأسه وقال: "سأبلغ العاشرة."
"هل سبق لك أن طرت يومًا؟"
"هل تقصد على متن طائرة؟"
"هل سبق لك؟"
نظر كيني إلى أمّه. ربّما حين كان لا يزال طفلًا رضيعًا حملته أمّه على متن طائرة لكنه كان آنئذ صغيرًا جِدًّا؛ لذلك لن يتذكّر. "هل سبق لي يا ماما؟"
"يعمل خوسيه طيّارًا، ولديه طائرة يرغب في اصطحابك على متنها. ألن تكون رحلة ممتعة؟"
لم يسبق لكيني أن قابل طيّارًا قط يمتلك طائرته الخاصّة. أين رداء السيد جارثيا الخاص بالطيارين؟ وهل يعمل في القوات الجويّة؟
سأله السيد جارثيا: "ماذا ستعمل غدًا؟ هل تريد أن تُحلِّق في الجو؟"
نظر كيني إلى أمّه وقال: "تُرى هل تأذني لي يا ماما؟"
فأجابت: "بلى، فأنا لينة العريكة."

تناول كيني وأمّه العشاء في مطعم اسمه روزماونت. كانت تعرف كل من يعملون به، وخصص النادل مائدة لشخصين لأنّ أمّ كيني قالت إنّها "في لقاء غرامي خاص مع هذا الشّاب" تقصد كيني. كانت قائمة الطعام كبيرة كأنّها صحيفة ورقيّة. اختار كيني سباجيتي، وأحضر له النادل قطعة ضخمة من كعكة الشوكولاتة للتحليّة. لم يتمكن من أكلها كلّها. ودخّنت أمّه سيجارة من سجائرها الطويلة وشربت قدح قهوة. أتى أحد الطهاة الّذين يتذكّرهم كيني منذ كان يزور الليمنجتون. كان اسم الطّاهي بروس. وجلس إلى الطاولة معهم وتبادل حديثًا مع أمّه تخلله الكثير من الضحك بعض الوقت.

وجّه بروس حديثه إلى كيني قائلًا: "يا إلهي يا كيني. أنت تنمو بسرعة هائلة كأنّك برسيم حجازي." كان بروس يتقن حيلة مدهشة؛ إذْ يستطيع أن يقذف شفّاطة ورقيّة إلى قطعة بطاطس نيئة ويثبّتها كأنّها سهم. نفّذ بروس الحيلة من أجل كيني أثناء خروجهم عبر المطبخ، وكانت أمّه قد أوقفت السيارة الفيات خلف المطعم. واب! وشقّت الشفّاطة شريحة البطاطا بالكامل تقريبًا. كانت حيلة مدهشة!

كانت أمّه تعيش في عمارة مكوّنة من طابقين يتوسطها درج يفصل بين شقّتين يتألف منهما كل طابق. وكانت غرفة المعيشة في شقّتها تضم قطعة أثاث اسمها فراش ميرفي يُمكن طيها لتختفي داخل الجدار. كان هذا الفراش مُرتّبًا حين جذبته أمّه من الحائط. وكان لديها تلفزيون ملوّن فوق حامل مُتحرّك أدارته كي يواجه الفراش، لكن قبل أن تأذن له بالفرجة، طلبت منه الاستحمام.

كان الحمّام صغيرًا والمغطس ضيقًا، لذلك امتلأ سريعًا بالماء. وجد فوق

أحد الأرفف أنواعًا مختلفة من صابون الاستحمام وأشياءً نسائيّة أخرى، جميعها داخل زجاجات وأنابيب ملوّنة ومُزيّنة بالزهور. وجد فوق رفّ آخر علبة معجون حلاقة ماركة جيليت، وموسى من نوع ويلكنسون سورد. لعب كيني داخل المغطس إلى أن تكرمشت أصابعه وبات الماء شديد البرودة. كانت البيجاما في الحقيبة الورديّة التي جاء بها من المنزل، فلبسها وشمّ رائحة فشار كانت أمّه تحضّره وترجه كي ينضج داخل وعاء فوق موقد مطبخها الصّغير.

هتفت وهي تذيب الزبدة داخل قدر تحضيرًا لسكبها فوق الفشار: "ابحث عن شيء تشاهده على التلفزيون يا حبيبي."

أشعل كيني التلفزيون فعادت إليه الحياة على الفور، دون حاجة إلى وقت لتسخين الصمامات كحاجة التلفزيون الّذي لديهم في منزل أبيه. أبهجته مشاهدة كل القنوات القديمة؛ القنوات التي كان يُشاهدها قبل أن تهجر أمّه المنزل ويتزوّج أبوه مرّة أخرى. كانت القنوات 3 و6 و10 و13 تعرض برامجًا ترفيهيّة، وعلى قرص القنوات الآخر، القرص الّذي يُلفّ، لا الّذي يُكبس، وجد القناة 40. كانت سائر القنوات ملوّنة باستثناء الفيلم القديم الّذي تعرضه القناة 40. استقر على برنامج اسمه اسم اللعبة، رحّبت به أمّه.

تمددا فوق فراش ميرفي معًا وطفقا يتناولان الفشار. ركلت أمّه الحذاء وأحاطت كتفي ابنها بذراعيها، وراحت تعبث بأصابعها في شعره. لكنها استقامت بعد قليل وقالت: "دلّك عنق أمّك قليلًا." فاعتدل كيني ونهض فوق ركبتيه، وأبعد شعرها، وبدأ في تدليك عنقها متجنبًا السلسلة الصغيرة المحيطة برقبتها. شكرته بعد دقائق قليلة وقالت إنّها تحبّ ابنها الصغير كيني. عادا يتمددان مرّة أخرى، وكان البرنامج

التالي قد بدأ؛ عالم براكين، الذي انهمك فيه راشدون بأشياء لم يفهمها كيني، فنام قبل عرض أول إعلان تجاري.

كان المذياع يبث قطعة موسيقيّة حين استيقظ كيني في الصباح. وكانت أمّه في المطبخ قد انتهت من تحضير القهوة داخل دورق زجاجي وضعته فوق الموقد. اضطر كيني أن يثب من فوق الفراش لأنّه كان عاليًا بعض الشيء.

قبّلت أمّه جبينه وقالت: "مرحبًا أيها الدبّ النائم. لدينا مشكلة كبيرة."

دعك كيني عينيه وهو يجلس أمام مائدة المطبخ ذات المقعدين وقال: "أي مشكلة؟"

"لم اشتر حليبًا بالأمس." كان لديها علبة تحتوي شيئًا اسمه حليب مُجفف، مرسوم عليها صورة بقرة، تستخدمه مع قهوتها الصباحيّة. "هل تستطيع الخروج إلى محل لويز وتشتري لنا نصف جالون حليب؟ ستحتاجه من أجل حبوب الفطور."

"سأخرج."

كان كيني يجهل مكان محل لويز، قالت له أمّه أنْ يخرج من الباب الأمامي وينعطف يمينًا ثمّ ينعطف يسارًا. كان المحل على مسافة ثلاث دقائق سير. وسيجد بعض الدولارات فوق منضدة الزينة في غرفة النوم، يُمكنه أن يأخذ منها دولارين ويشتري لنفسه هدية صغيرة فيما بعد.

لبس كيني الثياب ذاتها التي كان يرتديها في اليوم السّابق ودخل غرفة نوم أمّه الصغيرة. وجد النقود فوق منضدة الزّينة فأخذ دولارين،

وكان باب خزانة ثيابها مفتوحًا وثمّة مصباح مُضاء في الجانب. رأى كيني كل أحذيتها فوق الأرض وثيابها وتنانيرها مُعلّقة فوق حمّالات. رأى أيضًا سترة وبنطلون رجل داخل خزانة الثياب وبعض ربطات العنق معلّقة في مشابك صغيرة. وكان ثمّة حذاء رجالي إلى جوار حذائها عالي الكعبين.

كانت الأشجار الضخمة تصطف على جانبي الشوارع القريبة من شقّتها، لكنّها أشجار مُختلفة عن أشجار الأوكالبتوس في طريق وبستر؛ ذلك أنّ أوراق تلك الأشجار كانت عريضة وخضراء وأغصانها سميكة وعالية. ونمت جذور الشجرة القديمة سابغة الطول لحدّ هائل وأحاطت بالرصيف وجعلته وعرًا. حمل كيني الدولارين في يده وانعطف يمينًا، ثمّ يسارًا، وصادف محل لويز في غضون أقل من ثلاث دقائق.

وجد رجلًا يابانيًا يقف خلف مسجّلة النقود، تُحيطه السكاكر والحلوى المعروضة. عثر كيني على مبرّد الألبان فأخذ نصف جالون من الحليب كي يدفع ثمنه. أنهى الياباني البيع وسأله: "من أنت؟ لم أرك هنا من قبل."

أخبره كيني أنّ أمّه تعيش بالقرب من محلّه وأنّها نسيت شراء حليب. فسأله الرّجل: "ومن هي أمّك؟" أجابه كيني، فاستطرد الرّجل: "آه! أمّك سيدة لطيفة. سيدة رائعة الجمال. وأنت ابنها؟ كم عمرك؟"

قال كيني: "سأبلغ العاشرة بعد تسعة أيام."

فقال البقّال: "لديّ فتاة في مثل عمرك."

اشترى كيني لنفسه هدية صغيرة يتناولها فيما بعد، كانت علبتا كاب كيك هوستس تعلوهما الزينة البيضاء والشكولاتة في المنتصف. كان

ثمنهما ربع دولار، فتمنّى كيني ألا يكونا باهظي الثّمن في رأي أمّه التي لم تقل شيئًا حين عاد يحمل الحليب. سخّنت له خبزًا كي يتناوله إلى جانب طبق حبوب رايس كريسبيس مع شرائح برتقالة أخلتها من البذور.

كان كيني يُشاهد القناة 40 التي كانت تبث أفلام كرتون وإعلانات دمى طيلة الصباح، حين رنّ الهاتف المُثبّت فوق جدار المطبخ. رحّبت أمّه بالمتصل، ثمّ قالت شيئًا لم يفهمه كيني.

"ماذا جرى يا حبيبي[6]؟ ماذا؟ آه، كلا! كان يتلهّف لذلك. هل أنت واثق؟" رمق كيني أمّه التي بادلته النظر وهي تصغي. "آه! بلى، ربّما ينجح ذلك. بلى، عصفوران بحجر واحد. يروق لي ذلك. لا بأس." وأصغت إلى الهاتف لحظة أخرى، ثم قهقهت وأغلقت الهاتف.

أنشدت وهي تدخل الغرفة: "أيّها الدّب كيني! ثمّة تغيير في الخطط؛ ذلك أنّ السيد جارثيا طرأت عنده بعض الأشغال ولن يتمكّن من الطيران معك على متن طائرته اليوم. لكن..." أمالت رأسها كأنّ حدثًا أشد إثارة على وشك الوقوع، مثل رحلة على متن مركبة فضائيّة. واستطردت: "في مستطاعه أن يُعيدك إلى المنزل غدًا على متن الطائرة! هكذا لن نضطر لركوب السيّارة."

لم يستوعب كيني تمامًا كيف يُمكن أن تغدو رحلة رجوعه للمنزل على متن طائرة رحلة ممكنة. هل ستهبط الطائرة على طريق وبستر أمام المنزل مباشرة؟ وهل سيصطدمان بأشجار الأوكالبتوس؟

صار لديهما الآن يومًا كاملًا عليهما ملئه؛ لذلك أمضيا ساعات

(6) بالأسبانيّة في الأصل. [المترجم]

الصباح المتأخّرة في الفيريتيل تاون، وهي مكان مُخصص للأطفال يُديره قسم الحدائق. ثمّة منازل قليلة مدهونة كي تبدو كأنّها مبنيّة من القش والعصي والحجارة، فضلًا عن نسخة متعرّجة طويلة من طريق حجري أصفر وعروض للدمى كل ساعة حتّى الثالثة ظهرًا. اعتادت الأسرة في السابق زيارة قرية الأحاجي حين كان كيني صغيرًا، وهي الزيارات التي كانت تخلو من حضور أبيه الّذي دائمًا ما يكون نائمًا في المنزل. ولأنّ كيني كاد يبلغ العاشرة الآن، أصبحت قصص الجنيات غير مناسبة له على الإطلاق، حتّى الأراجيح غدت لأطفال أصغر من كيني.

كانت حديقة الحيوان قريبة، وكانت هي الأخرى مقصدًا أثيرًا في صِغِر كيني. لا زالت القردة تبسط أطرافها في الهواء وتتأرجح فوق الحلقات المُعلّقة داخل أقفاصها، والفيلة داخل حظيرة على الجانب الآخر من السور الّذي لم يعد عاليًا كما كان يومًا، والزرافات تأكل الجزر من أَذْل تمتلئ به وتحملها يد حارس الحديقة. مكث هو وأمّه في الحديقة أطول مما مكثا داخل الفيريتيل تاون، وتريثا قليلًا داخل بيت الزواحف حيثُ التفت أفعى أصَلَة ضخمة حول جزء من شجرة، كانت ذات رأس هائلة كأنّها كرة قدم، وقريبة من زجاج نافذة العرض. تناولا غداءهما في سوق صغيرة تراصّت فيه طاولات غطتها مفارش منقوشة بمربعات بيضاء وسوداء. أكل كيني شطيرة تونة بلا خسّ ولا طماطم؛ تونة فقط، وأكلت أمّه علبة سلطة باستا صغيرة. ثمّ شربا عصيرًا ذهبي اللون جاء داخل زجاجات على هيئة ثمار التفاح، بدلًا من الكولا. أصيب كيني بالإحباط في البداية، لكن عصير التفّاح لم يكن حلوًا، وسميكًا، فأحسّ جسده بالانتعاش حين نزل المشروب عبر

حلقه إلى بطنه، وتخيّل مذاق النبيذ؛ لأنّ الراشدين دائمًا ما يبالغون في وصف «النبيذ الفاخر». ثمّ حلّى بالكاب كيك هوستس.

سألته أمّه: "ماذا سنفعل الآن أيها الدب كيني؟ ما رأيك لو جربنا لعب الجولف المصغّر؟"

ساقت الفيات الحمراء في الطريق السريع، واتجهت غربًا ناحية خاصرة التلال. أدرك كيني حين عبرا النّهر أنّهما أصبحا قريبين من مخرج طريق الصانسيت، وهو الطريق الجانبي الّذي كانوا يسيرون فيه من أجل العودة للمنزل؛ منزله القديم. تذكّر اليافطة الخضراء القديمة ذات السهم الأبيض وعبارة طريق صانسيت، ورأى محطة شيفرون على أحد جانبي الطريق ومحطة فيليب 66 على الجانب الآخر. لكن أمّه لم تنعطف داخل حارة الخروج، بل واصلت السير. ظهرت بعد مسافة على جانب الطريق السريع بلدة صغيرة نابضة بالألوان تتناثر فيها طواحين هواء صغيرة وقلاع؛ ها هُنا مركز الجولف والمرح العائلي المصغّر. بدا المكان جديدًا وساحرًا.

كان اليوم يوم سبت، وثمّة زحام شديد صنعته حمولات السيارات من الأسر والأطفال الكسالى الّذين كانوا يمتطون دراجاتهم أو جاءوا في حافلات؛ أطفال مزودون بنقود تكفي لقضاء يوم حافل بالمرح. ثمّة حلقة من أقفاص البيسبول مزوّدة بماكينات قذف الكرات الآلية، وممر يمتلئ بألعاب الفِلبر وإطلاق النار، ومطعم وجبات خفيفة يُقدِّم السجق المغطّى بدقيق الذرة والمخبوزات المملحة العملاقة وبيبسي كولا. اضطر كيني وأمّه إلى الانتظار في طابور للحصول على الكرات ومضربي الجولف المناسبين من مُراهق ابتسم للأم بعينين واسعتين تشبهان عيني موظف محطة شِل في أيرونبند.

كان أمامهما مضماران للعب، لكنّ الشاب الّذي يقف خلف الشبّاك لم يرشّح لهما مضمار الماجيك لاند فحسب؛ الّذي يضم قلعة، بل مشي برفقتهما أيضًا حتّى الحفرة الأولى وتحمّل مشقّة شرح طريقة استعمال القلم الرصاص الدقيق في كتابة النقاط على البطاقة. وشرح لهما أيضًا أنّهما لو نجحا في التسديد على حفرة في الجزء الثامن عشر، فإنهما يربحان مباراة مجّانيّة.

قالت الأم للصبي وهي تتمنّى لو تخلّصت منه: "أظنّ أنّنا فهمنا جوهر اللعبة." لكنه رغم ذلك ظلّ إلى جوارهما إلى أن أرسلا كرتهما الأولى، وتمنّى لهما مباراة طيبة ثمّ عاد إلى الشباك لتسليم مزيد من المضارب وكرات الجولف الملوّنة.

لم يشغلا بالهما بتسجيل النقاط قطّ. ضرب كيني كرته الأرجوانيّة حريصًا على المسافة أكثر من حرصه على الدقّة، ما اضطره لنقر الكُرة عِدّة مرّات كي يُصيب الحفرة. أمّا أمّه فكانت أكثر حرصًا، وكانت الحفرة الأمتع هي الحفرة التي سدد فيها كيني كرته نحو هيكل على هيئة فطر عيش غراب مرقّط، فاختفت بضع ثوان ثمّ خرجت من أحد ثلاث قنوات إلى بقعة خضراء منخفضة. اضطر كيني هناك إلى نقر الكُرة داخل فم ضفدع عملاق يثب صعودًا ونزولًا كأنّه جسر قلعة متحرِّك. ومرّة أخرى اختفت الكرة، ثم خرجت إلى بقعة خضراء أكثر انخفاضًا، تكاد تتدحرج داخل الحفرة، فلم يكن مضطرًا إلا إلى نقر الكرة الأرجوانية بمضربه القصير. في حين استغرقت أمّه وقتًا طويلًا كي تجعل الكرة تعبر فم الضفدع.

قال كيني لأمّه في طريق عودتهما بالسيارة الفيات: "الجولف المصغّر ممتع جِدًّا." كانت قد اشترت له سجقًا بدقيق الذرة تناوله كله قبل

أن يدلف إلى السيارة الرياضيّة.

قالت: "أنت بارع جِدًّا به." وحرّكت عصا تغيير السرعة وهما يغادران ساحة انتظار السيارات في مركز الألعاب في طريقهما إلى المدينة في اتجاه طريق الصانسيت الجانبي.

سألها وهي تشعل واحدة أخرى من سجائرها الطويلة بقداحة الفيات: "ماما؟ هل يُمكن أن نزور المنزل القديم؟"

نفخت أمّه الدخان من فمها وراقبته يختفي في الهواء. لم تكن ترغب في زيارة المنزل القديم، وكانت قد حملت كيني من مستشفى الولادة إلى ذلك المنزل بعد يومين من ولادته. أخوه وأخته ولدا في بيركلي، لكنهما لا يحملان سوى القليل من الذكريات عن الشقّة هُناك. كانت تراقب طفليها البكر يلهوان في فناء ذلك المنزل الخلفي وهي تحمل كيني لا يزال رضيعًا فوق خصرها. هناك كان كيني يزحف فوق سجادتها الثقيلة؛ سجادة أمّها الثقيلة القديمة، داخل غرفة المعيشة إلى أن تعلّم المشي فوقها. كان هذا المنزل محمّلًا بذكريات أعياد الميلاد والقديسين وحفلات أعياد ميلاد الأطفال في الحي، وأجمل ذكريات زواجها وحياتها كأمّ.

لكن التعاسة كانت تتسكّع أيضًا في زوايا المكان؛ المشاجرات التي لا يزال يتردد صداها؛ العزلة المُلازمة لليالي بعد نوم الأطفال والنهارات التي كانوا يتحولون فيها إلى حفنة تثير الغيظ. لذلك عملت في فندق ليمنجتون؛ كي تهرب من المنزل والأطفال والسأم الّذي تصادفه في ظلال السخط. كان ثمّة وظيفة نادل شاغرة؛ فساقت السيارة في الصباح الباكر قبل أن يأتي زوجها من أجل الغداء وورديّة العشاء، وتركت الأطفال مع مورمونيّة مُراهقة تعيش في الحي. كان الأجر

مناسبًا بالطبع، لكن الوظيفة أتاحت لها أشياء كانت تتمنى عملها كل يوم؛ وجهة تقصدها وعمل تقوم به وبشر تتكلّم معهم. كانت لا تزال السيدة كارل ستال، وكان زوجها مدير المطبخ، لكن الجميع بما فيهم خوسيه جارثيا كانوا ينادونها باسمها الأول. وحين أثبتت براعتها مع الأرقام نقلها المدير العام للفندق من المقهى إلى وظيفة كاتب حسابات، ومنها ترقّت إلى مكتب المبيعات بعد طلاقها من والد كيني وتخلّصها من اسم السيدة كارل ستال.

لقد هجرت ذلك المنزل القديم منذ زمن بعيد، ولم تعد ترغب في رؤية المكان مرّة أخرى.

"بالتأكيد." قالت لابنها ثمّ أردفت: "أنا لينة العريكة."

غادرت الطريق السريع وانحرفت يمينًا نحو محطة فيلبس 66، ثمّ تابعت من شارع صانسيت إلى شارع بالميتو، وانحرفت يسارًا في بالميتو إلى شارع ديربي، وقللت السرعة وهي تنعطف يمينًا وتعبر شارعي فيستا وبوش، ثمّ أبطأت السيارة على جانب الطريق وتوقّفت أمام المنزل رقم 4114.

لدى كيني منزلان فحسب، وكان هذا أولهما. تأمله مليًّا. صندوق البريد إلى جوار المدخل كان كما هو، وسور الشرفة المتصالب كان كما يتذكّره، لكن الشجرة الموجودة في الفناء الأمامي كانت تبدو أصغر على نحو غريب. العشب مجزوز، ولم يكن قد رأى العُشب مؤنّقًا من قبل، والزهور مغروسة بترتيب مدروس بمحاذاة الواجهة. ثمّة ستائر زرقاء مُسدلة فوق النافذة الواسعة، لا ستائر طفولته البيضاء. كان باب المرأب موصدًا على خلاف ما كان عليه حين

عاش هُنا؛ ذلك أنّه كان يبقى مفتوحًا من أجل العبور السهل إلى كل الدراجات والدمى وغُرف المنزل الخلفيّة. وبدلًا من سيارة أبيه القديمة ذات الصالون العائلي أو سيارة أمّه الكورولا، وقفت سيارة دودج دارت جديدة في المدخل.

كانت أسرة آنهولتر تعيش في المنزل المجاور، وكان كيني يتوقّع أن يرى شاحنتهم البيك أب البيضاء، لكنها لم تكن موجودة. رأى يافطة في الفناء الأمامي بالمنزل الموجود على الجهة الأخرى من الشّارع تُعلن أنّه معروض للبيع، فقال: "عائلة كالندر يبيعون منزلهم."

فقالت أمّه: "يبدو أنّهم رحلوا بالفعل." بلى، بدا المنزل خاليًا. لم يكن طفلا آل كالندر؛ بريندا وستيف، توأمين، لكنّهما لاحا كأنّهما ولدا في نفس اليوم. كانا يركبان دراجتين من نوع شوين، ولديهما كلب اسمه بيسكت، وكانا عضوين في فريق سباحة، وها هما الآن يعيشان في مكانٍ آخر.

مكث كيني وأمّه بضعة دقائق داخل الفيات، تأمّل كيني خلالها النافذة التي كانت يومًا نافذة غرفة نومه. كان المصرعان ذوا الشرائح المتحرِّكة كما هما، لكن لونهما تحوّل إلى الأزرق مثل ستائر غرفة المعيشة. كان المصرعان من الخشب الطبيعي حين كان هو وكيرك ينامان في فراشيهما التوأمين بغرفة النوم تلك، ولم يبد أنّ اللون الأزرق يليق بهما الآن.

"هل ولدت هُنا يا ماما؟"

كانت تتأمّل الطريق، لا المنزل الّذي انسدلت فوق نافذته ستائر زرقاء.

"بل ولدت في مستشفى."

"آه، أعرف ذلك. لكني كنت طفلًا رضيعًا هنا؟"

أدارت أمّه الفيات وأعدتها للحركة وقالت بصوت عال بسبب زمجرة المُحرّك: "بلى." كانت قد غادرت المنزل رقم 4114 في ديربي ليلًا، كان أطفالها نائمين في أسرتهم وأبوهم يقف داخل المطبخ صامتًا. لم ترهم مرّة أخرى طوال سبعة أسابيع، وكان كيني في الخامسة.

أشعلت ثلاث سجائر من سجائرها الطويلة خلال عودتهما إلى الشقّة، وكان الدخان يتبخّر في الهواء عبر سطح السيارة الرياضيّة المكشوف.

اصطحبته لتناول العشاء في فندق سيناتور القابع على أطراف المدينة مثل فندق ليمنجتون، لكن أفخر وأشد ازدحامًا برجال يلبسون حللًا رسميّة تحمل أسماء كل منهم. أكلا في المقهى، وأتى خوسيه جارثيا لرؤيتهما. كان كيني يأكل تحليته: شريحة ضخمة من فطيرة الكرزة المزينة بالأيس كريم؛ وصفتها النادلة بأنّها حسب الموضة[7]، لم يعبأ كيني بالكرز، لكنه أتى على كل الأيس كريم.

قال السيد جارثيا: "ما رأيك لو حلّقنا ظهر غد؟ سنرى الدلتا بعض الوقت ثمّ نتجه شمالًا. هل سبق لك ركوب طائرة يا كيني؟"

كان السيد جارثيا قد سأله نفس السؤال من قبل لكنه أجاب بلهجة مهذّبة مرة أخرى: "على الإطلاق."

فقال السيد جارثيا: "ربّما تسقط في هوى السماء." قبل خدّ أمّه وغادر، ولم يكن كيني قد رأى ذلك المشهد في الحياة الواقعية من قبل: رجل يُقبّل خدّ امرأة. حتّى أبيه لم يكن يقبّل زوجته الجديدة هكذا لمجرّد أنّه سيغادر الغرفة. كان تقبيل الخدّ شيئًا يمارسه الرجال والنساء على شاشة التلفزيون فحسب.

(7) بالفرنسيّة في الأصل. [المترجم]

اصطحبهما خوسيه جارثيا لتناول الفطور في الصباح التالي بمقهى يُدعى بانكيك بريد، تُغطيّه زينة جعلته يبدو كأنّه سيرك. طلب الرجلان كعكتين بالفاكهة، وطلبت أم كيني قطعة أخرى من الجبن القريش. امتلأ المكان أثناء تناولهم الفطور بأفراد عائلات أنيقة الملبس كانت تحملهم السيارات، السيارة تلو الأخرى. جميعهم في ثياب صلاة الأحد؛ الآباء يلبسون بدلات، والأمهات والبنات فساتين رقيقة. بعض الأولاد كانوا يلبسون ربطات عنق وفي نفس عمر كيني. بدا المكان وقد احتشد بكل أولئك البشر الّذين يثرثرون ويطلبون الفطور، صاخبًا كأنّه سيرك حقيقي.

أنهى خوسيه وأمّه قهوتهما؛ وكانت النادلة لم تكف عن المجيء مرّة تلو الأخرى لتعرض عليهما إعادة ملء القدحين، ثمّ أعادت الأم طلاء شفتيها باللون الأحمر وعادوا جميعًا إلى الفيات. ساق السيد جارثيا السيارة، وكان يلبس نظارة ذات إطار معدني مذهّب وعدستين عاكستين وطرفين معقوفين كي يُحيطا بأذنيه، ولبست أمّه نظارة عريضة سماوية اللون. جلس كيني في المساحة الضيقة بين المقعدين، حيث كانت الريح على أشدها وتعيق السمع، فظل طوال الطريق لا يدري ما كان يقوله الراشدان.

رغم ذلك وجد متعة ما في الميل إلى هذا الجانب أو ذاك والتلويح بكفيه عاليًا عبر الهواء المندفع من السقف المفتوح. مرّوا على منازل مبنيّة من الطوب أمامها حدائق واسعة يغطيها العشب، ومتنزّه أخضر هائل يضم مضمار للعب الجولف. ثمّ وصلوا إلى مكان اسمه الحقل التنفيذي تبيّن أنّه مطار، لكن خوسيه لم يتوقّف في ساحة الانتظار،

بل ساق متجهًا إلى بوابة فتحها وتوقّف إلى جوار بعض الطائرات الصغيرة التي كانت تتراص طائرة إلى جوار أخرى.

قال السيد جارثيا: "هل أنت جاهز لمراوغة الموت يا كين؟"

أشار كيني إلى الطائرات وهتف: "هل سنحلق على متن واحدة من تلك؟" لم تكن الطائرات تُشبهن النماذج التي لديه في المنزل، والتي تعود لفترة الحرب وأغلبها مقاتلات وقاذفات قنابل من طراز ب-17. بل كانت طائرات صغيرة وبلا مدافع رشّاشة، ولم يكن يبدو عليها أنّها قادرة على الطيران السريع، رغم أنّ بعضها كان مزوّدًا بمحركين.

قال السيد جارثيا أثناء سيره صوب طائرة بيضاء ذات مُحرّك واحد يزينها شريط أحمر: "الكومانشي."

انفتح بابا الطائرة كأنّهما بابا سيارة، وتركهما السيد جارثيا مواربين لتهوية الطائرة من الدّاخل. ووقف كيني فوق أحد جناحيها وتأمّل ما يوجد فيها؛ المقاييس والمؤشرات والمقود والدواسات. رأى زوجين من كل شيء؛ إضافة إلى بعض المفاتيح وأدوات التحكم الغريبة التي بدت شديدة التخصص. ظلّ السيد جارثيا يطوف حول الطائرة بضع مرات، ثمّ ألقى نظرة على بعض الأوراق التي كان قد طواها داخل جيب باب الطائرة.

جاءت أمّ كيني من السيارة تحمل الحقيبة الورديّة، وقالت له: "أظنّ أنّك تريد الجلوس في المقدّمة، أليس كذلك؟" وبسطت أحد المقاعد ثم تسلّقت إلى الوراء ووضعت الحقيبة الورديّة إلى جوارها.

"هل أستطيع الجلوس هُنا؟" وكان يقصد خلف المقود، باعتباره مساعد الطيّار.

فقال السيد جارثيا: "أحتاج إلى مساعد طيّار. فيد أمّك ترتعش حين

تمسك العصا." وضحك، ثمّ شرح لكيني كيف يشد حزامه، ومع ذلك، اضطر السيد جارثيا إلى إحكام شد حزام كيني. عندئذ أخرج نظارة قاتمة صغيرة من جيبه وأعطاها لكيني وقال: "ستغدو الشّمس شديدة التوهج حين نُحلِّق."

كانت إطار النظارة من المعدن المذهّب مثل نظارة السيد جارثيا، لكن ليست باهظة الثمن كنظيرتها، وكلاهما له طرفان معقوفان كي يحيطا بالأذن. كانت عدسات كيني عريضة جدًّا بالنسبة لرأس كيني ذي السنوات العشر، لكنه لم ينتبه لذلك، بل استدار صوب أمّه كي ترى شكله الجديد، ورفع لها إبهاميه وضحكوا جميعًا.

صاحب انطلاق المُحرك صخب شديد، بخلاف أنّ بابي الكومانشي كانا لا يزالان مفتوحين. واهتزّ جسم الطائرة وبدا أنّ المروحة ستنفجر مع كل لفّة. تعامل السيد جارثيا مع المفاتيح والمقابض وجعل المُحرّك يُزمجر عدة مرّات، ثمّ ارتدى سماعة أذن وفعل شيئًا جعل الطائرة تتحرّك رغم أنّ بابيها لا يزالان مفتوحين. مروا بالطائرات الأخرى المتوقفة، ثمّ بمساحات خضراء عريضة غُرست فيها يافطات صغيرة تحمل حروفًا وأرقامًا. توقّفت الطائرة عند طرف ممر الإقلاع الطويل، ومدّ السيد جارثيا يده عبر كيني وأوصد الباب الملاصق له، وفعل الشيء نفسه مع الباب المجاور له هو. كان المحرك لا يزال يطلق زمجرة شديدة، لكنّ الطائرة أصبحت مستقرّة.

صاح السيد جارثيا: "مستعدان؟" هزّ كيني رأسه ورفعت أمّه إبهاميها، ثمّ مدت يدها إلى الأمام كي تربت فوق رأس ابنها. وحتّى لو كانت قالت شيئًا، فإن كيني لم يسمعها، لكنه رأى ابتسامتها الواسعة.

زادت سرعة الطائرة والصخب الّذي يُطلقه المُحرك، وراود كيني

شعور لم يحسسه من قبل قط. كانت سرعتهم تزداد أكثر وأكثر ثم ارتفعوا، وأحسّ أن معدته تسقط لكن أعلى رأسه يُحلِق. صارت الأرض أصغر على الفور، وسرعان ما لم تعد الشوارع والبيوت والسيارات حقيقيّة. التفت كيني ليلقي نظرة عبر النافذة الجانبيّة، لكن جناح الطائرة حجب عنه الرؤية، فمال إلى الأمام ليرى الأرض والسماء قبالة الطائرة.

أبصر المباني الموجودة على أطراف المدينة وتعرّف على ما كان يومًا عالمه: سينما تاور وشبكة الشوارع؛ الحصن القديم الّذي كان اسمه سوتر مايل حيث اكتشف الرواد الأوائل الذهب؛ وفندق ليمنجتون الّذي تمكّن من قراءة يافطته.

كانت رحلة كيني الأولى على متن طائرة هي الحدث الأشد إثارة في حياته؛ إذْ بدا أنّ رأسه تمتلئ بالهواء وأنّ أنفاسه تغدو لاهثة. كانت الشمس أشد توهجًا مما كانت يومًا، وساور كيني شعور بالفرح لأنّه كان يلبس نظارة قاتمة. وحين مال السيد جارثيا بالطائرة وأغطس الجناحين الموجودين جهة اليسار، احتلت دلتا النهر الواسعة المشهد. كان ثمّة جزر تفصل بينها سدود وممرات مائية ملتوية، وإلى جوار البلدة التي شهدت ميلاد كيني كان يعيش مزارعون في حاجة لوجود قارب يعبر بهم إلى البلدة، وكان كيني يجهل ذلك!

صاح السيد جارثيا: "هكذا يبدو ميكونج!" وكان يُشير إلى ما وراء النافذة، فهزّ كيني رأسه بحكم العادة، غير واثق ما إذا السيد جارثيا ينتظر منه أن يقول شيئًا. "هذه هي الصفقة التي تعقدها مع العمّ سام! يُعلّمك الطيران ثمّ يرسلك كي تسرق في فيتنام!"

كان كيني يعرف شيئًا عن فيتنام لأنّ الحرب كانت على القناة 12 من

شيكو، لكن ما هو ميكونج، هذا ما كان يجهله.

حلقوا ناحية الجنوب الغربي، وتسلقوا عاليًا في السماء فبدت الشاحنات على الطريق السريع لا تكاد تتحرّك. اتسع مجرى النهر وتبدّل لونه حين التقى بماء خليج سان فرانسيسكو المالح. كان ثمّة سفن في النهر العريض؛ سفن ضخمة صارت الآن دمى مثل التي يلهو بها كيني فوق طاولة القهوة. وحين أغطس السيد جارثيا الجناحين مرّة أخرى انقلبت معدة كيني، لكن لوهلة قصيرة فقط.

كانوا يحلقون الآن في اتجاه الشمال، فأزاح السيد جارثيا السّماعة من فوق أحد أذنيه قليلًا وقال بصوت عال: "أريد أن تقود الطائرة بضع دقائق يا كيني."

رمق كيني السيد جارثيا كأنّه رجل مجنون وقال: "لكنّي أجهل كيف أقود طائرة!"

"هل تستطيع تخيّل طريقة قيادة سيارة؟"

"بلى."

فقال السيد جارثيا: "أمسك بالقبضة ثنائية اليدّ." كانت القبضة عبارة عن نصف عجلة قيادة ونصف مقود، فاضطر كيني للوقوف مستقيمًا كي يصل إلى المقبض. "ستمضي الطائرة إلى حيثُ تُشير. تراجع قليلًا واستشعر ملمس العصا."

اضطر كيني لاستخدام قوة تفوق ما تصوّر أنّها لديه، وبثقة كبيرة جذب القبضة ثنائية اليد نحوه، فملأت السماء النافذة الأماميّة وتباطأ المُحرّك.

فقال السيد جارثيا: "أرأيت؟ استو الآن على مهلك."

كان الرجل البالغ يتعامل مع مفاتيح التحكّم، لكنه ترك لكيني

مهمة دسّ أنف طائرة إلى الأسفل، فعاد مشهد الأرض يحتل النافذة الأماميّة من جديد.

صاح كيني: "هل أستطيع أن أستدير؟"

فقال السيد جارثيا: "أنت الطيّار."

أدار كيني القبضة بحرص بالغ جهة اليمين، فمالت الطائرة قليلًا، وأحسّ كيني بتغيير الاتجاه، ثم عكس الاتجاه مرّة أخرى وأحسّ بالطائرة تعود إلى مسارها بسهولة.

قال السيد جارثيا: "لو كنت أطول قليلًا، كنت تركت لك الدفّة، لكن لا يُمكنك بلوغ الدواسات. ربّما بعد عام. في العام القادم."

تخيّل كيني نفسه في الحادية عشرة، يقود الكومانشي بمفرده وأمّه تجلس في المقعد الخلفي.

"ما أريده منك الآن هو أن ترى جبل شاستا هناك أمامك." كانت الثلوج تُغطّي شاستا؛ البركان الهائل الّذي يلقي بظلاله على الوادي في الشمال، دائمًا، وكان الجبل يلوح في نهارات أيرونبند الصحو مثل لوحة عملاقة بعيدة، وبدا شاستا من مقعد كيني في مقدمة الطائرة مثلثًا أبيض يطعن الأفق. "طِر إليه مباشرة، اتفقنا؟"

"اتفقنا!" ثبّت كيتي عينيه على الجبل وحاول الحفاظ على الطائرة في الاتجاه المُحدد. أخرج السيد جارثيا بعض الأوراق من جانب مقعده وقلم حبر من جيبه، ثمّ دوّن بعض الأشياء وتفحّص خارطة. لم يكن كيني واثقًا كم مضى من الوقت وهو يقود الطائرة في الاتجاه الصحيح، ربّما كانت دقائق قليلة أو أغلب الطريق للمنزل، لكنه لم يترك الطائرة تضل. وحين طوى السيد جارثيا الخارطة وأغلق القلم كان أغلب جبل شاستا قد أصبح واضحًا.

قال وهو يُلقي نظرة على القبضة: "مرحى أيها الفتى كيني! لقد ولدت طيّارًا."

وصاحت أمّه من مقعد الطائرة الخلفي: "أحسنت يا حبيبي!" التفت كيني فرأى ابتسامتها تكاد تضاهي الابتسامة المرسومة على وجهه.

أطلّ كيني من النافذة فرأى حارات الطريق السريع التي تشق الوادي عبر بلدات مثل ويلوز وأورلاند، وتؤدّي إلى أيرونبند وما بعدها. منذُ يومين فقط كان هو وأمّه على الجهة الأخرى من هذا الطريق السريع. الآن، ها هو قد أصبح على مسافة أميال.

كان على كيني بعد أن حلّق بالطائرة أن يُطقطق أذنيه؛ يتثاءب بقوّة وينفخ أنفه دون أن يفتح فمه. لم تؤذه هذه المسألة، وكانت الطائرة تنخفض وصوت المحرِّك يتعالى مع اقتراب الأرض ووضوح معالم أيرونبند. ظهر فناء قطع الأشجار جنوب البلدة، ثمّ نُزلين على جانب الطريق السريع، وصوامع الحبوب القديمة الخالية، وساحة انتظار السيارات الخاصّة بمركز تسوق بلازا مع مونتجومري وارد. كان كيني يجهل وجود مطار في أيرونبند، لكن ها هو مطار خلف ملعب كرة قدم اليونيون هاي.

بدأ السيد جارثيا الهبوط بالطائرة، فارتجّت واهتزّت، لكنه فعل شيئًا بالمحرِّك جعله يهدأ ويكاد لا يُصدر صوتًا، قبل أن تصطدم العجلات بالمدرج الأسفلت. ثمّ ساق الطائرة كأنّها سيارة إلى أن توقّف على مسافة بضعة أقدام من رتل الطائرات الأخرى المتوقّفة. أطفأ المُحرّك، لكن المروحة ظلّت تدور عدة مرّات إلى أن توقّفت مصحوبة برجة. كان الهدوء في غياب صوت المُحرِّك غريبًا، فبدا صوت فك أحزمة المقاعد واضحًا للغاية، كأنّ مصدر الصوت فيلم

في سينما الولاية.
قال السيد جارثيا دون أن يضطر للصياح: "ها نحن قد راوغنا الموت مرّة أخرى."
فقالت أمّ كيني: "بصراحة، هل أنت مضطر للتعبير عن الموقف بتلك الطريقة؟"
فضحك السيد جارثيا، ومال للوراء، ثمّ قبّل خدها.

كان المطار يضمّ مقهىً صغيرًا جِدًّا خاليًا من الزبائن والعاملين أيضًا. جلس كيني إلى طاولة ووضع الحقيبة الورديّة فوق الأرض عند قدميه، كان لا يزال يرتدي نظارة الطيّار القاتمة، ودسّت أمّه بضع قطع نقديّة داخل هاتف عملة مُثبّت في الجدار. طلبت الرقم وانتظرت، ثمّ أغلقت الخطّ ووضعت نفس القطع النقديّة في الهاتف، ثمّ طلبت رقمًا آخر قبل أن تتمكّن من الحديث.
قالت للشخص على الطرف الآخر: "حسنًا، كان الخطّ مشغولًا. هل تستطيع أن تأتي لاصطحابه؟ لأنّنا مضطران للرجوع. كم ستستغرق؟ لا بأس." أغلقت الهاتف واقتربت من المقعد، وقالت: "سيأتي أبوك من العمل كي تعود معه. هيّا نر ما إذا كان ثمّة بعض الشوكولاتة الساخنة لأجلك وقهوة لي."
رأى كيني عبر باب المقهى الزجاجي السيد جارثيا؛ لا يزال يلبس نظارته القاتمة هو الآخر، داخل مكتب المطار يتكلّم مع رجل يجلس خلف مكتب. وسمع كيني أزيزًا عاليًا تبيّن أنّه صوت ماكينة تصنع شوكولاتة ساخنة. أحضرت له أمّه الشوكولاتة داخل قدح مصنوع من الستايروفوم، فأخذ منه رشفة واحدة أدرك بعدها أنّ الشوكولاتة

خفيفة جِدًّا؛ فلم يتمكن من إنهائها.

جاء أبوه يقود سيارته ذات الصالون العائلي، وترك المُحرِّك يعمل ثمّ نزل مرتديًّا بنطلون الطاهي وحذائه الثقيل. صافح السيد جارثيا وتبادل كلمات قليلة مع أمّ كيني، ثمّ التقط الحقيبة الصغيرة الورديّة وحملها إلى السيارة.

جلس كيني في المقعد الأمامي، تمامًا كما فعل في الطائرة. وحين غادرا ساحة انتظار السيارات، سأله أبوه عن نظارته القاتمة.

فأجاب كيني: "السيد جارثيا أعطاها لي."

حكى كيني لأبيه عن استهداف جبل شاستا، ثمّ عن زيارة حديقة الحيوان وملعب الجولف المصغّر وزيارة المنزل القديم.

فغمغم أبوه: "آه." وكررها مرة أخرة حين أخبره كيني عن انتقال عائلة كالندر.

ساق أبوه السيارة عائدًا إلى البلدة وإلى مطعم بلوجم، وأطلّ كيني من النافذة يتفحّص السماء، وقد ألقى إطار النظارة المعدني بظلال زرقاء داكنة على عينيه. ربما يكون السيد جارثيا قد أقلع بالطائرة الآن، وكان كيني يتمنّى لو رأى الطائرة تُحلِّق في السماء. لا ريب أنّ أمّه تجلس في مقعد مساعد الطيّار.

لكن ما مِن أثر لهما، على الإطلاق.



تلك هي فِكر قلبي

لم تكن تفكّر في شراء آلة كاتبة جديدة؛ إذْ لا كان ينقصها شيء ولا كانت تريد مزيدًا من اللوازم سواء جديدة أو مستعملة أو أنتيكات. وكانت قد نجت من إخفاقاتها الشخصيّة المستجدّة من خلال فترة من العيش المتقشّف والتقليليّة الجديدة؛ حياة يُمكن ترتيبها داخل سيارتها.
أحبّت شقتها الجديدة غرب نهر كاياهوجا. وتخلّصت من كل الثياب التي أبلتها معه؛ هذا الأخرق، ودأبت على الطبخ لنفسها كل ليلة تقريبًا والإصغاء لعدد كبير من التدوينات الصوتيّة. وكانت قد ادّخرت مبلغًا معقولًا من المال يكفيها حتّى مقدم العام الجديد، وقضاء صيف خامل بلا أجندة خاصّة. ستتجمّد البحيرة في يناير، وربّما تنفجر أنابيب عمارتها، لكن آنئذ ستكون قد رحلت إلى نيويورك أو أطلانطا أو أوستن أو نيو أورليانز. لديها وفرة من الخيارات ما دامت تسافر خفيفة، لكن

كنيسة الليكوود ميثودست عند ملتقى ميشيغان وسيكامور كانت تنظِّم أوكازيونًا ليلة السبت في ساحة انتظار السيّارات؛ كي تجمع نقودًا لبرامج خدمة المجتمع مثل يوم الرعاية الطبيّة المجّاني، وبرامج العلاج من الإدمان، فضلًا عن أشياء أخرى كانت تجهلها كتقديم وجبات أو مواصلات بالمجّان. لم تكن من روّاد الكنيسة، ولا من أبناء الكنيسة الميثوديّة، لكنّها كانت على يقين إلى حدٍّ ما أنّ المشي بتمهّل بين ساحة انتظار سيارات ملأى بطاولات صغيرة تصطف فوقها الكثير من الخردة، لم يكن عملًا من أعمال التعبّد.

كانت تعشق التسلية؛ فكادت تشتري طقم صينيات عشاء مصنوعة من الألمونيوم، لكنّها اكتشفت في ثلاث منها بوادر صدأ. ولم تصادف ما يسترعي الانتباه في علب الإكسسوارات، لكنّها رأت عندئذ طقم تحضير مثلجات من نوع تابروير. كانت في طفولتها مسؤولة عن ملء القوالب بعصير كولايد أو عصير البرتقال، ورصّ الطقم المُبتكر ذا المقابض البلاستيكيّة، فيتحوّل العصير بعد أن يتجمّد إلى مثلجات رخيصة. تكاد تحسّ بهواء الصيف السّاخن عند سفوح التلال، وكفّاها دبقان بسبب الفاكهة المثلّجة الذائبة. حصلت على الطقم مقابل دولار واحد، دون أن تساوم.

رأت فوق نفس الطاولة آلة كاتبة مدهونة بلون البوب آرت الأحمر الباهت. لم تكن تسترعي الانتباه، لكن ما جذبها إلى الآلة هو رقعة الاسم اللاصقة المثبّتة بالصمغ أعلى الزاوية اليسرى من الغطاء. بحروف صغيرة شُدّ أسفلها خطًّا (باستخدام مفتاح الإزاحة ورقم ستة)، كتبت صاحبتها الأصليّة عبارة:

تلك هي فِكر قلبي

كانت الكلمات مطبوعة منذُ ما يزيد على الثلاثين عامًا، عندما كانت الآلة لا تني جديدة وتُستعمل للمرّة الأولى. ربّما كانت هدية للفتاة في عيد ميلادها الثالث عشر. لكنّ مالكًا أحدث كتب عبارة «اشترني مقابل خمسة دولارات» فوق ورقة أدخلها في عربة الآلة.

كانت ماكينة محمولة صُنع بدنها من البلاستيك. وكان شريطها مزوّدًا بلونين: أسود وأحمر، وثمّة ثقب في الغطاء كان مثبّتًا فيه ذات يوم نوع الآلة: سميث كورونا أو بروذر أو أوليفيتا. هناك أيضًا حقيبة لحمل الآلة مصنوعة من الجلد الصناعي المحمر مزوّدة بقفل. كبست ثلاثة مفاتيح: الألف والباء والفاء، فأصدرت طقطقة حين اصطدمت بالصفحة قبل أن ترتد كما كانت. إذن فالآلة لا تزال تعمل، لحدٍّ ما.

سألت سيدة من سيدات الكنيسة كانت تقف أمام طاولة قريبة: "هل هذه الآلة الكاتبة بخمسة دولارات حقًّا؟"

قالت المرأة: "تلك؟ أظنّ أنّها لا تزال تعمل، لكن لم يعد أحد يستخدم الآلات الكاتبة."

لم تكن تلك هي إجابة سؤالها، لكنّها لم تكترث، بل أردفت: "سأشتريها."

"أين النقود؟"

وهكذا زادت ثروة سيدة الكنيسة خمسة دولارات.

في شقّتها، حضّرت مؤونة من مثلجات عصير الأناناس تتسلى بها في وقت لاحق تلك الليلة. هكذا يغدو لديها بعض المثلجات حين تنخفض حرارة النهار، فتفتح النوافذ وتترقّب ظهور أول يراعات المساء. أخرجت الآلة الكاتبة من الحقيبة الرخيصة، ووضعتها فوق طاولة المطبخ الصغيرة، ثمّ أدخلت ورقة أحضرتها من مُلقِّم طابعتها الليزريّة.

جرّبت كل المفاتيح واكتشفت أنّ أغلبها عالق، وأنّ أحد الكعوب المطاطيّة الأربعة أسفل الآلة قد ضاع؛ لذلك كانت تتأرجح قليلًا. طفقت تضرب سائر المفاتيح بأصابعها بدءًا من الصفّ العلوي، وتحرِّك أغطية المفاتيح في محاولة؛ تكللت بنجاحٍ معقول، لإرخاء ما تصلّب. لكن رغم أنّ الشريط كان قديمًا، كانت الحروف واضحة. جرّبت المسافة التي تتركها عربة الآلة عند عودتها؛ سواء مسافة مفردة أو مزدوجة، ووجدت أنّها تعمل على نحو جيد، على خلاف الجرس. لكن المنزلقين الجانبيين كان الصدأ قد نال منهما فانحشرا في مكانيهما. كانت الآلة الكاتبة في حاجة إلى تنظيف قوي وإلى تشحيم، توقّعت أن يُكلِّف خمسة وعشرين دولارًا تقريبًا. لكنّها أمعنت التفكير في اللغز الأكبر؛ اللغز الّذي يواجه كل من يشترون آلة كاتبة في الألفيّة الثالثة، وهو: ما الغاية منها؟ كتابة العناوين فوق المغلفات؛ وربّما تجد أمّها متعة في الرسائل المطبوعة التي تكتبها ابنتها الرحّالة؛ كما يُمكنها أن تبعث رسائل مُهينة لحبيبها السّابق مثل: "مرحبًا أيها الأخرق، لقد ارتكبت خطأ هائلًا لعينًا!" دون أن تخشى أن يعرف هوية المرسل. في مستطاعها أن تكتب تعليقًا وتلتقط له صورة رقميّة بهاتفها، ثمّ تنشره على مدونتها أو على صفحتها بالفيسبوك، أو تحضِّر قوائم ما يلزمها من مهام وتثبتها فوق باب المبرِّد. هذه خمسة أسباب غير تقليديّة لامتلاك آلة كاتبة قديمة جديدة، أضافت إليها بعض الفِكر الصادرة من القلب، ليُصبح لديها ستة أسباب.

طبعت قصد صاحب الآلة الأصلي منها:

تل كهي فِ ك رقلبي

كانت مسطرة المسافات عالقة، فأمسكت هاتفها وبحثت على جوجل

عن إصلاح آلة كاتبة قديمة.

خرجت من البحث بثلاثة خيارات، أولها متجر يبعد عنها مسافة ساعتين بالقرب من أشتابولا، والثاني مكان على أطراف المدينة لا يرد على الهاتف، أمّا الثالث فكان مفاجأة بالنسبة لها، وهو متجر ديترويت أفنيو بيزنس ماشينز، وكان على مسافة بضع دقائق سير فحسب. كانت تعرف المكان؛ إلى جوار متجر إطارات سيارات؛ إذْ مرّت من أمامه مرّات عديدة في طريقها إلى مطعم بيتزا كبير، فضلًا عن متجر مستلزمات فنيّة تفصله عن المتجر عِدّة أبواب، لكنّه توقّف عن العمل بعد فترة قصيرة. كانت تظنّ أنّ المتجر الضيق مُخصص لإصلاح الحواسيب والطابعات، لكن بعد أن قطعت المسافة القصيرة سيرًا، أدهشها أن ترى؛ بعد أن تفحّصت واجهة العرض عن كثب، ماكينة جمع قديمة؛ وجهاز ردّ على المكالمات يبلغ عمره ثلاثين عامًا؛ وشيئًا اسمه دِكتافون؛ وآلة كاتبة عتيقة. رنّ الجرس المُعلّق فوق الباب حين دخلت.

غطّت الطابعات أحد جدران المتجر؛ وكانت صناديقها تصطف إلى جوار خراطيش الحبر التي تصلح لأي نوع. كان الجانب الآخر من المتجر يُشبه متحفًا لأدوات التجارة القديمة؛ ماكينات جمع مزوّدة بواحد وثمانين مفتاحًا سوى المقابض؛ وآلات حاسبة بعشرة مفاتيح بحالتها تقريبًا؛ وماكينة اختزال؛ وآلات كاتبة IBM سيليكتريك أغلبها داخل عُلب بلون بُنّي فاتح؛ وعشرات الآلات الكاتبة من كافّة الأنواع تبرق بألوان الأسود والأحمر والأخضر، بل والأزرق الفاتح، تصطف فوق أرفف مُثبّتة بأحد الجدران. وبدا أنّ كل تلك الآلات تعمل بكفاءة عالية.

كان شبّاك الخدمة في مؤخّرة المتجر، اصطفّت خلفه مكاتب وطاولة عمل جلس إليها رجل عجوز يتفحّص أوراقًا.

سألها العجوز بلكنة خفيفة؛ إذْ كان بولنديًّا على الأرجح: "كيف أساعد الشّابّة؟"

قالت: "أتمنّى أن تتمكّن من إنقاذ استثماري." ووضعت الحقيبة الجلديّة فوق الشبّاك، ثمّ فتحت القفل وأخرجت الآلة الكاتبة.

أرسل العجوز تنهيدة حين رأى الآلة، فقالت: "أعرف أنّ هذه الجوهرة في حاجة إلى جهد ضخم. نصف المفاتيح عالقة، كما أنّها ترتج حين أكتب عليها، ومسطرة المسافات تالفة، ولا يوجد جرس."

قال: "لا يوجد جرس. آه."

"هل تستطيع أن تساعدني؟ لقد أنفقت خمسة دولارات في هذا الشيء."

رمقها العجوز، ثمّ عاد ينظر إلى الماكينة، وأرسل تنهيدة أخرى وغمغم: "لا شيء أستطيع تقديمه لك أيتها الشّابة."

أصابتها حيرة؛ إذْ من خلال ما وعته عيناها، فإنّ هذا المكان هو المتخصص في إعادة أي آلة كاتبة إلى العمل. وقد أبصرت فوق طاولة العمل خلف العجوز ماكينات مفككة وأجزاء من آلات كاتبة، فصاحت بصوتٍ عالٍ: "هل السبب يرجع إلى أنّه ما من جزء من تلك الأجزاء في الخلف تتطابق مع آلتي الكاتبة؟"

فقال وهو يُشير إلى الآلة ذات اللون الأحمر الباهت والحقيبة الجلديّة: "بل ما من أجزاء تصلح لهذه الآلة."

"هل ينبغي أن تطلب أجزاء مُعيّنة؟ أستطيع الانتظار."

"لم تستوعبي الموقف بعد." وكان فوق حافة الشبّاك علبة صغيرة

تحتوي على بطاقات تعريف رسميّة، فالتقط بطاقة وناولها لها قائلًا: "ما المكتوب فوق هذه أيتها الشّابة؟"

قرأت البطاقة. "ديتروويت أفنيو بيزنس ماشينز. طابعات؛ مبيعات؛ خدمة؛ إصلاح. مغلق يوم الأحد؛ أي غدًا." وتابعت: "مواعيد العمل من التاسعة صباحًا إلى الرابعة عصرًا. أيام السبت من العاشرة صباحًا إلى الثالثة عصرًا، وساعتي وساعة حائطك تُشيران إلى الثانية عشرة وتسع عشرة دقيقة." ثمّ قلبت البطاقة ولم تجد شيئًا، فأردفت: "أين الخطأ؟"

قال العجوز: "اسم هذا المتجر. اقرئي اسم متجري."

"ديتروويت أفنيو بيزنس ماشينز."

فسارع يقول: "بلى. بيزنس ماشينز."

قالت: "بلى. لا بأس."

"أيتها الشّابة، أنا أعمل بالماكينات. لكن هذه؟" وأشار مرّة أخرى بيده إلى آلتها الكاتبة ذات الخمسة دولارات، وقال: "هذه دمية." ونطق الكلمة كأنّها مسبّة أو لعنة.

"هذه آلة مصنوعة من البلاستيك كي تبدو في هيئة آلة كاتبة حقيقيّة. لكنها ليست كذلك."

نزع غطاء ما أطلق عليه وصف دمية، وكان البلاستيك مقوّسًا فكشف عن مشهد الأجزاء الدّاخليّة. "قضبان الطباعة؛ العتلات؛ بكرتا شريط الطباعة. جميعها مصنوعة من البلاستيك. حتّى عاكس الشريط، والهزّاز."

وكانت تجهل وجود هزّاز داخل آلة كاتبة يدويّة.

دقّ فوق بعض المفاتيح، ونقر العتلات، وحرّك العربة إلى اليمين وإلى

الشمال، ولفّ الأسطوانة، وكبس مفتاح التراجع. كلّها كانت بحالة مُزرية. "الآلة الكاتبة أداة يُمكنها تغيير العالم إن كانت مع الشّخص المناسب. لكن هذه؟ هذه المُراد منها أن تحتل مساحة ما وأن تصنع ضجيجًا."

سألته: "هل تستطيع على الأقل أن تشحّمها قليلًا كي أستطيع أن أحاول تغيير العالم؟"

"أستطيع تنظيفها وتشحيمها وأن أُحكم ربط كل مسمار فيها، وأن أجعل الجرس يرن. سيكلّفك هذا ستين دولارًا تُعيد الحياة إلى هذه الآلة الكاتبة. لكن سأكون بذلك قد خدعتك؛ إذْ في غضون عام ستجدين أنّ مسطرة المسافات لا تزال ..."

"عالقة؟"

"الأفضل أن تعودي بها إلى منزلك وتضعين فيها زهورًا." وأعاد الآلة إلى داخل حقيبتها كأنّه يلفّ سمكة ميتة في صحيفة ورقيّة.

داخلها شعورٌ سيء؛ كأنّما أصابت أحد مدرسيها بالإحباط بسبب تكاسلها وتسليم مقال ضعيف البناء. تخيّلت أنّها لا تزال تواعد الأخرق، آنئذ ستجده يقف إلى جوارها متفقًا مع العجوز في كل ما يقوله، ويصيح: "قلت لك أنّها خُردة. خمس دولارات؟ ها هي قد تبخّرت!"

أشار الرّجل بذراعه صوب الآلات الكاتبة التي تصطف فوق الأرفف المُثبّتة في الحائط: "انظري هُنا. تلك آلات، وهي مصنوعة من الفولاذ على يد مهندسين. صُنعت بمصانع في أمريكا وألمانيا وسويسرا. هل تعرفين لِم تصطف فوق الأرفف الآن؟"

"لأنّها معروضة للبيع؟"

"بل لأنّها صُنعت كي تدوم للأبد!" في الحقيقة، كان العجوز يهتف بعبارته الأخيرة، فسمعت في صوته صياح أبيها. "من ترك هذه الدرّاجات فوق العُشب؟... لماذا لم تستعدوا بعد للذهاب إلى الكنيسة؟... أبوكم عاد ويحتاج إلى حضن!" وانتبهت إلى أنّها تبتسم للعجوز.

قال: "هذه الآلة..." واتجه إلى الأرفف، ثمّ أنزل آلة كاتبة من نوع ريمنجتون 7 سوداء؛ وهو نموذج أُطلق عليه الآلة الصامتة، ثمّ تابع: "أعطني هذا الكراس هناك." عثرت على دفتر ورق أبيض فوق الشبّاك فناولته له، فنزع ورقتين وأدخلهما في الآلة البراقة اللامعة، ثمّ قال: "أنصتي." وطبع عبارة:

ديترويت أفنيو بيزنس ماشينز

كانت الحروف تتراص الحرف تلو الآخر بصوت هامس.

استطرد العجوز: "كانت أمريكا تشهد رواجًا، وكان العمل يُنجز داخل مكاتب مزدحمة وشقق صغيرة وعلى متن القطارات. فظلّت ريمنجتون تبيع آلاتها الكاتبة سنوات عديدة، إلى أن قال أحد مهندسي الشركة: «هيّا نصنع آلة أصغر وأقل صخبًا. أخفضوا الضوضاء» وأخفضوها بالفعل! لكن هل استعملوا أجزاءً بلاستيكيّة؟ كلا! بل أعادوا تصميم قوة الشدّ وضغط المفاتيح، فصنعوا آلة كاتبة شديدة الهدوء يُمكن بيعها كآلة صامتة. ها هي. اكتبي."

وأدار الآلة أمامها، فبدأت تنقر مفاتيحها:

أخفضوا أصواتكم؛ فها أنا أكتب.

قالت: "لا أكاد أسمع صوتًا. أشعرُ بالدهشة." وأشارت إلى آلة مدهونة باللونين الأبيض والأزرق، مدوّرة البدن، وسألته: "لأي حدّ يبلغ هدوء هذه الآلة؟"

"آه. هذه رويال." أعاد الريمنجتون 7 السوداء وجذب ماكينة كتابة صغيرة بديعة قائلًا: "ماكينة محمولة لرحلات السفاري. عمل فنّي جدير بالاحترام." وأدخل ورقتين أخريين وأذن لها أن تدق فوق المفاتيح، ففكرت في كلمات تناسب آلة رحلات سفاري.

موجامبو.

شيطان بوانا.

"كانت لي مزرعة في أفريقيا..."(8)

كانت الآلة أعلى صوتًا من الآلة الصامتة، والمفاتيح في حاجة لبذل جهد أكبر. لكن كان ثمّة مزايا في الماكينة الرويال تفوقت على تصميم الريمنجتون؛ إذْ كان الرقم 1 مزوّد أيضًا بعلامة التعجّب التي كانت تُعدّ خانة سحريّة، وبلونين مُختلفين!

سألته: "هل هذه القطعة الملكيّة للبيع؟"

رمقها العجوز مبتسمًا وهزّ رأسه قائلًا: "بلى. لكن أخبريني، ما السبب؟"

"لماذا أريد آلة كاتبة؟"

"بل لماذا تريدين هذه الآلة الكاتبة؟"

"هل تحاول إقناعي ألا أشتريها؟"

"سأبيع لك أي آلة كاتبة تشائين أيتها الشّابة. سآخذ نقودك وألوّح لك مودِّعًا. لكن أخبريني، لماذا آلة الرويال السفاري هذه؟ هل بسبب لونها؟ أم بسبب شكل حروفها؟ أم بسبب مفاتيحها البيضاء؟"

اضطرت للتفكير في ردّ. من جديد داخلها شعور أنّها في المدرسة وعلى وشك خوض امتحان قد ترسب فيه؛ امتحان مفاجئ لم تستعد له.

---

(8) أسماء أفلام أنتجتها السينما الأمريكيّة في سنوات 1953 و1952 و1985 على التوالي. [المترجم]

قالت: "بسبب ذائقتي المتقلّبة. ولأنّي حملت تلك الآلة الدمية إلى منزلي وفي ذهني أنّي سأحبّ الطباعة على آلة كاتبة بدلًا من استخدام قلم حبر أو قلم رصاص، لكن الماكينة اللعينة عالقة وخمّن؟ متجر الآلات الكاتبة القريب مِنّي يرفض إصلاحها. أتخيّل نفسي أمام طاولتي الصغيرة داخل شقّتي الصغيرة، أكتب ملاحظات ورسائل. لديّ حاسوب محمول وطابعة ولوح ذكي وهذا أيضًا." ورفعت هاتفها الذّكي ثم تابعت: "أستخدم هذه الأشياء كما تستخدمها أي امرأة عصريّة لكن..."

توقّفت عن الكلام. كانت الآن تفكّر في دافعها لشراء آلة كاتبة بخمسة دولارات؛ آلة دون مسطرة مسافات جديرة بالثقة وبلا جرس، ولماذا تقف الآن داخل هذا المتجر تجادل تقريبًا رجلًا عجوزًا، رغم أنّها بالأمس فقط لم يكن لديها ما يربطها على الإطلاق بالآلات الكاتبة اليدويّة القديمة.

واصلت: "خطّي رديء، يُشبه خطّ فتاة صغيرة، لذلك يبدو كل ما أكتبه كأنّه ملصق تحفيزي فوق عيادة صحيّة. لست امرأة تكتب وهي ترتشف قدح قهوة أو خمر أو تدخّن سيجارة، بل كل ما أرغب به هو أن أسجّل الحقائق القليلة التي توصّلت إليها بخبرتي."

وعادت إلى شباك الخدمة وأمسكت حقيبة الآلة المصنوعة من الجلد الصناعي، ثم أخرجت الآلة البلاستيكيّة وحملتها إلى الأرفف وكادت تلقي بها إلى جوار آلة الرويال سفاري، مُشيرة إلى بطاقة لاصقة مُثبّتة في الأعلى.

"أتمنّى أن يقرأ أطفالي الّذين لا يزالون في عالم الغيب فِكر قلبي يومًا ما. سأريقها بنفسي فوق سطور الصفحات؛ وسأحتفظ بكل الأفكار

التي ترد إلى رأسي عفو الخاطر داخل صندوق أحذية إلى أن يكبر أطفالي ويستطيعون قراءة وتأمّل الظرف الإنساني!" وسمعت نفسها تهتف: "سأمرر الصفحات بينهم وأقول: «هذا ما كانت ماما تفعله وتُصدر بسببه كل هذه الجلبة أثناء الكتابة.» وأنا آسفة! لأني أصرخ!"
قال الرجل: "آه."
"لماذا أصرخ؟"
رمق العجوز المرأة الشّابة وقال: "لأنّك تريدين الخلود."
"أظنّ هذا!" وتوقّفت كي تلتقط أنفاسها، وتُفرغ رئتيها بتنهيدة عميقة قبل أن تستطرد: "بكم إذن آلة الغابات هذه؟"
خيّم الصمت على المتجر برهة، ورفع العجوز أصبعًا إلى شفتيه يُفكِّر في ردّ مناسب.
"هذه الآلة لا تناسبك." وحمل الآلة الرويال ذات اللونين، ثمّ أعادها فوق الرف المُثبّت في الحائط وتابع: "هذه الآلة صُنعت من أجل فتاة في سنتها الأولى بالجامعة؛ رأسها ممتلئ بالهراء وتحلم بالعثور على فارس أحلامها. كان المُراد منها إعداد تقارير عن الكُتب."
ثمّ جذب آلة متضامة بلون زبد البحر الأخضر؛ مفاتيحها أفتح درجة واحدة.
قال وهو يُدخل من جديد ورقتين في عربة الآلة: "هذه مصنوعة في سويسرا مع ساعات الحائط المُغرِّدة والشوكولاتة وساعات اليد الأنيقة، كان السويسريون ذات يوم يصنعون أفضل آلات كاتبة في العالم. وقد صنعوا هذه الآلة عام 1959؛ هيرمس 2000، ذروة إبداعهم في فن الآلات الكاتبة اليدوية التي لم يتفوّق عليهم فيها أحد. إذا قلنا أنّها مرسيدس-بنز الآلات الكاتبة فإنّنا بذلك نرفع من قدر

المرسيدس-بنز. جربيها من فضلك."

ساورتها رهبة بسبب الصندوق الميكانيكي الأخضر الماثل أمامها. تُرى، أي الكلمات تليق كتابتها على فخر الصناعة السويسريّة ذات الستين عامًا؟ وأين تقود سيارة بنز عتيقة؟

فوق جبال جنيف

يتساقط الثلج أبيض شفّافًا

ويأكل الأطفال الكاكاو الهشّ

من أطباق دون حليب.

قال: "هذا خطّ إيبوكا. انظري إلى قدر استقامته، كأنّه سطر مُحكم. هؤلاء هم السويسريون. هل ترين هذه الثقوب في موجِّه الورق على جانبي الهزّاز؟" إذن، فهذا هو الهزّاز.

"راقبي." والتقط العجوز قلمًا من جيب قميصه ووضع نقطة داخل أحد الثقوب، ثمّ أطلق العربة وطفق يحركها إلى الأمام وإلى الخلف، كي يرسم خطًّا أسفل ما كتبته.

<u>فوق جبال جنيف</u>

<u>يتساقط الثلج أبيض شفّافًا</u>

"في مستطاعك أن تستعملي أحبارًا مختلفة الألوان لرسم خطّ أسفل ما تكتبيه. هل ترين هذا المقبض هنا في الخلف؟" رأت مقبضًا في حجم قمع الخيّاط له حافّة مُسننة ناعمة. "أحكمي شدّه أو أرخيه لضبط حركة المفاتيح."

نفّذت ما قاله، فتيبّست المفاتيح جِدًّا تحت أناملها واضطرت إلى بذل جهد أكبر.

ساعات حائط مُغرّدة

"حين كانت هناك حاجة لاستخدام ورق كربون لعمل ثلاث أو أربع نُسخ من رسالة ما، كان إحكام شدّ المفاتيح يجعلها تكبس كافّة الصفحات." وكتم الضّحك قائلًا: "كان السويسريون يحتفظون بسجلات كثيرة."

أدارت المقبض في الاتجاه المُعاكس فصارت المفاتيح أخفّ.

ساعات حائط مرسيدس هيرمس 2000000

قالت: "تكاد لا تُصدر صوتًا هي الأخرى."

أجاب: "في الحقيقة، نعم." وبيّن لها مدى سهولة ضبط الهوامش من خلال كبس العتلتين على جانبي العربة. أمّا بالنسبة للجداول، فكانت تُضبط بالضغط على مفتاحا الجداول. "هذه الآلة؛ هيرمس، صُنعت في العام الّذي بلغت فيه العاشرة من عمري. آلة غير قابلة للتلف."

قالت: "مثلك."

ابتسم العجوز للمرأة الشّابّة وقال: "سيتعلّم أطفالك الكتابة عليها."

أحبّت الفكرة، فأردفت: "بكم ثمنها؟"

قال العجوز: "لا تقلقي. سأبيعها لك بشرط واحد، وهو أن تستخدميها."

فقالت: "حسنًا، ليس بالشرط الفظّ. بل طبيعي!"

"اجعلي الماكينة جزءًا من حياتك، من يومك. لا تستعمليها بضع مرّات ثمّ عندما تحتاجين متسعًا فوق الطاولة تُعيديها إلى حقيبتها، وتضعيها فوق رفّ في نهاية خزانة. إن فعلت، لن تستطيعي الكتابة عليها من جديد أبدًا." وفتح خِزانة أسفل ماكينات الجمع المعروضة، ثمّ بحث عن حقائب شاغرة. جذب ما بدا أنّه حقيبة مربّعة خضراء تُغلق بمشبك. "تُرى هل يُمكن أن تشتري مسجّلة دون أن تستمعي لأي تسجيلات؟ هكذا الآلات الكاتبة لابد أن تُستعمل. مثل قارب لابد

أن يُبحر، أو طائرة ينبغي أن تُحلّق. تُرى ما نفع بيانو لا تعزفين عليه؟ سيجمع الأتربة ولن تتردد موسيقى في حياتك."

ثمّ وضع الهيرمس 2000 داخل الحقيبة الخضراء، وأردف: "اتركي الآلة الكاتبة فوق طاولة حيث ترينها باستمرار، واحتفظي بدفتر ورق جاهز للاستعمال. استخدمي ورقتين كي تحمي الأسطوانة. اطلبي مغلفات وما تحتاجينه من أدوات مكتبيّة. سأعطيك واقيًا من الغبار؛ مجانًا، لكن انزعيه حين تعودي إلى المنزل، كي تغدو الآلة جاهزة للاستعمال."

"هل يعني ذلك أنّنا نناقش السعر الآن؟"

"أظن هذا."

"كم إذن؟"

غمغم العجوز: "آه، هذه الآلات لا تُقدّر بثمن. أخر آلة بعتها بثلاثمائة دولار. لكن للشابات؟ سأبيعها بخمسين."

"ما رأيك لو أدخلت آلتي الكاتبة في الصفقة؟" وأشارت إلى الآلة الدمية التي جاءت بها. كانت تُساوم.

رمقها العجوز بنظرة خبيثة، وقال: "وكم دفعت ثمنًا لها؟"

"خمسة دولارات."

"قبلت" وزمّ شفتيه ثم تابع: "خمسة وأربعون دولارًا. ستطلب زوجتي الطلاق إن عرفت أنّي عقدت مثل هذا الاتّفاق."

"لنجعله سِرًّا بيننا إذن."

ثمّة أمرٌ آخر يتعلّق بالآلة هيرمس 2000، وهو أنّها أثقل بكثير من الآلة الدمية؛ فلم تكفّ حقيبة الآلة الخضراء عن الارتطام بساقيها أثناء العودة إلى المنزل. وقد توقّفت مرّتين كي تضع الماكينة أرضًا لأنّها

كانت في حاجة لالتقاط الأنفاس ولأنّ كفيها غطّاهما العرق.
نفّذت تعليمات العجوز بدقّة في شقّتها، كما وعدت. هكذا وضعت الآلة الكاتبة الخضراء بلون زبد البحر فوق طاولة المطبخ الصغيرة ورصّت إلى جوارها كومة أوراق طباعة بيضاء. وأعدت لنفسها عشاءً يتألف من قطعتي خبز محمّص غطّتهما بالأفوكادو وشرائح الكمثرى. أدارت تطبيق آي تونز على هاتفها الّذي وضعته داخل قدح قهوة فارغ لتكبير الصوت، فانساب صوت جوني يردد أغانيها القديمة وصوت أديلي تردد أغانيها الأثيرة الجديدة وهي تتناول عشاءها على مهل. مسحت كفيها من فتات الخبز، وأخيرًا، أدخلت ورقتين في العربة وبدأت تكتب، يملؤها استحياء كبير من امتلاك أروع ما أنتجه الألب من آلات كاتبة.

مهام تنتظر التنفيذ:

شراء أدوات مكتبيّة: مغلفات وورق رسائل.

الكتابة لماما مرّة كل أسبوع؟

شراء البقالة: زبادي وعسل. نصف رطل من كل نوع.

عصائر متعددة.

مكسرات (متنوعة)

زيت زيتون (يوناني)

طماطم وبصل وبصل أخضر. وخيارا!

مُشغّل أغاني رخيص من نوع هايفاي. من الكنيسة الميثوديّة؟

حصيرة يوجا.

إزالة الشّعر الزائد.

تحديد موعد مع طبيب الأسنان.
دروس بيانو (ما المانع؟)

صاحت بصوتٍ عالٍ؛ بمفردها داخل الشقّة: "لا بأس. كتبت أشياءً."
ابتعدت عن الطاولة، وعن الآلة هيرمس الخضراء، ثمّ نزعت القائمة التي تنتظر التنفيذ من الماكينة وثبتتها فوق باب المُبرّد بمغناطيس.
أخرجت قوالب المثلجات من المُجمّد ووضعتها تحت ماء ساخن في حوض المطبخ. ذاب الثلج عن قالب أناناس، فأعادت قوالب التابروير إلى المُجمّد كي يبقى مثلّجًا حين تغدو جاهزة للمزيد.
فتحت نوافذ غرفة المعيشة طلبًا بعض النسائم. كانت الشّمس قد غربت، وبدأت اليراعات الأولى تتوهّج بقدر ضئيل. جلست أمام النافذة واستمتعت بالهواء البارد، وطوّقت الأناناس بلسانها وراقبت السناجب تركض بمحاذاة أسلاك الهاتف في مسارات متعرِّجة مُحكمة صنعتها بأجسادها وذيولها. تناولت قالب المثلجات الثاني في مكانها هذا، إلى أن بدأت اليراعات في الطفو على نحو ساحر فوق العشب والرصيف.
غسلت كفيها في المطبخ وأعادت التابروير إلى المُجمّد. تبقّت لها ست قوالب للغد. وألقت نظرة على الآلة فوق الطاولة.
خطرت لها فكرة. تُرى، لِماذا تحتسي النساء العاديات العازبات الخمر بمفردهن بعد فسخ علاقة، في شقّة خالية إلى أن يفقدن الوعي فوق أريكة وهن يُشاهدن؛ وكانت تجهل السبب، مسلسل «ريال هاوسوايفز» على التلفزيون؟ لم يكن لديها تلفزيون، وكانت رذيلتها الوحيدة المتبقية هي المثلجات، كما لم تفقد وعيها قط بسبب الخمر

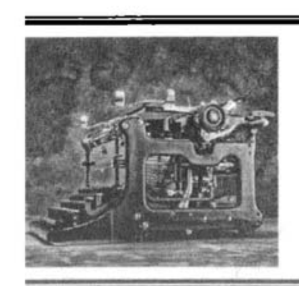
طوال حياتها.

عادت تجلس أمام الطاولة وأدخلت ورقتين أخريين في الآلة هيرمس 2000، وضيّقت الهوامش كأنّها عمود في صحيفة، وجعلت المسافات بين الأسطر واحد ونصف.

كتبت

فِكر قلبي

ثمّ أعادت العربة وبدأت في كتابة فقرة، وطفق صدى الكتابة الهامس يتردد هادئًا في أرجاء الشقّة وخارج نافذتها المفتوحة حتّى وقت متأخر بعد منتصف الليل.



بلدتنا اليوم مع هانك فيست

العودة من الرجوع إلى الماضي

يصرف لي المستبدون (هل قلت «المستبدون»؟ أقصد «الجبابرة») الّذين ينشرون صُحف التريسيتيز نيوز/هيرالد، مقابلًا بين الحين والآخر لاصطحاب زوجتي في رحلات تمزج العمل بالمتعة؛ وهي إجازات مدفوعة إلى أشباه روما (أوهايو) وباريس (إلينوي) ومجمّع العائلة السكني (عائلتها) على ضفاف بحيرة نيكسون، أقوم خلالها برحلات قصيرة أعود منها بألف كلمة تقريبًا من الكتابة الصحفيّة رفيعة الجودة، أو هكذا يقول لي زملائي.

انطلقت الأسبوع الماضي في مغامرة مدفوعة الأجر تدوّخ الرأس؛ إذْ عُدت إلى الماضي! لا إلى عصر الديناصورات، ولا كي أشهد سقوط القياصرة أو كي أساعد قبطان السفينة تيتانيك على التفكير بمنطق، بل انزلقت إلى ماضيّ الخاص؛ وعيّ الذاتي الضبابي، على متن آلة بسيطة وساحرة في الوقت نفسه...

* * *

مُغامرة أبناء البراءة: كنتُ أخطط كي أكتب لكم أيّها القراء عمودًا عن أعمال الاجتماع الأسبوعي الخاطف بسينما

سيارات إمباير القديمة في سانتا ألاميدا؛ وهي سوق واسع للسلع المستعملة تبلغ الآن عامها التّاسع والثلاثين وتمتلئ بخردة تُحرّك الحنين إلى الماضي، فضلًا عن السلع الصلبة المستعملة كأواني الطبخ القديمة؛ والثياب القديمة؛ والكُتب القديمة؛ وملايين التحف الفنيّة الجذّابة والرخيصة في آن؛ واكوام عُدد مستعملة وأرفف كثيرة من العدد الجديدة؛ دمى ومصابيح ومقاعد غريبة ومعرض يضم مئات النظارات الجديدة التي لم يلمسها أحد، جميعها تدر دخلًا حيثُ كانت السيارات تقف ذات اليوم كي يُشاهد مُرتادو السينما فيلم كراكاتو: شرق جاوة، مثلًا، على شاشة عريضة واسعة، ويسمعون صوت الفيلم من مكبرات صوت في حجم محمصة الخبز مشبوكة في نافذة السيارة. كانت أفلامًا بصوت أحادي...

* * *

تخيّل أوسع فناء لبيع السلع المستعملة في عالم الغربي ممتزجًا بموسم التصفيات والتخفيضات الكُبرى بكل فروع متجر سيرز في البلاد، آنئذ تُصبح لديك فكرة عن حيّز «السواب» كما يُطلق عليه النّاس هُنا. تستطيع أن تتجوّل طوال النهار بين صفوف الأكشاك المبنيّة فوق التلال الصغيرة بين مواقع مكبرات الصوت، فيما تقضم شطيرة سجق بالفلفل الحار أو تتسلى بالقُشار، تملؤك الرغبة في شراء كل ما تقع عليه عيناك، ولا يمنعك من ذلك إلا حدود المبلغ داخل جيبك ومساحة الشّحن داخل سيارتك. لو أردت، كنت دفعت أقل من مائتي دولار مقابل طاولة من خشب الصنوبر الأحمر؛ أو مبرّد ومُجمّد من نوع أمانا يعود لستينيات القرن الماضي؛ أو مقاعد أماميّة وخلفيّة مُنتزعة من سيارة ميركوري مونتيجو، لكن لحسن الحظّ، لديّ تلك الأشياء في منزلي بالفعل!

* * *

كنتُ على وشك الانسحاب إلى مطعم وجبات خفيفة لتناول مثلجات عصير الليمون حين أبصرت آلة كاتبة قديمة محمولة من شركة أندروود مصنوعة

من خشب الأبنوس كانت؛ لست أمزح صدقًا، تبرق في نور الشّمس كسيارة سبرنجستين[9] الكلاسيكيّة. كشف الفحص السريع أنّ شريط الطباعة كان سليمًا ما أن تُقدّم البكرة بضع بوصات، وأنّ الحقيبة ذات المقبض المكسور تضم مؤونة معقولة من ورق قشرة البصل[10] القابل للمسح. كانت الحاجة إلى آلة كاتبة هذه الأيام تُشبه الحاجة إلى فأس لقطع الأخشاب، ورغم ذلك عرضت على الفتى صاحب الكُشك: "أربعون دولارًا مقابل هذه الآلة الكاتبة القديمة ذات الحقيبة المكسورة." فقال: "لا بأس." تُرى هل كان ينبغي أن أعرض عشرين دولارًا. أو خمسة دولارات.

* * *

حين عدت إلى المنزل وضعت الماكينة فوق طاولة المطبخ وأجريت اختبار "وثب الثّعلب البُني فوق الكلاب الكسولة". كان حرف الدّال يعلق أحيانًا، وحرف الألف ساقط قليلًا، أمّا الحروف فجميعها تعمل، وصارت مفاتيح علامات الترقيم أيسر حركة مع بعض الدقّات المتكررة. كتبت عبارات: اشتريت هذه الآلة الكاتبة اليوم؛ وماذا تعرف، والأمور بخير.. إلى أنّ رنّ الجرس عند نهاية السّطر واضحًا ونقيًّا؛ هكذا سبحت داخل متصل الزمكان من أجل رحلة رجوع إلى الماضي إمّا أنّها لم تدم إلا كلمح البصر، أو عشت خلالها كل لحظة من لحظات السنوات التسع والأربعين الأخيرة...

* * *

صوت الجرس! كانت أول محطّة هي الغرفة الخلفيّة في متجر أبي لقطع غيار السيارات القديمة، والّذي تحوّل الآن إلى المنطقة رقم 9 في ساحة انتظار السيارات في شارع وبستر وألكورن. كانت لديه هناك آلة كاتبة قديمة

(9) بروس سبرنجستين هو مطرب ومُلحّن وكاتب أغاني أمريكي شهير وُلد عام 1949. [المترجم]

(10) ورق خفيف الوزن يُشبه قشرة البصلة في رقّته ومتانته، يُصنع عادة من الخرق أو لب كبريتيت. [الموسوعة العربيّة لمصطلحات علوم المكتبات والمعلومات والحاسبات.]

ضخمة، رغم أنّي لم أره يستعملها قطّ. كنتُ أدق اسمي فوق مفاتيحها بأصابعي الصغيرة أيام نهاية الأسبوع، وحين بلغت سنوات المراهقة صرت أتحاشى المتجر قدر استطاعتي لأنّ أبي كان سيكلّفني بالجرد أثناء ما بقي من النهار؛ إن رآني...

* * *

صوت جرس! أنا في الصفّ الثامن، وأقوم بتحرير شعار مدرسة الفريك الإعداديّة (هيّا أيها النمور!) وأراقب السيدة كاي مُعلِّمة الصحافة تطبع عمودي "مرحبًا بالقفازات المعقّمة!" على ماكينة الرونيو ضمن ثلاثمائة وخمسين نسخة من صحيفة المدرسة التي يقرأها أربعون طالبًا على الأقل. كان الزهو يملؤني وأنا أرى اسمي للمرّة الأولى في صحيفة منشورة...

* * *

صوت جرس! أنا الآن في المدرسة الثانوية؛ الحرم القديم بمدرسة لوجان هاي، بالطابق العلوي في مبنى لم يكن مؤمّنا ضد الزلازل (ورغم ذلك لم أهتزّ) داخل قاعة مُخصصة لشيء واحد فقط وهو تعليم الكتابة على الآلة الكاتبة؛ المستويات الأول والثاني والثالث، للطلاب الرّاغبين في أن يصيروا موظفين مُحترفين. لا شيء سوى مكاتب وآلات كاتبة غير قابلة للتلف يُشرف عليها مُعلِّم لا مبال بمسؤولياته/ مسؤولياتها؛ لحدّ أنّي لا أتذكّر أني رأيته/ رأيتها مرّة. شخصٌ ما كان يُشغِّل أسطوانة في الفونوغراف فنكتب الرسالة التي تُتلى علينا، لكن فصلًا دراسيًّا واحدًا من مادّة الكتابة على الآلة المستوى الأول كان كافيًا كي أتطوّع بالطاقم السمعي البصري. وهكذا، بدلًا من البقاء داخل حجرة دراسيّة، كنتُ أطوف بين قاعات مدرسة لوجان وأنقل أجهزة العرض السينمائي وأقوم بتشغيل الأفلام للمعلمين الّذين يجهلون الطريقة. لذلك لم أتعلّم الكثير من أشكال الرسائل الرسميّة وطريقة التحيّة اللعينة. كنتُ سأغدو سكرتيرًا قذرًا، ومع ذلك، لا أزال أكتب منذ ذلك الحين...

* * *

صوت الجرس/ الثانية صباحًا داخل غرفتي في كلية واردل بيرس، وها أنا أعمل بسرعة كي أنهي ورقة (مطلوبة بعد ثماني ساعات) لصفّ البلاغة، وبلى، كان مثل هذا الموضوع موجودًا. كانت الورقة تحمل عنوان «نقد مُقارن بين التقارير الرياضيّة: البسيبول وسباقات المضمار»، اخترت العنوان لأنّي كنت مراسلًا رياضيًا لصحيفة الواردل بيرس بيونير، وقد غطّيت ذلك الأسبوع إحدى المباريات الكروية وسباق مضمار. كان زميلي في الغرفة؛ دون جاملجارد، يحاول النوم، لكن موعد التسليم النهائي كان يقترب بسرعة؛ ولأنّها كانت تُمطر فلم يكن ثمّة مفر من المشي عبر ساحة الكليّة إلى مبني خدمات الطلاب. وكما أتذكّر، فقد حصلت على المركز الأول في البلاغة[1].

* * *

صوت الجرس/ أجلس أمام منضدة مزعومة داخل مكتب مزعوم تابع للجرينشيت جيفأواي؛ وهو دليل المستهلكين المجّاني الّذي زوّد صحيفة التريسيتيز بعشرات القسائم والإعلانات والأخبار المحليّة حيثُ يستطيع أهل المُدن الثلاث رؤية أسمائهم مطبوعة على الصفحات الأخيرة. كنت أكتب تقريرًا عن استعراض للكلاب أقيم بصالة سيفيك القديمة؛ وكان أجري خمسة عشر دولارًا، عندما مرّت بي أجمل امرأة استهلّت حديثًا معي وقالت: "أنت تكتب بسرعة." وكانت على حقّ؛ ولأنّي كنت سريعًا في الكتابة فقد توددت إليها وتزوجتها وأصبحت مُعانقها الرئيس لأكثر من أربعين عامًا.

* * *

نفس الأنثى الأمريكيّة هي من أعادتني من رحلتي إلى الماضي في الوقت المناسب حين دخلت المطبخ وقالت لي أن أنقل تلك الآلة الكاتبة وأجهّز الطاولة للعشاء. كان الأحفاد يجيئون الواحد تلو الآخر وكُنّا على وشك أن نشهد ليلة اصنع شطيرتك التاكو بنفسك، أي أنّ ثمّة فوضى في الطريق. بماكينة الأندروود قوى لا تفسير لها كأنّها عربة

لأحلامي؛ لذلك أعدتها إلى حقيبتها وحملتها إلى رفّ داخل حجرة مكتبي في المنزل، على عجل. أتخيلها في الليل تبرق في الظلام...

(1) حاشية: تكشف مراجعة للسجلات الدراسيّة أنّي حصلت على باء سالب في صفّ البلاغة بكليّة واردل بيرس. كان الخطأ...


underwood

الماضي مُهمّ بالنسبة لنا

انضم ج.ج. كوكس إلى بيرت ألنبري على متن طائرة الأخير الوسبرجيت فيولاينر في رحلة إلى نيويورك؛ لأنّ كوكس كان يُجدد التصميم الدّاخلي لطائرته.

صاح ج.ج. كوكس في صديقه: "كنت أظنّ أنّك رجلٌ ذكي يا بيرت!" كانا يعرفان بعضهما البعض منذُ كانا طالبين في الجامعة يبلغان من العمر عشرين عامًا، ويعملان سائقين في شركة فيدكس يملأهما التصميم والنشاط، وتطفح رأساهما بالأفكار. هكذا ادّخرا رواتبهما كي يستأجرا مرأبًا بلا نوافذ في ضواحي سالينا بكانساس، أصبح ورشة ومسكنًا في آن. وبعد ثلاثة أعوام ونصف العام من العمل مائة وعشرين ساعة أسبوعيًا، توصّلا لنموذج مبدئي من المرحّل الصّمامي الرقمي. ربّما اخترعا النّار أيضًا. لكن بعد ثلاثين عامًا كونا خلالها

ثروة تُقدّر بسبعمائة وستة وخمسين بليون دولار، عرف كوكس الآن فحسب أنّ بيرت دفع ستة ملايين دولار في المرّة الواحدة مقابل جهاز يُسمّى كرونوميتريك أدفنشرز لأجل؛ انتبه، إجازات السفر عبر الزّمن.
لا، وألف لا!

كانت سيندي؛ رابع وأصغر زوجات ألنبري، تنظّف أطباق الغداء الخزفيّة بنفسها. كانت متمرّسة في هذا العمل الروتيني إذْ عملت مضيفة طيران على متن الطائرة منذ عامٍ مضى فحسب. وكانت مضطرة للانتهاء من التنظيف بسرعة لأنّ دقائق قليلة هي ما كانت تفصلهم عن الهبوط. ثمّة مشكلتان تتعلقان بطائرة الفيولاينز: السرعة والدوّار؛ ذلك أنّ الرحلات من سالينا إلى نيويورك كانت تستغرق أربعًا وستين دقيقة فحسب، وهي فترة قصيرة تكفي بالكاد كي تلعق أصابعك بعد تناول ضلوع مشوية. في حين أسفرت الأرضيّة الشفّافة والنوافذ شديدة الاتساع عن حثّ المزيد من المخاوف، لا سيّما بالنسبة لمن يخشون المرتفعات.

هتفت سيندي من مطبخ الطائرة: "تصوّرت أنّهم أعطونا مُخدّرًا ما؛ إذْ تصحو مُصابًا بصداع فظيع وتبدو الغرفة شديدة الاختلاف. بعدئذ تُصاب بالإغماء وتنام ساعات."

عجز ج.ج. كوكس عن تصديق ما يسمعه. "هيّا نكتشف سرّ هذا الغشّ. دخلتما غرفة ونمتما ثم صحوتما متى؟"

غرّد بيرد: "عام ألف وتسعمائة وتسعة وثلاثين."

رسم ج.ج. ابتسامة مصطنعة وهتف: "طبعًا، لكن آنئذ يُغمى عليك وتصحو مرّة أخرى عام 1939."

"هناك في تلك المدينة، داخل فندق بالجادّة الثامنة." وكان بيرت

يُخفض رأسه ويراقب تحوّل بنسلفانيا إلى نيوجيرسي في الأسفل عبر جسم الطائرة. "حجرة رقم 1114."

"وهل مكثت طوال اليوم داخل غرفة في فندق؟" سيطرت على ج.ج. رغبة قوية في صفع رأسه، وكذلك إقناع صديقه وشريكه بالكفّ عن هذا الهراء.

تابعت سيندي أثناء رجوعها إلى مقعدها وربط حزام الأمان استعدادًا للهبوط: "كل شيء يبدو حقيقيًا؛ حيثُ تستطيع أن تلمس الأشياء، وأن تأكل وأن تشرب وأن تشم الروائح. يضع الرجال زيوت شعر مقززة وتبالغ النساء في استعمال مستحضرات التجميل، وكلهم يدخنون. أمّا أسنانهم! فمعوجة ومبقّعة."

كان بيرت يبتسم حين قال: "رائحة البن المحمّص تنتشر في الهواء قادمة من مصنع في نيوجيرسي."

قال ج.ج.: "صحوتما عام 1939، وشممتما رائحة القهوة."

"بعدئذ اصطحبتني سيندي إلى المعرض الدولي من أجل عيد ميلادي، وحصلنا على تذكرتين مميّزتين."

أرسلت سيندي ابتسامة لزوجها واحتضنت كفيه بين كفّيها قائلة: "كانت مفاجأة لك؛ إذْ لا يبلغ المرء عُمر الستين إلا مرّة واحدة."

تفتّق رأس ج.ج. عن سؤال فقال: "لِم لَم تسافرا في الزمن كي تشهدا توقيع إعلان الاستقلال أو تريا المسيح مُعلّقًا فوق الصليب؟"

قال بيرت مُفسّرًا: "لا يُمكن السفر إلا إلى عام 1939. تحديدًا الثامن من يونيو 1939. لدى جهاز الكرونوميتريك أدفنشرز امتياز في كليفلاند. تستطيع أيضًا أن تسافر إلى عام 1927 وترى بيب روث يُسجّل رقمًا قياسيًا جديدًا. لكنّي لست مُغرمًا بكرة القاعدة."

كاد ج.ج. يبصق قائلًا: "بيب روث في كليفلاند، ربّاه!"
قالت سيندي: "لقد سافر عبر الزمن أربع مرّات من دوني؛ إذْ نلت كفايتي من تصوّر المُحيطين أنّنا أب مع ابنته."
ابتسم بيرت بسبب الفكرة وهتف: "سأعود غدًا مرّة أخرى."
كان ج.ج. يضحك الآن، وصاح: "ستة وثلاثون مليون دولار يا بيرت! أستطيع أن أرتّب لكما لقاء مع أدم وحواء لا يسترهما إلا ورقة توت في جنّة عدن، مقابل نصف هذا المبلغ. كل ما عليكما هو أن تثقا بي."
قالت سيندي: "يودّ زوجي لو عاش هناك عام 1939، لكن ليس مسموحًا بالبقاء أكثر من اثنتين وعشرين ساعة."
فتساءل ج.ج.: "ولماذا اثنتان وعشرون ساعة فقط؟"
فشرح بيرت له السبب: "الطول الموجي في متصل الزمكان محدود، لذلك لا تستطيع السفر إلا لمدة قصيرة."
وقالت سيندي: "يعطونك هذه النقود المصنوعة من الورق والعملات المعدنية عتيقة الطراز. وقد اشتريت مُجسّم الكرة الأرضيّة وإبرة الفضاء المطلي بالذهب."
صحح بيرت لها قائلًا: "التريلون والبيرسفير[11]."
"صحيح. بلى، لكن حين صحونا كان المُجسّم قد صار مِلاطًا جافًّا."
"هذا هو التفرّد الجزيئي." لم يكن بيرت يربط حزام الأمان قبل الهبوط؛ ذلك أنّه كان صاحب الطائرة. تبًّا لإدارة الطيران الفيدراليّة.
أراد ج.ج. أن يعرف: "لِم لا نعود إلى الماضي ونغيّر التاريخ؟ لِم لا تقتل هتلر؟"
"لأنّ هتلر لم يحضر المعرض الدولي ذلك اليوم." بدأت الطائرة في

---

(11) هيكلان تذكاريان صممهما المهندسان الأمريكي والاس هاريسون، والفرنسي جاك فويلهو ليصبحا رمزي معرض نيويورك الدولي عام 1939. [المترجم]

الإبطاء، وارتفعت الأرض كي تستقبلهم. كانت المُحركات النفاثة تميل بدقّة كي تُتيح هبوطًا عموديًا فوق سقف المبنى رقم 909 بالجادّة التاسعة، حين أردف بيرد: "فضلًا عن عدم أهميّة الأمر."

"لماذا غير هام؟"

أجاب بيرت أثناء تحديقه في السنترال بارك الّذي لم يتبدّل كثيرًا منذُ العام 1939: "بسبب المماسات المجسّمة الفريدة؛ إذْ يوجد عدد لا نهائي من المماسات، لكننا نتواجد جميعًا داخل مماس واحد."

رمق ج.ج. سيندي فهزّت كتفيها؛ تُرى ما حيلتها مع الرجل العجوز؟

قالت: "يُحبّ أن يرى كيف سيكون شكل المستقبل، لكننا نعيش في المستقبل، وربّما تظنّ أنّ ذلك قد يُفسد كل شيء. "

بعد اثنتي عشرة دقيقة، كان ج.ج. يكاد يطير داخل عوامته متجّهًا إلى جزيرته الخاصّة بسرعة الصوت، واستقل بيرت وسيندي مصعدهما الخاص من مهبط الطائرات فوق السقف ونزلا به إلى شقتهما التي تحتل الطوابق من 97 إلى 102. وأبدلت سيندي ثيابها على الفور؛ إذْ كانا مدعوين لحضور حفل عيد ميلاد كيك أدلر جونسون الخامس والعشرين، واستعراض مُجسّم خاص لفريق الرولينج ستونز. لا يُطيق بيرت كيك أدلر جونسون رغم احترامه لزوجها نيك، الّذي كوّن ثروته من شراء حقوق الهواء والماء حول العالم. أمّا فريق الستونز الحقيقي فقد أحيا حفل الشركة عشية رأس السنة عام 2019، حين كان يتزوّج لودري؛ زوجته الثالثة. كان يودّ البقاء في المنزل، لكن سيندي لم تكن لتسمح بهذا.

تمنّى بيرت لو استطاع القفز عبر الزمن آنذاك؛ في اتجاه الصباح

التالي، ثمّ العودة إلى عام 1939، حيثُ المعرض الّذي امتلأ ببشائر العالم المُنتظر الجمّة.

ساور سيندي شعور بالسخف بسبب ثيابها عتيقة الطراز خلال زيارة عيد الميلاد الأولى هذه. أمّا بيرت فكان يُحلّق في الفردوس في حُلة محبوكة بصفيّ أزرار صنعها خياطو الكرونوميتريك أدفنشرز. أصابته كل التفاصيل الدقيقة، وكل ثانية بالساعات الاثنتين والعشرين التي أمضاها في عام 1939، بالدهشة. لكم بدت مدينة نيويورك صغيرة! إذْ لم تكن المباني شاهقة الارتفاع على الإطلاق، لذلك كانت السماء أكثر رحابة، وبالأرصفة متسع للجميع، أمّا المركبات وسيارات الأجرة فكانت ضخمة وفسيحة، حيثُ كان السائقون يرتدون ربطات عنق ويتذمرون من الزحام خارج الفلاشنج مادوز، لكن بيرت كان مستعدًّا لتحمّل مثل هذا الاختناق المروري.

أبرز المعرض الدولي العمود الثلاثي الشّاهق: تريلون، والكرة العملاقة المسماة بيرسفير، وكلاهما عجيبة من عجائب فنّ العمارة دُهنت باللون الأبيض الّذي تألق في مواجهة السماء الزرقاء المفتوحة. كان المقصود أن تؤخذ طُرق الوطنيين والروّاد على محمل الجدّ و؛ انتبه لما سيأتي، خُصصت محاكم للسكك الحديد والسفن، احتفاءً بتقانات استدعت وجود مُحركات في حجم طائرته الويسبرجيت. كان ثمّة آلة كاتبة أندروود عملاقة؛ واستعراض أكواساد[12]؛ وإلكترو الرّجل الآلي الّذي مشى وعدّ أرقامًا على أصابعه الفولاذيّة! وقد وفّر لهما الكرونوميتريك أدفنشرز تذكرتين مميزتين لم يضطر معهما بيرت

---

(12) استعراض ضخم أنتجه بيلي روز يضم فقرات موسيقيّة ورقص وعروض سباحة، بدأ عام 1937 وسجّل نجاحًا باهرًا أثناء معرض نيويورك الدولي عام 1939. [المترجم]

وسيندي إلى الوقوف في الطابور.

كانت أرضية المعرض نظيفة، وحرّك نسيم خفيف الرايات والأعلام. كان ثمن شطيرة السجق خمس سنتات، وكان رواد المعرض في أبهى ثيابهم، وارتدت بعض النساء قفازات، ووضع أغلب الرجال قبعات فوق رؤوسهم. أراد بيرت أن يرى عالم الغدّ كاملًا، لكن سيندي لم تكن مرتاحة في حذائها القبيح ولم تقبل بتناول السجق. لذلك غادرا حوالي الثالثة عصرًا، واتجها إلى فندق أستور في ميدان التايمز لتناول العشاء والنبيذ. كانت سيندي ثملة ومنهكة ويكسوها الشحوب بسبب دخّان السجائر، عندما عادا إلى الغرفة رقم 1114 لمتابعة تقدّم الرحلة عبر الزّمن.

بعد أسبوعين، عبأت سيندي الطائرة بصديقاتها وحلّقت في اتجاه منتجع ما في المغرب، وأفسحت لبيرت متسعًا لاثنتين وعشرين ساعة أخرى يقضيها في العام 1939. طلب قهوة الصباحيّة لنفسه فقط من بيرسي؛ موظفّ خدمة الغُرف، وتناول فطوره وحيدًا في مقهى فندق أستور؛ المكان الرائع الملاصق لميدان التايمز، وزودوه بنفس السائق ذي ربطة العنق. زار بمفرده كل الأماكن التي فاتته من المعرض؛ مثل مدينة المستقبل والمزرعة المكهربة. تناول الغداء داخل قبة هاينز، وتفقّد معبد الدّين واحتفل بجنّة العمّال التي كانت اتحاد الجمهوريات الاشتراكيّة السوفيتيّة. أنصت للأحاديث من حوله، وتأمّل حماس رواد المعرض، ولاحظ غياب العبارات غير المهذّبة وألوان الثياب البرّاقة؛ إذْ لن ترى ثيابًا سوداء بالكامل. وبدا أنّ موظفي المعرض فخورون بالعمل بثيابهم الرسميّة المتنوّعة. وحقًّا، أغلب الحاضرين كانوا من المدخنين.

في هذه الزيارة الثانية؛ التي غابت عنها سيندي، رأى بيرت امرأة

جميلة أنيقة ترتدي ثوبًا أخضر. كانت تجلس فوق أريكة إلى جوار بحيرة الأمم في حضرة النصب التذكاري الهائل للحريات الأربع. كان جزء من ساقها مكشوفًا فوق حذاء بُنّي بطوق، وكانت تحمل حقيبة يدّ صغيرة وتلبس قبّعة مُزيّنة بوردة بيضاء؛ كانت قلنسوة أكثر منها قبّعة. انهمكت في حديث مفعم بالحيويّة مع بنت شابّة تلبس ثيابًا تناسب مدارس الأحد لا قضاء يوم في المعرض.

كانتا تضحكان، وتتكلمان بأيديهما، وكل منهما تهمس للأخرى بأسرارها كصديقتين حميمتين تعيشان أجمل أيامهما في أجمل الأماكن؛ كانتا روح المعرض ممثلة في امرأتين.

عجز بيرت عن رفع عينيه عنهما، وراقبهما وهما تغادران الأريكة وتقصدان مبنى الإيستمان كوداك كل منهما تتأبط ذراع الأخرى. فكّر أن يتبعهما كي يرى المعرض بعيونهما، لكن ساعته كانت تُشير إلى اقتراب الخامسة عصرًا، أي أنّ ما تبقّى من الاثنتين وعشرين ساعة يزيد قليلًا على الساعتين. هكذا عاد على مضض إلى السيارة الأجرة التي تنتظره أمام المدخل الشمالي لبوابة كورونا.

أعاده سائق آخر يلبس ربطة عنق إلى مانهاتن.

سأله السائق: "أليس المعرض الدولي عظيمًا؟"

فأجاب بيرت: "بلى."

"هل رأيت معرض الفيوتشراما؟ الرّحلة إلى عام 1960 ؟"

"كلا." كان بيرت قد وُلِد عام 1966، فضحك في سرّه.

استطرد السّائق: "آه، ينبغي أن ترى الفيوتشراما؛ يوجد داخل مبنى شركة جنرال موتورز. طابور طويل، لكنّه يستحق."

تساءل بيرت إن كانت المرأة الجميلة ذات الثوب الأخضر قد تفرّجت

على الفيوتشراما، وفي حال تفرّجت، تُرى ماذا دار في رأسها من أفكار حول عام 1960.

برغم تعرّض الجسد البشري لخفقان مُريع بسبب السفر عبر الزّمن ذهابًا وإيابًا، أعطى الفريق الطبّي بالكرونوميتريك أدفنشرز الإذن لبيرت من أجل رحلة ثالثة. كان المعرض الدولي شديد الاتّساع بحيث تستحيل الفُرجة على كل أركانه خلال زيارتين فقط، هكذا قال لسيندي، وكان مُحقًّا. لكن ما لم يقله لها أنّه عند عودته إلى الفلاشنج مادوز عام 1939، ظلّ طوال اليوم يبحث عن المرأة ذات الثوب الأخضر.

لم يكن لها أثر في المباني المُخصصة لعرض أعمال شركات الصلب الأمريكيّة ووستنجهاوس أو جنرال إليكتريك الإنسانيّة الكُبرى. ولم تكن موجودة في ساحة النّور ولا في طريق العُمّال أو محكمة السلام أو شارع كونتننتال. لم يجدها في كل الأماكن التي بحث عنها فيها؛ لذلك قبل أن تبلغ السّاعة الخامسة عصرًا بدقائق قليلة، اتّجه إلى بحيرة الأمم، ومن غير ريب، عثر على المرأة ذات الثوب الأخضر هُناك برفقة صديقتها دقيقة الحجم، تجلسان فوق نفس الأريكة أسفل نصب الحريات الأربع.

جلس فوق أريكة على مسافة قريبة كي يسمعهما تقارنان ما لاحظتاه من عجائب المعرض، وكانت لكنتهما المحليّة تحوّل كلمة نيويورك إلى نويوك. كانتا عاجزتين ببساطة عن تحديد وجهتما التالية قبل أن يحلّ المساء وتبدأ نوافير الضوء في الاستعداد لاستعراض تقني مُبهج عجيب.

حاول بيرت أن يستجمع شجاعته ويتحدّث إليهما، بيد أنّهما قاما وهرعا إلى الإيستمان كوداك كل منهما تتأبط ذراع الأخرى وتثرثران وتضحكان. راقبهما تبتعدان يغمره إعجاب بمشية المرأة ذات الثوب الأخضر الرقيقة، وشعرها يتمايل فوق عنقها. فكّر في تعقبهما، لكنّ الوقت كان قد تأخّر وكان عليه العودة إلى الغرفة رقم 1114.

ظل بيرت طوال أسابيع؛ كل دقيقة منها، يفكّر في المرأة ذات الثوب الأخضر. طريقة حديثها وحركة يديها وشعرها المتمايل. أراد أن يعرف اسمها أو يتعرّف عليها ولو لساعة إضافيّة عام 1939. لذلك حين أعلنت سيندي أنّها ستنضم إلى كيك أدلر جونسون كي تركبا الخيل في كوبا، حجز فحصًا آخر لدى فريق الكرونوميتريك أدفنشرز الطبّي.

جلس فوق الأريكة المجاورة لبحيرة الأمم عند الخامسة إلا الرّبع مساءً، وبلى، كانت المرأة ذات الثوب الأخضر تجلس مع صديقتها الشّابة وتشرعان في الحديث في الموعد المُحدد. خمّن بيرت أنّها ربّما كانت في منتصف الثلاثينيات، رغم أنّ موضات تلك الأيام كانت تجعل الجميع يبدو أكبر سِنًّا بمعايير أيامنا هذه. كانت أثقل وزنًا من سيندي، ومن أغلب نساء وقتنا الحاضر؛ ذلك أنّ حمية عام 1939 لم تكن تعي مسألة عدد السعرات الحراريّة، علاوة على أنّ التمارين كانت قاصرة آنذاك على اللاعبين الرياضيين والعُمّال. كانت المرأة ذات قوام مثالي منحوت.

كان قد خطط لما سيقوله في هذا الحديث الأول مع امرأة أراد لقائها طوال ما يزيد على الثمانية عقود. قال: "عفوًا؛ هل تعرفين يا سيدتي إن كان معرض الفيوتشراما مفتوحًا اليوم؟"

أجابت المرأة ذات الثوب الأخضر: "مفتوح، لكن الطابور طويل جِدًّا؛ لذلك نقضي فترة المساء كلها داخل منطقة الملاهي. ولكم هي فترة طويلة!"

اندفعت البنت في حماس شديد مُبهج: "هل هبطت بالمظلّة يا سيدي؟"

اعترف بيرت: "لا. هل هي تجربة فريدة؟"

قالت المرأة: "لكنّها ليست لضعاف القلوب."

واستطردت البنت ملوّحة بكفيها: "تظل تصعد دون توقّف وتظنّ أنّك ستهبط طافيًا بهدوء وسلاسة، لكن يحدث العكس؛ إذْ تهبط كأنّك حجر."

"هذا صحيح." وتبادلت المرأة والبنت الضحكات.

سألهما بيرت: "هل رأيتما عرض الفيوتشراما؟"

قالت المرأة: "لم نشأ الانتظار في ذلك الطابور الطويل."

قال بيرت وهو يمدّ يده داخل جيب حُلّته ذات صفّي الأزرار: "حسنًا، لديّ تذكرتين مميزتين لن أستعملهما."

وأعطاهما بيرت البطاقتين الثقيلتين اللتين تسلمهما من الكرونوميتريك أدفنشرز في رحلته الأولى مع سيندي، وقد زيّن التذكرتين شعار التريلون والبيرسفير إلى جانب الحروف الأولى من عبارة «من كبار الشخصيّات». "سيصطحبكما الحرس المتواجدون عند نهاية الطريق المنحدر؛ أعني الممشى بين التريلون والبيرسفير، عبر ممر سرّي فور رؤيتهم هاتين البطاقتين."

قالت المرأة: "آه، هذا كرم كبير منك، بيد أنّنا لسنا قطعًا من كبار الشخصيات."

قال بيرت: "صدّقيني، ولا أنا. لكن ينبغي أن أعود إلى المدينة. استعملا

البطاقتين من فضلكما."

هُنا سألتها البنت بتوسّل حقيقي: "هل يُمكننا ذلك يا خالتي كارمن؟"

كارمن. كان كارمن هو اسم المرأة ذات الثوب الأخضر. اسمٌ يليق بها حقًّا.

قالت كارمن: "يساورني شعور أنّي أتسلل خلسة." وتوقّفت قبل أن تردف من جديد: "لكن هيّا! أشكرك جِدًّا."

وقالت ابنة أختها: "نعم، شكرًا لك! اسمي فرجينيا وهذه خالتي كارمن. من أنت؟"

"بيرت ألنبري."

قال فرجينيا: "حسنًا، شكرًا لك يا سيد ألنبري. ندين بمستقبلنا لك!" وتأبطت كل منهما ذراع الأخرى ثمّ عبرتا ساحة الدستور في اتجاه مبنى جنرال موتورز حيثُ يوجد معرض الفيوتشراما، وراقبهما بيرت تبتعدان، وقد غمرته سعادة هائلة أنْ عاد إلى عام 1939.

ظلّت أحلام اليقظة حول الجميلة المتسللة كارمن، تراوده طيلة أشهر عديدة، وبرغم أنّ جسده يتواجد داخل المكتب في سالينا أو في اجتماع مجلس الإدارة في طوكيو أو على متن قارب قبالة جزيرة ميكونوس اليونانيّة، إلا أنّ عقله كان في فلاشنج مادوز، يجلس فوق أريكة أسفل نُصب الحريات الأربع في إحدى نهارات أوائل يونيو عام 1939. ولم يكن يتوانى متى استدعى اجتماع للمساهمين أن يتواجد في نيويوك عن توفير الوقت اللازم لزيارة أخرى إلى الغرفة رقم 1114 ودفع الستة ملايين دولار.

سارت الأحداث كما جرت من قبل؛ فعرض على كارمن وفرجينيا

البطاقتين المميزتين، وغادرتا مدينتان بمستقبلهما له. رغم ذلك، أراد بيرت أن يقضي مزيدًا من الوقت برفقة كارمن؛ ليست فترة طويلة إذْ تكفيه نصف ساعة أخرى، لذلك أنزل نفسه عند مخرج الفيوتشراما، ولوّح لهما بكفيّه أثناء طلوعهما.

هتف: "ما رأيكما؟"

فهتفت كارمن: "السيد ألنبري! تصوّرت أنّك كنت مضطرًّا للمغادرة."

"هذا صحيح، لكنّي أنا الرئيس، لذلك قررت تغيير القواعد."

سألته فرجينيا: "أنت الرئيس؟ رئيس ماذا؟"

"كل من يعملون لديّ."

فقالت كارمن ضاحكة: " ما دمت الآن في حضرة امرأتين من كبار الشخصيات، هل تسمح لي أن أدعوك إلى تناول فطيرة؟"

"أحبّ الفطائر."

غرّدت فرجينيا: "هيّا إذن إلى بوردن، حيثُ نرى البقرة إلسي."

جلس ثلاثتهم أمام شريحة بيتزا بعشر سنتات قُسِّمت بينهم بالتساوي، ثم تناولت كارمن وبيرت قدحا قهوة بخمس سنتات للقدح الواحد، وشربت فرجينيا كأس حليب وتكلّمت عن العجائب التي ستصاحب عام 1960 بحسب تكهنات الفيوتشراما.

قالت: "أتمنّى أن أكون قد غادرت برونكس عام 1960." كانت أسرة فرجينيا تعيش داخل شقّة على الطريق السريع المشجّر برفقة أمّها (شقيقة كارمن) وأبيها الّذي كان يعمل قصّابًا. كانت في السنة الخامسة، وتنتسب إلى نادي اللاسلكي، وترغب في أن تغدو مُعلّمة حين تكبر، إن تمكّنت من توفير نفقات الجامعة. أمّا كارمن فكانت تتقاسم طابقًا في الدور الرابع من عمارة بلا مصعد كهربائي في شارع

ثمانية وثلاثين الشرقي، مع رفيقتين تعملان سكرتيرتين في شركة تأمين، وتعمل محاسبة في مصنع لحقائب اليدّ على أطراف المدينة. اتفقوا جميعًا على أنّ معرض 1939 الدّولي أفضل في الواقع بكثير عمّا هو في نشرات الأنباء.

"هل زوجتك في نيويورك يا سيد ألنبري؟" تعجّب بيرت كيف عرفت كارمن أنّه متزوّج، ثمّ انتبه إلى أنّه كان يلبس خاتم الزواج الّذي أعطته له الكرونوميتريك أدفنشرز، محضُ عادة ليس إلا.

قال: "آه، لا. سيندي مع صديقاتها في كوبا."

هتفت فرجينيا: "هذا هو المكان الّذي قضى فيه أبي وأمّي شهر العسل، وقد سارعت بالمجيء بعدها بفترة قصيرة!"

هتفت كارمن التي عجزت عن استيعاب جرأة ابنة أختها: "فرجينيا! تهذّبي!"

لكن فرجينيا قالت بعناد: "هذا حقيقي!" وكانت قد أكلت كل حشوة الفطيرة، وادّخرت القشرة الصلبة للنهاية.

سألها بيرت: "هل أنت متزوّجة يا كارمن؟ أسف، أنا حتّى لا أعرف كارمن ماذا؟"

فقالت: "بيري. كارمن بيري. هذه وقاحة مِنّي. وكلا، لست متزوّجة."

كان بيرت يعرف الإجابة فعلًا؛ إذْ لا يوجد خاتم في يدها اليُسرى.

وقالت فرجينيا: "ماما تقول أنّك إن لم تعثري على رجل مناسب قريبًا، فستذبلين!" وأردفت: "لقد بلغت السابعة والعشرين تقريبًا!"

سارعت كارمن تأمرها بالسكوت، ومدّت يدها بالشوكة كي تطعن أفضل كسرة من القشرة الصلبة، ثمّ طرحتها سريعًا داخل فمها.

فضحكت فرجينيا وهتفت: "يا لك من فأرة قذرة!"

ربتت كارمن فوق شفتيها بمنديل، ثمّ ابتسمت لبيرت وقالت: "هذا صحيح، فأنا أخر دجاجة في الفناء."
كارمن لا تزال في السادسة والعشرين؟ كاد بيرت أن يُقسم أنّها أكبر.
شاهدوا البقرة إلسي بعد الفطيرة، ثمّ تجوّلوا بالأكاديميّة الرياضيّة.
وبعد أن شاهدوا أفلامًا عن حيل المتزلجين على الماء، ألقى بيرت نظرة على ساعة معصمه الكلاسيكيّة. كانت تقترب من السادسة مساءً.
"ينبغي أن أغادر الآن حقًّا."
فقالت كارمن: "أمرٌ مؤسف ألا تستطيع مشاهدة النوافير في استعراض الضوء. يقولون أنّه استعراض مُذهل."
وغرّدت فرجينيا: "يوجد أيضًا استعراض للألعاب النارية كل ليلة؛ كأنّ ليلة عيد الاستقلال تتكرر طوال ليالي الصيف."
وتابعت كارمن وقد سلّطت عينيها على بيرت: "لديّ أنا وفرجينيا بقعة منتقاة نشاهد منها الاستعراض. هل أنت متأكّد أنّك لا تستطيع البقاء؟"
"ليتني أستطيع." كان بيرت يتمنّى حقًّا أن يستطيع البقاء؛ ذلك أنّ كارمن كانت امرأة بهيّة تفوق كل من مررن به من قبل. لم تكن شفتاها رفيعتين جِدًّا، وابتسامتها واثقة وماكرة، أمّا عيناها فكحبتي بندق بلون الزمرّد الأخضر، تغطيهما ظلال بُنيّة.
قالت فرجينيا: "شكرًا لك على الوقت الرائع. كُنّا من كبار الشخصيات!"
ومدّت كارمن كفّها قائلة: "نعم، أشكرك يا سيد ألنبري. لقد كنت شديد السخاء والمرح."
التقط بيرت كفّ كارمن؛ كفّها اليُسرى الخالية من خاتم الزواج وقال: "كان يومًا عظيمًا."

وداخل السيارة الأجرة التي تُعيده إلى مانهاتن، استطاع بيرت أنّ يشمّ عطر كارمن؛ ليلك مُعطّر بالفانيليا.

امتد حفل عيد ميلاد كيك أدلر جونسون حتّى الرابعة صباحًا، عقب استرجاع هولوجرافي طويل لفريق الرولنج ستونز. سيندي نائمة الآن في فراشها؛ الباب موصد والستائر المُعتمة مُغلقة بإحكام. رغم ذلك، استيقظ بيرت في الثامنة، وأخذ حمامًا وارتدى ثيابه وهو يحمل قدح القهوة في يده. تناول فطورًا تألّف من عصير كوكتيل وخبز، ثمّ طلب سيارة كهربائية لراكب واحد أثناء نزوله في المصعد إلى الطابق الأرضي. بعد دقيقة من تأكيد وجهته إلى الكرونوميتريك أدفنشرز، بدأت السيارة في قيادة نفسها في الجادّة الخامسة بسرعة آمنة حسابيًّا تبلغ سبعة عشر ميلًا في السّاعة، فعبرت البلدة في غضون خمس وأربعين ثانية، وسارت بمحاذاة قبة ميدان التايمز، ثمّ انعطفت ثلاث مرّات إلى اليسار قبل أن تتوقّف في الجادّة الثامنة، بين شارعي الرابع والأربعين الغربي والخامس والأربعين الغربي.

خرج بيرت من السيارة أمام المبنى الّذي كان سابقًا؛ بترتيب عكسي، ميلفورد بلازا وفندق الرويال مانهاتن و، في العام 1939، فندق لنكولن. أغلب المبنى صار الآن منطقة خدمات تابعة للقبّة المجاورة، فضلًا عن مكاتب تابعة لسلطات ميدان التايمز.

كانت الكرونوميتريك أدفنشرز تقع في الطوابق من التاسع إلى الثالث عشر، ليس اختيارًا ولا ميلًا للأنسب، بل بسبب مصادفات تاريخيّة وعجائب علميّة؛ ذلك أنّ أغلب المبنى كان لا يزال يحتفظ بنفس خطوط الفندق الأول المعماريّة، لا سيّما غرفة واحدة بعينها هي الغرفة

رقم 1114 التي نجت بأعجوبة من كل مساعي إعادة البناء والتجديد منذ افتتاح المبنى عام 1928. كانت الغرفة تحظى بسبب أبعادها التي لم تتبدّل بدرجة الأصالة اللازمة لترديد تموّج في متصل الزمكان يؤلِّف قوسًا يتقاطع مع الثامن من يونيو عام 1939 بدقة عالية. كما أُضيفت الأنابيب العملاقة والكابلات وشبكات البلازما اللازمة للسفر عبر الزّمن إلى واجهة ما كان في السابق فندق لنكولن، وفوق وأسفل وفي الممر المؤدّي إلى الغرفة 1114، امتلأت الآلة بحوالي مليون وحدة من المرحلات الصمامية الرقميّة التي اخترعها بيرت ألنبري.

استقل المصعد إلى الطابق التّاسع، وسمع صوت أنثوي يُعلن الوصول إلى: "الكرونوميتريك أدفنشرز" قبيل فتح الباب مباشرة. وكان شعار الشّركة؛ الماضي مهمّ بالنسبة لنا، محفورًا فوق الجدار، وقد جلس أسفله هاورد فراي.

صاح هاورد الّذي عمل ميّسرًا بكل تجارب بيرت المثيرة: "سيد ألنبري. يسعدني أن أراك مرّة أخرى. لا ريب أنّك بخير؟"

"على ما يُرام. وأنت؟"

"تعافيت للتوّ من نزلة زكام نقلها ابني من المدرسة إلى المنزل."

قال بيرت: "هذه إحدى ميزات عدم إنجاب أبناء." الحقيقة أنّ سيندي لم تقل شيئًا عن الرغبة في إنجاب طفل، ولودري من قبلها كانت تنذر بأمّ فظيعة مثل حالها كزوجة، أمّا ماري لين فكانت تشتهي الحبل بقوّة لكن حين صارحها طبيب بأنّ عدد الحيوانات المنويّة المُنخفض عند بيرت يجعل أمنيتها ضعيفة الاحتمال، بحثت عن رجالٍ آخرين لإشباع رغبتها، فتزوّجت مرّة أخرى وسرعان ما أنجبت بنتين وولد. كانت زيجته الأولى من بارب قد أسفرت عن طفلة، لكنّ طلاقهما

تشبّع بالعداوة والبغضاء لدرجة أنّ المرّات القليلة التي تواصل خلالها بيرت مع ابنته؛ عندما بلغت الثامنة عشرة، كانت خلال وجبات عشاء متباعدة في لندن، حيثُ كانت تحظى بحياة ميسورة جِدًّا بفضل ما يُرسله لها من نقود.

سأله هاورد: "هل نقوم بتحضيرك لتجربة جديدة؟"

"الوقت ينفذ مِنّا."

قهقه هاورد: "طريف، لكن ثمّة سعة من الوقت في الواقع."

أعاد الفريق الطبّي فحص بيرت داخل غرفة التحضير؛ فأخذوا وحللوا عينتين من دمه وبوله، وفحصوا قلبه فضلًا عن الخصائص الفيزيائيّة الاثنتي عشرة الأخرى التي تتأثر بالسفر عبر الزّمن. كما حقنوه بخمس جرعات لدعم جسده على المستوى الجزيئي وبمضادات الغثيان لتيسير تلك اللحظات الأولى التي يعود خلالها إلى عام 1939.

ثمّ خلع ثيابه وخواتمه وساعته والسلسلة الذهبيّة الرفيعة التي كان يلبسها حول عنقه؛ إذْ لن تنجوا مقتنيات اليوم من الرحلة إلى الماضي لأنّ جزيئاتها قد تُفسد العملية على نحو لا يُمكن رأبه. عندئذ ارتدى مبذلًا يحمل شعار الكرونوميتريك أدفنشرز وبدأ يُراجع التحذيرات القانونيّة الشكليّة.

في البداية شاهد فيديو سلس وخاطف يُحذّر من المخاطر المُحتملة ويشرح البروتوكولات. ثمّ جاء دور المواد المقروءة التي كررت؛ كلمة بكلمة، ما قيل للتوّ. كان بيرت يعرف بالفعل أنّه قد يلقى حتفه أثناء السفر عبر الزّمن، رغم أنّ ما من أحد مات في السابق. وأنّ المُغامر لديه خيارات للقيام بتجارب عديدة؛ إذْ في مستطاعه قضاء اليوم في عمل كل ما يتمنّاه أو تتمناه، إلا في أثناء بعض الإجراءات الرئيسة.

هكذا أقرّ بيرت ببصمة إبهامه؛ مرّة أخرى، أنّه فهم ووافق على كافّة البنود، ثمّ دخل هاورد غرفة التحضير يحمل مشروبًا يُشبه الحليب يُفترض أن يقي جهازه الهضمي من جراثيم عام 1939 المزعجة.

هتف بيرت رافعًا كأسه نخب هاورد: "أعد على مسامعي ما تقوله دائمًا."

فتنحنح هاورد وقال: "يُفترض أنّك أصبحت الآن تستطيع تلاوة هذا من الذاكرة." ارتشف بيرت الحليب بطعم التوت، وصاغ هاورد بلغة مبسّطة الشروط التي وافق عليها بيرت بالفعل: "لقد اخترت طواعية العودة إلى هذا المكان تحديدًا يوم 8 يونيو عام 1939 من خلال الكرونوميتريك أدفنشرز في رحلة عبر الزّمن، وذلك لمدّة لا تزيد ولا تقل عن اثنتين وعشرين ساعة بحسب التوقيت القياسي. وعند الساعة السابعة مساء يوم الثامن من يونيو عام 1939 تبدأ رحلة عودتك إلى نفس هذا المكان في نفس هذا اليوم. هل تفهم ما أقوله؟"

أشار بيرت برأسه: "نعم."

"لا تزعم الكرونوميتريك أدفنشرز بأي حال أنّ رحلتك إلى الماضي خالية من المخاطر؛ إذ تخضع تجربتك لنفس قوانين الفيزياء والقواعد والسلوك المعروفة."

"إذا وقعت ستنكسر ساقي، وإذا لكمني شخص في أنفي ستتهشّم."

"هذا صحيح. لن تكون خاضعًا للإشراف خلال تلك الساعات الاثنتين والعشرين، لذا نقترح عليك الالتزام بالبرنامج الّذي رتبناه لك، وهو قضاء يوم آخر في المعرض الدولي؟"

"ينبغي أن تسافر أنت نفسك يا هاورد."

ضحك هاورد وقال: "لن تكون نيويورك عام 1939 سخيّة معي ما

دمتَ أمريكيًّا من أصل أفريقي."

قال بيرت: "أتفهّم ما تقول." فخلال رحلاته التي عاد فيها إلى الماضي كان كل من رآهم من السود إمّا حمّالين أو بوابين، ورغم وجود عدد من أسر السّود بالمعرض؛ يحضرون العروض نفسها؛ ويلبسون ما يليق بالمناسبة، إلا أنّهم كانوا يلتمسون مستقبلًا يختلف عن مستقبله.

"في حال اضطررت لتغيير البرنامج؛ كأن تشهد استعراضًا أو تتجوّل داخل الحديقة، فلا خوف ما دمت ملتزمًا ببروتوكولات السفر عبر الزّمن."

"بل سأعود إلى فلاشنج مادوز. سأتجوّل في الحديقة في المرّة القادمة."

وكان بيرت يفكّر في قضاء يوم برفقة كارمن في السنترال بارك، وكان يُفكّر في طريقة لإنجاح خطّته. قد يُقنع فرجينيا بركوب الكاروسيل! أو يذهبان لزيارة حديقة الحيوان!

استدعى هاورد ملف بيرت على لوحه الذّكي وقال: "آه، بلى، في المرّة القادمة." وأردف: "أخشى يا سيد ألنبري أن تكون قد بلغت الحدّ الأقصى من عدد مرّات السفر عبر الزّمن."

صاح بيرت: "ماذا؟" وكانت لا تزال أمامه رشفة ثالثة من الحليب.

قال هاورد: "تُشير نتائج الفحوص إلى بعض الانخفاض في قدراتك مقارنة بأخر رحلة لك معنا؛ إذْ تكشف عن وجود مستويات مرتفعة من التريليوم في دمائك وأرقام منخفضة بالنسبة لسيولتك الخلويّة."

لم يرق لبيرت ما كان يُصغي إليه.

"تختلف بنية أجسامنا من فرد لآخر يا سيد ألنبري. في الواقع، بعض زبائننا لم نسمح لهم بالسفر سوى مرتين أو ثلاث، وستة منهم فقط من سيتفوقون عليك في عدد مرّات السفر."

"لماذا؟"

"بسبب الديناميات الجزيئيّة يا سيد ألنبري. فكل جولة سفر إلى عام 1939 تُجهد أنسجتك وبروتينات جسمك وكثافة نخاعك ونهاياتك العصبيّة بدرجة كبيرة. ونحنُ لن نُخاطر بالقضاء عليك. افتراضيًّا يُمكنك السفر سبع مرّات، بل ثماني مرّات إلى المعرض الدولي دون خوف على صحّتك، لكن نموذجنا التأميني لا يسمح بذلك. هذه هي الأنباء السيئة."

كان كل ما يشغل تفكير بيرت هو كارمن وفرجينيا، ومشهدهم هم الثلاثة أثناء تناول فطيرة وزيارة البقرة إلسي. وكان يأمل تكرار نفس الأشياء معهم مرّة أخرى. هذه أنباء سيئة في الحقيقة.

لكن هاورد غرّد قائلًا: "لكن الأنباء الجيدة هي أنّ مغامراتك عبر الكرونوميتريك أدفنشرز لا ينبغي أن تقتصر على نيويورك 1939؛ فهناك ناشفيل 1961. إذْ تستطيع زيارة الجراند أول أوبري، ولدينا اِمتياز مفتوح في جونيسون بكولورادو حيثُ يوجد كوخ رائع عام 1979. هادئ، لكن المشاهد مذهلة."

كان بيرت قد توقّف عن الشرب. كان يُفكِّر في كارمن وعطر الليلك المخلوط بالفانيليا وعينيها البندقيتين.

"أسف يا سيد ألنبري، هكذا تجري الأمور. الماضي مهمّ بالنسبة لنا، لكن حياتك المديدة أهمّ."

فقال بيرت: "في تلك الحالة، سأحتاج شيئًا آخر استرجعه معي."

أحسّ بيرت ببدلة الضغط تشتد إحكامًا مع رجرجة ميكانيكا الكرونوميتريك أدفنشرز كل ذرّات الغرفة 1114، وبينها كل ذرّة فيه.

كان قد تعلّم ألا يُصاب بالذعر أثناء انطلاق متوالية السفر عبر الزّمن، لكنّه رغم ذلك لم يألف البرودة الشديدة؛ برودة يفقد معها تركيزه واتّزانه. كان يعرف أنّه يتمدد فوق ما سوف يغدو فراشًا عام 1939، لكن كل ما كان يُحيط به يتداعى. قاوم كي يبقى منتبهًا؛ وكي يرى سيرورة تقهقر الغرفة في الزّمن، لكن كما جرى من قبل، دهمه الإغماء.

أحسّ بصداع عنيف، فعلم أنّه عاد إلى العام 1939 من جديد. كان الصداع قاسيًا لكنه لم يدم طويلًا لحسن الحظّ، فجاهد بيرت للخروج من بدلة الضّغط؛ كأنّها بدلة الغوّاص ذات المقاس الواحد شديد الضيق، وجلس عاريًا على حافّة الفراش يتحيّن اللحظة المناسبة التي تزول فيها آلام رأسه.

وكما جرى في السابق، كانت حُلّته ذات صفّي الأزرار مُعلّقة داخل خزانة ثياب مفتوحة تضم أيضًا الأحذية والجوارب فوق الأرضيّة. ثمّة قميص وربطة عنق يتدليان من مشجب سلكي رفيع، أمّا الثياب الداخليّة فكانت داخل سلّة فوق مقعد. وجد السّاعة وخاتم الزواج وخاتم شخصي ومحفظة تحتوي على بطاقة الهوية وأشياء أخرى تتماشى مع الفترة الزمنيّة ومصنوعة من مواد تعود لما قبل الحرب العالميّة الثانية. كما وجد مبلغًا؛ حوالي خمسين دولارًا عملات ورقيّة طريفة المنظر كانت ذات يوم هي العملة القانونيّة، فضلًا عن عملات معدنيّة ثقيلة؛ نصف دولار عليه صورة امرأة تحمل قمحًا وتحدّق جهة شمسٍ تغرب، وقِطع معدنية فئة العشر سنتات كانت تسمّى ديم وتحمل رأس الإله عطارد. كان النيكل يساوي خمس سنتات حين كان للسنت قيمة حقيقيّة عام 1939.

جمع بدلة الضغط ووضعها داخل حقيبة كلاسيكيّة فوق حامل

الأمتعة، وأخفاها إلى حين يرتديها مرّة أخرى في طريق العودة. بعدئذ ارتدى الساعة القديمة التي كانت تُشير إلى التاسعة وثلاث دقائق مساءً، وارتدى خاتمه الشخصي في يده اليُمنى، لكن تذكّر أن يترك خاتم الزواج الذّهبي حيث هو.

رأى المُغلّف الّذي يحتوي على التذاكر المميّزة فوق الطاولة، وكان قد طلب ثلاث تذاكر هذه المرّة؛ رحلته الأخيرة إلى عام 1939.

كانت النّافذة المُطلّة على الجادّة الثامنة مواربة قليلًا، تسمح بدخول هواء المساء إلى داخل الغرفة التي لم تكن قد عرفت بعد تكييف الهواء وأصوات حركة السير القادمة من ميدان التايمز. أراد بيرت أن ينهض، وأن يرتدي ثيابه، وأن يخرج ليشهد المدينة ليلًا، وأن يسير في شارع ثمانية وثلاثين شرق حيثُ تعيش كارمن داخل شقّة، لكن جسده كان يتألّم. تبًّا للفيزياء! أحسّ بالإنهاك كالسابق؛ فتمدد فوق الفراش وعاد إلى النوم، تمامًا كالسابق.

استيقظ حين تسلل نور الصباح الخافت عبر النّافذة وكان الهدوء يكتنف المدينة. أحسّ أنّه تعافى كأنّه تناول قرص باراسيتامول ونام عشر ساعات في تمام الصحّة. أشارت ساعته إلى السابعة وعشر دقائق صباح الثامن من يونيو 1939، ما يعني أنّ لديه اثنتي عشرة ساعة يعثر خلالها على كارمن وفرجينيا. رفع سمّاعة الهاتف الثقيلة وكبس الزرّ الوحيد به من أجل الاتّصال بموظف الفندق. طلب خدمة الغرف مرّة أخرى، وبعد نفس الخمس دقائق كان يقف عند الباب نادل يُدعى بيرسي يرتدي زي الفندق الرسمي، ويحمل صينية تضمّ إبريق قهوة فضّي وجرّة كريمة طبيعيّة ومكعبات سُكّر، والطبعة الصباحيّة من النيويورك ديلي ميرور. كان بيرت خلال الصباحات

الخمس السابقة يُعطي النادل عشر سنتات بقشيشًا، ويسمع الرّد المُهذّب: "أشكرك يا سيد ألنبي." لكن هذا الصباح، أعطى بيرسي نصف دولار، فاتّسعت عينا الرجل وهتف: "أوه يا سيد ألنبي، ألا تستحي!"

جعلت الكريمة الطبيعيّة القهوة ثقيلة وأضفت عليها لذّة مُبهجة، فاستمتع بيرت بقدح ثان أثناء تسخين ماء الاستحمام؛ والّذي استغرق بضع دقائق بسبب سِباكة 1939. أخذ الحمّام وارتدى الثياب، وكان قد تعلّم طريقة عقد ربطة العُنق التي كان يراها شيئًا سخيفًا، لكنّه أحبّ الحُلّة ذات صفي الأزرار التي خيطت له بعد قرن من الزمان تقريبًا. كان النسيج ينتمي لتلك الفترة، والجوارب تكاد تخلو من الألياف الصناعيّة، والحذاء يُشبه زورقين مدفعيين؛ واسع وثقيل، لكن مُريح.

من جديد، شمّ بيرت أثناء النزول بالمصعد رائحة مُلمّع شعر الموظّف، لكنّه لم يصدق أنّ يكون المُلمّع نتنًا لهذه الدرجة.

قال موظّف المصعد وهو يفتح الشبكة الحديديّة: "الرواق يا سيدي."

أصبح بيرت الآن يألف كافّة روائح فندق لينكولن، بل يحبّها أيضًا. دخان السيجار الممتزج بالسجاجيد الصوف؛ والزهور التي يرتبها خدم سود؛ والعطور الفجّة التي تضعها سيدات أنيقات في طريقهن لقضاء النهار في مانهاتن. أمّا في الخارج، فكانت سيارات الأجرة التي تتهادى على مهل والباصات المتجهة إلى أطراف المدينة، تتقيأ أبخرة العادم الناتج عن الجازولين المُحترق.

انعطف بيرت جهة اليمين سيرًا على قدميه خارج الرواق، ثمّ انعطف يمينًا مرّة أخرى إلى شارع وخمسة وأربعين غرب. استنشق رائحة

البنّ المحمّص التي يحملها نسيم يهب من ناحية نهر الهدسون، قادمة من مطحن بُنّ ماكسويل هاوس في نيوجيرسي الّذي يُنتج قهوة طيبة المذاق حتى أخر رشفة.

في صباح هذا اليوم الثامن من يونيو 1939، لم يتناول بيرت فطوره في فندق أستور بساعته الشهيرة وديكوره الفخم، بل اعتزم زيارة أكبر عدد يسمح به الوقت من متاجر القهوة والمقاهي القريبة. كانت كارمن تعيش على مسافة سبعة مربعات سكنيّة؛ لذا تُرى ماذا لو كانت في مكانٍ قريب تشتري فطورًا خفيفًا قبل أن تستقل المترو إلى برونكس كي تنضم إلى فرجينيا؟ ربّما كانت تجلس حاليًا في مطعم برودواي ترتشف قهوة وتأكّل كعكًا مُحلّى، وربّما يستطيع أن يُقابلها الآن دون أن يضطر لانتظار تلك اللحظة فوق الأريكة المجاورة لنصب الحريات الأربع، أخر النهار.

غطّى ميدان التايمز والشوارع الجانبيّة، ودلف إلى مقاهي وغادرها سريعًا وأنعم النظر عبر نوافذ مطاعم صغيرة، لكن دون أي أثر لها. استسلم على مضض، واتّخذ مقعدًا أمام طاولة في أحد المطاعم في الجادّة السابعة، ودفع خمسة وعشرين سنتًا ثمنًا لفطور تألف من بيض وسجق وفطائر وعصير وقهوة.

ترك عشر سنتات تحمل رأس ربّة الحُريّة المُجنّح، وقال للنادلة التي تلبس زيّ المطعم وتدهن شفتيها باللون الأحمر: "هل من الممكن يا سيدتي أن يُقلّني المترو إلى المعرض الدولي؟"

أجابت النادلة: "هذه هي الوسيلة المُثلى يا عزيزي." وضعت السنتات العشر داخل جيب المريلة، ووصفت لبيرت الطريق إلى خطّ مترو الجادّة السابعة.

لم تكلّفه رحلته الأولى على الإطلاق عبر المترو أكثر من خمس سنتات. وكانت عربة المترو تزدحم بالبشر الّذين كانت تفوح من كل واحد منهم رائحة ما؛ ولو رائحة الثياب المنشّاة حديثًا. لا أحد يُحدّق في هاتف أو لوح ذكي، وأغلب الركّاب يقرأون صُحف الصباح؛ بعضها على هيئة مستطيلات من ورق الصحف ذات القطع الكبير، والبعض الآخر قطع التابلويد الأصغر حجمًا. ثمّة أيضًا مجلات تُفرد للنصوص المكتوبة مساحات أوسع من الصور. وأغلب الركّاب يدخنون، بل هناك البعض من الرجال يدخنون السيجار واثنان يدخنون الغليون. عرف بيرت بسبب ما يحملونه من كُتب إرشاديّة ونشرات إعلانيّة أنّ عددًا غفيرًا منهم؛ مثله، في طريقهم للمعرض الدولي.

كان ينزل من عربة المترو عند كل محطّة كي يتفحّص الوجوه بحثًا عن كارمن وفرجينيا؛ فمن يدري؟ ربما تكونان في طريقهما إلى فلاشنج مادوز، وإن حدث، يستطيع أن يسألهما عن الطريق فتتطوعان لإرشاده ما دامت الوجهة واحدة، كذلك يُمكنه أن يعترف بتلهّفه إلى استعمال التذاكر المميّزة الثلاث، ولِم لا يدعو السيدتين لقضاء يوم خالي من المتاعب حيثُ لا طوابير ولا انتظار؟ وبهذه الطريقة، يغدو ما كان في الماضي أقل من ساعتين برفقة كارمن، نهارًا كاملًا في الوقت الراهن.

لكن كارمن لم تركب المترو.

صاح راكب: "عجبًا! انظروا!" كان تمثال التريلون والبيرسفير ظاهرًا وراء النافذة في أرض المعرض، حيثُ رأى بيرت الكرة الضخمة وبرجها المُجاور، لامعان وأبيضان وخلفهما سماء الصباح الصافية، فألقى كل من في العربة نظرة خاطفة على المعلمين البارزين.

أفرغت العربة روّاد المعرض عند بوابة البولينج جرين حيثُ دفع بيرت خمسة وسبعين سنتًا رسم دخول واشترى كُتيّبًا إرشاديًّا بعشر سنتات.

كانت الساعة تُشير إلى العاشرة والنصف، أي أنّه لا تزال تفصله ساعات عن لقاء كارمن مرّة أخرى، ما لم يتدخّل القدر. ألقى نظرة على متجر الهوم بيلدنج سنتر وأعجبته الأرائك الأسرّة في المفروشات المنزليّة، وألفى المعارض في عمارة الأميركان راديوتر مُمتعة. لكنّه لم يكفّ عن الضحك بينه وبين نفسه بسبب ما في عروض تلك الأيام التي تقدّمها شركات RCA والهاتف والتلغراف الأمريكيّة ومبنى الاتصالات من إبهار، فضلًا عن العرض شبه المتحفي الّذي تقدّمه شركة كورسلي راديو.

انضم لطابور الراغبين في حضور درس الديمقراطيّة؛ وهي مُحاضرة في الدراسات الاجتماعيّة تُلقى داخل البيرسفير، وسرعان ما انخرط في حديث مع أسرة جاملجارد التي تتألف من ستة أفراد بينهم جدّين، والتي استقلّت القطار من توبيكا بكانساس لقضاء أسبوع في المعرض. كان هذا هو يومهم الأول، وقد قال أحد الجدّين لبيرت: "لم أحلم يومًا أيها الشّاب أن يأذن لي الله برؤية مكان مثل هذا." أسعد بيرت أن يعتبره شخصٌ ما شابًّا؛ إذْ أتاحت له بلايينه السبعمائة والستة والخمسين كل الإجراءات المتوافرة في العالم كي يبدو أصغر من سنواته الواحدة والستين.

قال للكانساسيين أنّ لديه أصدقاء في سالينا، فوجّهوا له دعوة عشاء في منزلهم في حال زار مدينة توبيكا.

ظل طيلة ساعات الصباح يتفحّص وجوه النساء اللائي يرتدين فساتين

خضراء على أمل العثور على كارمن، فطاف بكل المباني داخل الكورت أوف باور، وساحة النور وطريق العُمّال حيثُ كانت السيدات بزي العاملات المميّز في شركة سويفت آند كومباني يشرحن طريقة تقطيع وتعبئة اللحم المُقدد. وعند الظهر، أنفق عشر سنتات في شطائر السجق من محل شايلدز، وقارن تصميم حُلّته ذات صفّي الأزرار مع التصميمات المتوقّعة بحسب أنبياء ملابس الرجال. بعدئذ قطع الطريق إلى منطقة الملاهي سيرًا على قدميه، متجهًا إلى البرج المعدني الشّاهق الّذي يقفز من فوقه المظليون. كانت الملاهي هي أكثر أماكن الجذب شعبيّة في المعرض، لذلك كانت الحشود كثيرة ومضطربة. دار بيرت حول المنطقة مرّة تلو الأخرى، وفي كل مرّة كان يتوقّف أمام برج المظلات على أمل العثور على كارمن وفرجينيا وهما تتسلقان حتّى قمّة البرج ثم تهويان مثل حجرين. لكن دون جدوى. لذلك بدأ جولة متروّية أخيرة حول المنطقة يعود بعدها إلى المعارض الرئيسة.

حينئذ رآها! لم تكن كارمن في البداية، بل فرجينيا! كان يعبر الجسر المُجاور للمسرح المدرّج حيثُ تُقدّم عروض الأكواساد، حين مرّ من أمامه ترام متعدد العربات. رأى فرجينيا تجلس داخل الترام، وبلى، كانت كارمن إلى جوارها! كانتا تتسليان، وهما في طريقهما الآن إلى ساحة النور. ألقى بيرت نظرة على ساعة معصمه وفكّر أنّه إذا تمكّن من اللحاق بذلك الترام، فسيُقابل كارمن مبكرًا ساعة كاملة! لذلك ركض.

أبقى عينيه مسلطتين على الترام عبر طريق العمّال، لكنه فقدهما عند مركز شيفر في جادّة الرينبو. عجز عن متابعة الجري، في حين واصل الترام السير وعبر الكورت أوف ستيتس، ثمّ توقّف عند

ساحة الدستور كي يُفرغ رُكّابه ويحمل ركابًا جُدد. لابد أنّهما قريبتان! تفحّص بيرت يغمره العرق داخل حُلّته شركة بيتش نات والجناح اليهودي الفلسطيني وجمعية الشبّان المسيحيين ومعبد الدين ووكالة التشغيل، لكن بلا فائدة. هكذا استسلم بيرت لتفرّد متصل الزمكان، ودار على عقبيه في اتجاه أرائك البحيرة حيث ظهرت كارمن أمام عينيه.

كانت تغادر جناح البرازيل تتأبط ذراع فرجينيا، وكانتا تضحكان. ربّاه! كانت المرأة تضحك بقوّة وكانت ابتسامتها فاتنة. كاد يُنادي اسمها لكنّه تذكّر أنّهما لم يلتقيا بعد، لذلك تبعهما من مسافة بضعة أمتار عبر الممر حتّى النهر الصناعي الّذي يُغذّي بحيرة الأمم. لم يمش خلفهما في جناح بريطانيا العُظمى بل اتجه إلى الأريكة، وبعد بضع دقائق جاءت مرّة أخرى برفقة فرجينيا، في الوقت المُحدد تمامًا.

سارع بيرت بالقول أثناء جلوس كارمن وفرجينيا: "عفوًا؛ هل تعرفين يا سيدتي إن كان معرض الفيوتشراما مفتوحًا اليوم؟"

"مفتوح، لكن الطابور طويل جِدًّا؛ لذلك نقضي فترة المساء كلها داخل منطقة الملاهي. ولكم هي فترة طويلة!"

"هل هبطت بالمظلّة يا سيدي؟"

"لا. هل هي تجربة فريدة؟"

"لكنّها ليست لضعاف القلوب."

"تظل تصعد دون توقّف وتظنّ أنّك ستهبط طافيًا بهدوء وسلاسة، لكن يحدث العكس؛ إذْ تهبط كأنّك حجر."

"هذا صحيح."

"هل رأيتما عرض الفيوتشراما؟"

"لم نشأ الانتظار في ذلك الطابور الطويل."

قال بيرت وهو يمدّ يده داخل جيب حُلّته ذات صفّي الأزرار: "بالتأكيد لن أرغب في تفويت هذا العرض، ولديّ ثلاث تذاكر مميزة."

وأخرج البطاقات الثلاث الثقيلة المُزيّنة بشعار التريلون والبيرسفير إلى جانب الحروف الأولى من عبارة «من كبار الشخصيّات». "قالوا لي أنّ هذه البطاقات ستكفل لنا دخول الفيوتشراما عبر ممر سري دون أن نضطر للانتظار. لديّ ثلاث تذاكر، وأنا بمفردي. هل تودّان الانضمام لي؟"

"آه، هذا كرم كبير منك، بيد أنّنا لسنا قطعًا من كبار الشخصيات."

"صدّقيني، ولا أنا. أنا حتّى لا أدري لِم أحمل هذه البطاقات."

"هل يُمكننا الذهاب يا خالتي كارمن؟"

"يساورني شعور أنّي أتسلل خلسة. لكن هيّا! أشكرك جِدًّا."

"نعم، شكرًا لك! اسمي فرجينيا وهذه خالتي كارمن. من أنت؟"

"بيرت ألنبري."

"حسنًا، شكرًا لك يا سيد ألنبري، سنشهد المستقبل معك."

انهمكوا في الثرثرة أثناء عبور ساحة الدستور، وأسفل تمثال جورج واشنطن العملاق، وحول تمثال التريلون والبيرسفير. وحكت فرجينيا أثناء الطريق كل ما رأوه في المعرض ذلك اليوم الّذي أمضوا أغلبه في منطقة الملاهي.

سألهما بيرت: "هل رأيتما إلكترو؛ الرجل الآلي؟ يستطيع العدّ على أصابعه المعدنيّة."

كان مبنى جنرال موتورز إلى جوار شركة فورد موتور التي كانت تكشف لروّاد المعرض كيف يتم تصنيع سيارتهم، قبل أن تأذن لهم بقيادة

سيارة عبر طريق مُتعرّج يُحيط بالمبنى. أمّا جنرال موتورز فاصطحبت زائريها في رحلة إلى المستقبل، بدأوا خلالها في صعود طريق مائل طويل شيدته الشركة حديثًا وأطلقت عليه اسم «الهيلكلاين»، صوب شقّ في البنيان شديد المهابة كأنّه مدخل إلى الأرض الموعودة. كانت طوابير الّذين ينتظرون رؤية الفيوتشراما تُعدّ بالملايين.

لكن حين أظهر بيرت وكارمن وفرجينيا بطاقاتهم المميّزة لفتاة جميلة ترتدي زي جنرال موتورز، اصطحبتهم الأخيرة عبر باب بالطابق الأرضي.

قالت الفتاة: "أتمنّى ألا يكون قد أصابكم التعب."

كانت ماكينات تشغيل الفيوتشراما تهتزّ وتطن من حولهم، لكنهم تمكّنوا من سماع موسيقى تأتي عبر الجدران ممتزجة بهمهمات تعليق صوتي.

استطردت الفتاة: "ستلاحظون أنّ المقطوعة الموسيقية تتماشى تمامًا مع ما ترونه. تفخر جنرال موتورز بما في الفيوتشراما من جهد هندسي بالغ الحداثة."

سألتها فرجينيا: "هل سنقود سيّارة؟"

"ستعرفين في وقتها." وفتحت الفتاة بابًا كشف عن نقطة بداية الجولة؛ حيثُ يتدفق نور الشّمس والناس عبر المدخل، وقالت: "أتمنّى لكم جولة ممتعة."

لم يجدوا سيارات، بل قطارًا طويلًا يتألف من عربات تُشبه أرائك مسقوفة مُثبّتة فوق عجلات تصطف وراء بعضها البعض، يتسلق إليها الركّاب دون أن تتوقّف أثناء مرور العربات من خلال فتحة نفق. تسلّق الركّاب الثلاثة البواسل إلى إحدى العربات؛ فرجينيا أولًا ثمّ

كارمن وأخيرًا بيرت. احتوتهم العتمة على حين غرّة، وعزفت الموسيقى، وأعلن المُعلّق ترحيب أمريكا كما يُفترض أن تغدو عام 1960، بهم. كان الصوت واضحًا جِدًّا، كأنّ المذيع بينهم داخل العربة.

ظهرت مدينة أمامهم؛ عالم منمنم يمتد على مرمى البصر، حيث انتصبت ناطحات السحاب في المنتصف كأنّها نُصب تذكاريّة، والبعض منها يتصل بالبعض الآخر عبر جسور عالية. وعلى ذلك المشهد علّق المذيع قائلًا أنّ المدن الأمريكيّة في غضون عقود قليلة ستصمم وتُبنى وفق المواصفات المثاليّة؛ إذْ ستغدو الشوارع ممهدة ومنظّمة، وستدفق السيارات الحديثة عبر الطرق السريعة؛ وجميعها من إنتاج جنرال موتورز، دون اضطراب أو اختناق. وستمتلئ السماء بالطائرات المحمّلة بالسلع والركّاب إلى مطارات واسعة الانتشار مثل محطّات تعبئة الوقود. أمّا الريف فستتناثر فيه المزارع والبيوت ومحطات توليد الطاقة، ليزوّد عام 1960 بكل ما يحتاجه الشعب الأمريكي من طعام وحيز خالي وكهرباء.

كانت البيوت والأبراج والسيارات والقطارات والطائرات عامرة بالسعادة؛ إذْ لم تكتشف الجماهير غير المرئيّة التي روّضت فوضى الماضي الجامحة، كيفيّة بناء المستقبل فحسب، بل طريقة التعايش سويًّا في سلام.

كانت فرجينيا متسمّرة في مقعدها وهي تتفرّج على المستقبل يعبر أمام عينيها، فابتسمت كارمن لها وألقت نظرة على بيرت ثمّ مالت نحوه وهمست: "ستعيش هناك وتحبّ ما تشهده."

نزلت الكلمات على بيرت مثل قبلات ناعمة وفيرة. كان التعليق قد توقّف، مفسحًا المجال لعزف أوتار الكمان والتشيللو. شم عطر

كارمن: نفحة الليلك الممزوج بالفانيليا الناعمة. وبقيت شفتاها قريبتان من وجنتيه.
سألته كارمن في هدوء: "هل تظنّ أن كل هذا سيتحقق؟ تمامًا كما نشهده الآن؟"
مال بيرت على أذنها المُحاطة بخصلة داكنة من شعرها الأسود، وهمس: "إن حدث، سيغدو عالمنا رائعًا."
كانت ظلال العصر قد اتّسعت مساحتها حين خرجوا. عبروا جسر العجلات فوق طريق الجراند سنترال، وأعلنت فرجينيا أنّها ستبلغ الثلاثين من عمرها عام 1960 واستطردت: "ليتني أستطيع أن أثب الآن داخل آلة زمن تنقلني إلى هناك!"
تفحّص بيرت ساعته التي أشارت إلى الخامسة وست وخمسين دقيقة. كان في الماضي يستقل سيارة أجرة في هذا الوقت في طريقه إلى الغرفة رقم 1114، وبحلول السابعة يكون قد خلع ثيابه وتخلّص من كل ما أعطوه له من أجل المغامرة: مثل الخاتمين والسّاعة، وانحشر مرّة أخرى داخل بدلة الضغط وتمدد فوق الفراش المُحدد من أجل رحلة العودة من عام 1939. كان ينبغي عليه أن يُغادر الآن؛ وكانت السيارة الأجرة تنتظره أمام البوابة على الجهة الأخرى من شركة كرايسلر موتورز. لكنّه بدلًا من ذلك سأل كارمن عن موعد بدء استعراض نوافير الضوء.
قالت: "بعد أن يحلّ الظلام." ثمّ تابعت: "ما دمت الآن في حضرة امرأتين من كبار الشخصيات، هل تسمح لي أن أدعوك إلى تناول فطيرة بيتزا؟"
"أحبّ الفطائر."

قالت فرجينيا: "هيّا إذن إلى بوردن، حيثُ نرى البقرة إلسي."
استمع بيرت مرّة أخرى لحكاية كارمن وابنة أختها أثناء تناول البيتزا والقهوة؛ نادي اللاسلكي ورفيقتا سكن كارمن في شارع ثمانية وثلاثين شرق. كانت كل التفاصيل تتكرر كما هي، ثمّ انحرف الماضي بغتة.
"هل لديك شخص له منزلة خاصّة عندك يا سيد ألنبري؟"
حدّق بيرت في عيني كارمن اللتان صارتا أشدّ اخضرارًا بسبب الظلال التي تلقيها ديكورات فناء مطعم بوردن فوود.
داعبته فرجينيا قائلة: "تقصد هل أنت متزوّج؟"
"فرجينيا! آسفة يا سيد ألنبري. لا أقصد أن أكون وقحة، لكنّي لا أراك تلبس خاتم زواج ففكرت أنّ رجلًا مثلك لابد أنّ لديه شخصًا يحظى بمنزلة خاصّة عنده."
اكتست نبرة بيرت بالحزن وهو يقول: "لقد فكّرت في ذلك مرّات عديدة. أعتقد أنّي سأظل أبحث عن هذا الشخص إلى الأبد."
"أنتم أيها العُزّاب محظوظون جِدًّا؛ ذلك أنّكم تستطيعون انتظار لقاء المرأة المناسبة كيفما تشاءون دون أن تضطروا لسماع عبارات الاستهجان." واندفعت تردد أسماء نجوم السينما والرياضيين الّذين لم يتزوجوا بعد؛ وكلها أسماء لم يتعرّف بيرت على أصحابها. "أمّا نحن النساء؟ فإن طال انتظارنا غدونا عانسات."
قهقهت فرجينيا هاتفة: "ماما تقول أنّك إن لم تعثري على رجل مناسب قريبًا، فستذبلين! لقد بلغت السابعة والعشرين تقريبًا!"
سارعت كارمن تأمرها بالسكوت، ومدّت يدها بالشوكة كي تطعن أفضل كسرة من القشرة الصلبة، ثمّ طرحتها سريعًا داخل فمها.
فضحكت فرجينيا وصاحت: "يا لك من فأرة قذرة!"

ربتت كارمن فوق شفتيها بمنديل، ثمّ ابتسمت لبيرت وقالت: "هذا صحيح، فأنا آخر دجاجة في الفناء."

سألته فرجينيا: "كم عمرك يا سيد ألنبري؟ تخميني أنّك في عُمر السيد لونستين؛ مدير مدرستي الذي يبلغ الأربعين تقريبًا. هل بلغت الأربعين؟"

"سألقي بك أيتها الشّابة إلى بُحيرة الأمم! أعتذر يا سيد ألنبري؛ فابنة أختي لم تتعلّم بعد أن تكون لبقة. ربّما في عام 1960."

لكن بيرت ضحك وقال: "أُشبه خالتك كارمن. آخر ديك في الفناء."

ضحكوا جميعًا على عبارته الأخيرة، ومدّت كارمن يدها إليه وأمسكت معصمه قائلة: "ألسنا صنوين؟"

كان على بيرت الانصراف الآن؛ إذْ تجاوزت الساعة السادسة مساءً، وفي حال توافرت سيارة أجرة فربّما يصل إلى الغرفة 1114 في التوقيت المناسب للعودة عبر الزّمن. لكنه كان يومه الأخير برفقة كارمن، وبعده لن يرى المرأة ذات الثوب الأخضر أبدًا.

أصبح بيرت ألنبري الآن رجلًا ذكيًّا، والبعض يصفه بالعبقريّة؛ ذلك أنّ اختراعه المرحِّل الصمامي الرقمي قد غيّر العالم وحشد له اهتمام الحاضرين البالغ في مؤتمرات تمتلئ بالمحرضين والمشككين؛ في ديفوس وفيينا وأبوظبي وكيتشوم وإيداهو. لديه فرق مُحامين يُنفذون ما يُمليه عليهم، وباحثين ومطورين يحولون أفكاره الغريبة إلى حقائق. وباتت لديه ثروة تفوق الناتج القومي الإجمالي لأغلب دول العالم التي يملك في البعض منها مصانع. كما تبرّع لقضايا نبيلة ووضع اسمه على مباني لم يزعج نفسه بزيارتها قطّ. حظي بكل ما كان يُفترض بأي رجل ثري أن يحظى به، أو يحتاجه، أو يرغب فيه.

باستثناء الزمن بالطبع.

قالت الكرونوميتريك أدفنشرز أنّ لديه اثنتين وعشرين ساعة من يوم 8 يونيو 1939، يفعل بها ما شاء. لكن ما كان يرغب فيه الآن هو البقاء مدّة أطول، لابد من وجود مساحة ما للمناورة؛ إذْ لا ريب أنّ السفر عبر الزّمن لن يبدأ قبل أن تعود كل ذرّاته وجزيئاته إلى مكانها في الغرفة 1114 في فندق لينكولن بالجادّة الثامنة. كان يعي سبب مطالبة الكرونوميتريك أدفنشرز بتنفيذ مثل هذه الشروط؛ كي تستر عورتها! إذْ ما الّذي يضطره إلى ارتداء بدلة الضغط والتمدد فوق ذلك الفراش وفق دقّة السّاعة؟ هل صار سندريلا في حفلة راقصة؟ لم لا يستطيع أن يتمهّل ويعود إلى الغرفة؛ لنقل، عند منتصف الليل ثمّ ينزلق داخل تلك البدلة المطّاطيّة ومن ثمّ ينطلق؟ ما الفارق؟

سأل فرجينيا: "هل رأيت كبسولة الزّمن؟"

"قرأت عنها في المدرسة، ستظل مدفونة خلال الخمسة آلاف عامًا القادمة."

"يقومون بعرض محتوياتها في وستنجهاوس، والآلي إليكترو أيضًا. هل تعرفين ما هو التليفزيون؟ لابد أن تري التليفزيون." ونهض من أمام الطاولة مستطردًا: "ما رأيكما بزيارة وستنجهاوس؟"

كانت عينا كارمن تبتسمان من جديد وهي تهتف: "هيّا بنا!"

كانت كبسولة الزمن محشوّة بأشياء سخيفة؛ رسوم ميكي ماوس الهزليّة وسجائر ومجموعات من كُتب مطبوعة على ميكروفيلم. أثارت كبسولة الزّمن والآليّ إلكترو إعجاب المرأتين، لكن التلفزيون حلّق بفرجينيا أبعد من القمر؛ إذْ استطاعت أن ترى خالتها والسيد ألنبري داخل شاشة صغيرة بالأبيض والأسود، كأنّهما نجمان يمثلان

فيلمًا سينمائيًّا، لكن صورتهما كانت أصغر وتعرضهما شاشة داخل صندوق لا يتعدّى حجمه حجم المذياع في المنزل. كانا في الواقع داخل غرفة أخرى يقفان أمام كاميرا تختلف عن أي كاميرا رأتها من قبل، وكانا يقفان أمامها أيضًا. كان المشهد مثيرًا، وحين أبدلوا أماكنهم أشارت فرجينيا بيدها وتكلّمت في مكبّر الصوت وقالت: "هذه أنا على شاشة التلفزيون أقول مرحبًا من مكاني هُنا، في حين يُمكنهم أن تروني هناك!"

قالت كارمن: "انظري لنفسك! شديدة الجمال! وصرت أكبر! آه يا بيرت!" التفتت إليه وتابعت: "هذا مُحال، لكن ها نحن نراه بأعيننا!" لم تكن عينا بيرت على فرجينيا على شاشة التلفزيون، بل على كارمن؛ إذْ غمره بالسعادة أنّه لم يعد السيد ألنبري.

تفحّص ساعته وكانت تُشير إلى السابعة وست دقائق مساءً. مضى الموعد النهائي وانتهت الساعات الاثنتان والعشرون، لكن مهلًا؛ فثمّة مساحة للمناورة!

زاروا مباني دوبونت وكارير وبتروليوم إندستري، لكن معارضها لم تضم ما يخلب الألباب كما فعل التلفزيون. وكان المبنى الزجاجي ومعرض شركة التبغ الأمريكي والكونتننتال بيكينج مُجرّد تسلية لقتل الوقت، كلما طال تسكّعهم بين أرجائها اقترب حلول الظلام واستعراض الضوء.

شاهدوا أفلامًا عن المتزلجين فوق الماء في الأكاديميّة الرياضيّة، ثم اشترى ثلاثة أكواب آيس كريم تناولوها بملاعق خشبيّة صغيرة. اختارت فرجينيا مقعدًا يتّسع لهم وهتفت: "هذا هو المكان الّذي نشاهد منه الاستعراض!" تبيّنوا خلال ظُلمة المساء المتصاعدة،

الطريق من البحيرة إلى تمثال جورج واشنطن العملاق الّذي يُلقي بظلاله على البيرسفير متفحّصًا الأمّة العظيمة التي أسسها، وتحوّلت مباني المعرض حين خيّم الظلام إلى نقوش برّاقة على خلفيّة قاتمة، وأنارت ناطحات سحاب مانهاتن الأفق، وبدت أشجار المعرض المضيئة كأنّها تتوهّج بفعل نورها الدّاخلي.

أراد بيرت ألنبري أن تدوم هذه الليلة للأبد، فاشتهى الجلوس إلى جوار كارمن عند بحيرة الأمم، وأن يصغي إلى همهمات المعرض مستمتعًا بعطر الليلك والفانيليا الّذي يُحرّك نسائم 1939 الدافئة.

جمعت فرجينيا أكواب الآيس كريم الفارغة كي تلقي بها في سلة النفايات، فانفرد بيرت بكارمن لأول مرّة، ووضع يده فوق يدها.

قال: "كان يومًا رائعًا يا كارمن." وكانت كارمن تنظر إليه، آهٍ من تلك العينين البندقيتين! "لا بسبب الفيوتشراما، ولا بسبب التلفزيون."

فقالت كارمن، وكانت أنفاسها آسرة وهي تبتسم: "لعلّها البقرة إلسي؟"

"هل تأذنا لي أن اصطحبكما أنت وفرجينيا أثناء العودة حين يُوصد المعرض أبوابه؟"

"آه، لا أستطيع ذلك؛ فأختي تعيش في بقعة بعيدة من برونكس."

"سنستقل سيارة أجرة، وبعدها تنزلين حيث تقطنين في شارع ثمانية وثلاثين شرق."

فقالت كارمن: "هذا كرم وافر منك يا بيرت."

اشتهى بيرت أن يحتضن كارمن بين ذراعيه وأن يُقبّلها، ربّما في المقعد الخلفي داخل سيارة أجرة تتجه إلى شارع ثمانية وثلاثين شرق، أو في الغرفة 1114، بل الأفضل، في الطابق المئة من مبناه رقم 909 في الجادّة الخامسة.

ابتسم بيرت وقال: "أشعر بالفرح لأنّي جئت إلى المعرض اليوم."
همست كارمن، دون أن تفارق كفّها كفّه: "أنا أيضًا أشعر بالفرح."
بدأت الموسيقى في العزف عبر مكبرات صوت مخفية حول بحيرة الأمم، فسارعت فرجينيا بالعودة إلى المقعد بمجرّد بدء النوافير بقذف الماء إلى صفحة السماء، وتحويل الأضواء النوافير إلى أعمدة من الألوان السائلة. توقّف كل روّاد المعرض للمشاهدة، وحوّلت انعكاسات الضوء البيرسفير إلى كُرة ألوان متألقة.
أحبّت فرجينيا المنظر فهتفت: "عجبًا!"
وصاحت كارمن: "رائع!"
وفرقعت الألعاب النارية على صفحة السماء، ثمّ سقطت على هيئة شظايا مشتعلة، وتلاشت كدخان.
آنئذ أحسّ بيرت بصداع هائل يضرب جبينه، وجقّت عيناه على نحوٍ مؤلم فانتابته رغبة فظيعة في دعكهما، وبدأ أنفه وأذناه في نزف الدماء، وسرى الخدر في ساقيه، وبدا أنّ أسفل ظهره على وشك الانفصال عن نصفه السفلي. ثمّ أصاب ألم حارق صدره حين بدأت جزيئات رئتيه بالتفسّخ، وراوده إحساس أنّه يسقط.
كان أخر ما سمعه من كلمات هو هتاف فرجينيا: "سيد ألنبري!"، وأخر ما رآه هو الخوف في عيني كارمن البندقيتين.


Olympia

ابقوا معنا

موسيقى أغنية «ماما قالت أن أصرعك» للمغنّي ل.ل. كول ج.

ظهور تدريجي

مشهد خارجي: لاس فيجاس. صباحًا.

نألف هذا المكان؛ لاس فيجاس ستريب، حيثُ نوادي القمار ونوافير الماء. لكن مهلًا... فثمّة فندق جديد هائل فخم في الأفق.

الأوليمبوس.

أضخم من كل الفنادق الأخرى، وفي حال كنت مقامرًا كبيرًا، فإنّ مزاحك ومقامراتك مع الآلهة مكانها فندق الأوليمبوس.

لقطة قريبة: الكاميرا على وجه فرانسيس كزافييه روستان.

أو: ف. ك. ر. عينان خضراوان مرقطتان بالذّهبي كل ما تريانه هو تلك الحفلات الراقصة العامرة بالفرح.

لقطة قريبة: شاشات حواسيب.

الشّاشة اليُسرى: خرائط معماريّة مفصّلة لحقل شاسع لتجميع الطّاقة الشمسيّة.

الشّاشة الوسطى: صور من جوجل إيرث لمناطق جرداء؛ خرائط من وكالة المسح الجيولوجي الأمريكيّة؛ مخططات طوبوغرافيّة؛ ورسم بيانيّة بيئيّة.

الشّاشة اليُمنى: صور متداولة؛ رجل يصطاد سمكة مارلن وآخر يُمارس الطيران الشراعي وثالث يتسلّق صخور ورابع يقوم بالتجديف في نهر. ستيف ماكوين في فيلم بوليت. كلّهم نفس الرّجل؛ ف.ك.ر. باستثناء ستيف ماكوين.

لا يكفّ شريط الأخبار عن الدوران أسفل هذه الشّاشة.

يُفرقع نظام تشغيل النوافذ بتنبيهات ورسائل و«يُعرض الآن»الّذي يتحوّل من ل.ل. كول ج. إلى...

موسيقى أغنية «مامبو إيتاليانو» لدين مارتن.

يظهر مُربع نصّ:

ميركوري: سيدي؟ الفطور كالمعتاد؟

تكشف لنا هوية المتصل عن الآنسة ميركوري؛ شعر أسود فاحم قصير وأحمر شفاه خفيف.

يردّ ف.ك.ر. بالنقر فوق لوحة مفاتيح الحاسوب. ف.ك.ر.: طلبته، ونيكولاس يُحضره الآن. ميركيوري: من؟ ف.ك.ر.: موظّف جديد.

قَطْع:

مشهد داخلي. مصعد الموظفين. المشهد السابق.

الآنسة ميركوري امرأة مُذهلة؛ تُثير الرهبة كأنّها عارضة أزياء. يبلغ

طولها ستة أقدام؛ نحيلة؛ ممشوقة القوام؛ وترتدي ثيابًا سوداء. امرأة لا تُخطئها العيون بأي حالٍ من الأحوال.
تقرأ الرّد وتصرخ!

الآنسة ميركوري

أي موظّف جديد!؟

ظلّت مُساعدة ف.ك.ر. الشخصيّة طيلة اثني عشر عامًا؛ وهي وظيفة تعيش وتتنفّس كل تفاصيلها بكل دقيقة كل يوم. ومسألة أنّ «موظّفًا جديدًا» يُحضر لمخدومها الفطور، هي حقيقة ما كان يجب أن تتجاوزها!

تنقر أداة تُحيط برسغها؛ حاسوب في هيئة ساعة ضخمة تتلقّى إشعارات ونصوص وجداول مواعيد؛ وأخيرًا سلسلة من صور الموظفين. تمرر أصابعها فوق الشّاشة إلى أن تعثر على...

نيكولاس باباما بالوس؛ تسعة عشر عامًا. تُطل من عينيه نظرة ارتباك مثل صبي يخطو خطواته الأولى بأول وظيفة له على الإطلاق، وهي بالفعل وظيفته الأولى.

ينفتح باب المصعد وتجده أمامها؛ نيكولاس باباما بالوس في زي نادل بخدمة غرف فندق أوليمبوس، يدفع طاولة تضم أطباقًا مغطّاة.

الآنسة ميركوري (تابع)

(تغطّي وجهها ابتسامة عريضة)

عزيزي نيكي!

يرتبك نيكي؛ لِم تعرف هذه السيدة الطويلة اسمه؟

يدخل المصعد.

نيكولاس

أنا جديد هُنا.

الآنسة ميركوري

بالتأكيد! انظر لنفسك في هذا الزي الواسع جِدًّا حاملًا الفطور للسيد ف.ك.ر.، كل شيء جاهزا!

نيكولاس

هل ورطت نفسي في شيء؟

الآنسة ميركوري

ليس بعد يا صغيري.

نيكولاس

كيف عرفتِ أنّي أحمل هذا الفطور للسيد روستان؟

تكبس الآنسة ميركوري زرّ الطابق مائة وواحد، فينغلق الباب ويرتفع المصعد ببطء.

الآنسة ميركوري

لأني أعرف كل ما يدور داخل الفندق يا غُلام. هل تعرف السبب؟

نيكولاس

كلا. فأنا جديد هُنا.

الآنسة ميركوري

سأروي لك إذن بعض الأمور عنّي.

(بعدئذ)

هل تعلم ما كنت أفعله حتّى الثالثة صباح هذا اليوم؟ كنتُ أتأكّد من نقل مجموعة فرانسيس ك. روستان المائة واثنتين وثلاثين درّاجة نارية عتيقة إلى مستودع مؤمّن ضد تقلبات

المناخ، حيثُ تُحفظ في حالة تشغيل مُثلى على أمل أن يختار درّاجة منها ذات يوم كي يركبها في جولة. كانت أخر مرّة فعل فيها ذلك في مايو 2013، ورغم ذلك لم تردعني مسألة أنّه لم يستعرض بعد مرافق التخزين الجديدة لمجموعته من آلات البيانو العتيقة أو يافطات كريم حلاقة بورما شيف الكلاسيكيّة التي واصل شرائها طوال سنوات، عن استئجار عشرين رجلًا كي يلفّوا الدرّاجات النارية داخل أغطية واقية ويرصّونها بحذر شديد داخل مرأب مزوّد بتقانة عالية يُضاهي في حجمه وتكلفته كهف باتمان الخاص ببروس واين.

(بعدئذ)

ف.ك.ر. رجل شديد الثراء يزعم الدراية بكافّة التفاصيل حين يتعلّق الأمر بإمبراطوريته الواسعة. تشديد على حرف ما؛ وضع خطّ أو إمالة عبارة مُعيّنة. لكن إليك جانب لا أحد من ملايين المُعجبين به ومساعديه ومستغلي نفوذه ومنافقيه يعرفه عن الرئيس؛ أنّه يعجز عن تحضير غداء يتألف من خبز الكيزر وشرائح اللحم البارد وجرّة مايونيز. ذلك أنّ رأسه يُحلّق بين السحاب؛ لأنّ عقله يمتلئ بمشاريع لعينة تدر ثروات هائلة. لذلك نتواجد نحن الاثنان؛ أنا وأنت، هُنا كي نجعل حياته مُحتملة، فأعمل أنا اثنتين وعشرين ساعة يوميًا رهن إشارته، وتحضّر له أنت وجباته وتتذوقها كي تتأكد من مذاقها وخلوها من السمّ. أنا أمزح بشأن السم، أم تُراني جادّة؟

صوت جرس! يُعلن أنّهما بلغا الطابق رقم مائة وواحد

مشهد داخلي. صالة الموظفين في الطابق مائة وواحد. نفس الشخصيات. لكم هي صالة طويلة!

الآنسة ميركوري

(لا تزال الابتسامة تملأ وجهها)

قل لي أنّ هذا الفطور مثالي وإلا كسرت ساقك.

نيكولاس

بل كما ينبغي. الجرانولا العضوية ماركة السبع حبّات؛ شرائح مانجو وأناناس؛ عصير طماطم وقرفة وقهوة بالحليب. لكن...

الآنسة ميركوري

(وقد اختفت ابتسامتها!)

لكن ماذا؟

نيكولاس

لكنّه بعث برسالة نصيّة للمطبخ منذ نصف ساعة.

الآنسة ميركوري

أرني الرسالة!

يمُد نيكولاس يده إليها التي تحمل السّاعة الحاسوب:

ف.ك.ر.: إلى فريق المخبوزات؛ تغيير في الخطط؛ أريد فطائر الصّاج!

الآنسة ميركوري (تابع)

فطائر الصّاج! فطائر الصّاج؟ لا لا لا لا!

ترفع غطاء أحد الأطباق! فترى فطائر الصّاج.

الآنسة ميركوري

يا لها من حشوة رديئة! هل هذه فطائر الصّاج!

نيكولاس

بعصير توت العليق.

ينتاب الآنسة ميركوري الآن القلق.

الآنسة ميركوري

آه يا عزيزي نيكي، هذه ليست إشارة طيبة. ربّما تكون قد خرّبت يومي، لكنّي أقول لك أنّي سأجرّك معي إلى القاع إن قُدر لي أن أسقط اليوم.

نيكولاس

بسبب فطائر الصّاج؟ أنا لم أفعل شيئًا! فأنا جديد هُنا!

الآنسة ميركوري

الرئيس لا يطلب فطائر الصّاج إلا حين تنفد منه الأفكار. سأضطر هكذا إلى ترتيب بعثة إلى مضايق آيسلندا، لثلاثين من أصدقاء ف.ك.ر. المقرّبين كي يستطيع التجديف بقارب مطاطي في المياه المفتوحة، أو تجهيز حبل مشدود فوق وديان الغابة المطيرة في أوغندا كي يتمكّن أولئك الأصدقاء من إلقاء نظرة إلى الأسفل ورؤية قرود الشمبانزي تتواثب في البرية. أو التأكّد من أنّ كل موظّف في أوليمبوس مُكبّل بـ...

(الساعة الحاسوب)

...أحد تلك الأمور. وقد اضطررت في الحقيقة إلى تنفيذ تلك الأوامر من قبل. فطائر الصّاج تعني أنّي سأكلّف بعمل لن يبدو معقولًا للحيوانات القارضة. لقد أفسدت فطائر الصّاج يومي البائس بالفعل.

نيكولاس

لماذا تضطلعين بتلك الوظيفة إذن؟

الآنسة ميركوري

لا إجابة عندي على هذا السؤال، باستثناء الراتب الكبير.

يبلغان باب غرفة الفندق الوحيدة بالطابق رقم مائة وواحد.

الآنسة ميركوري(تابع)

قف إلى جوار الشلال الصناعي. اضبط بطاقة اسمك. وابتسم. لأنّه يحبّ الموظفين الّذين يبدو عليهم أنّهم يحبّون وظائفهم.

وتتوقّف كي تلتقط أنفاسها وتكسو وجهها بابتسامة مُشرقة. قدرتها على التحوّل بهذه الطريقة تُثير الفزع. تدق الباب... وتدخل.

مشهد داخلي. سقيفة؛ نهارًا.

مكان أنيق يمتلئ بشلالات الماء الصناعية وأحدث مُعدّات التمرين وشاشة فيديو تشغل جدارًا كاملًا قبالة صفّ من مقاعد السينما الكلاسيكيّة. تُطل النوافذ على أغلب مناظر لاس فيجاس.

الآنسة ميركوري

(بأقصى درجات السعادة المُتاحة)

أحمل فطائر الصّاج للسيد الرئيس!

ينهض ف.ك.ر. من مُحيط عمله أمام الحاسوب.

ف.ك.ر.

كان هذا سريعًا.

الآنسة ميركوري

دائمًا ما تقول ذلك!

يُرتِّب نيكولاس طاولة خدمة الغرف.

ف.ك.ر.

هل أنت نيكولاس؟

(يقرأ اسمه على البطاقة.)

يبدو ذلك. مرحبًا بك بيننا. ماذا جرى لأوشاي؟

الآنسة ميركوري

لقد أنجبت زوجة أوشاي طفلًا، هل تذكر؟ ونعم، أرسلت بالفعل سريرًا جديدًا للوليد وجهاز ترطيب، فضلًا عن مُرضعتين بدوام كامل.

يجلس ف.ك.ر. لتناول فطائر الصّاج.

ف.ك.ر.

انظرا لتلك الجميلات؛ إن صُنعن في طاس صرن فطائر محلاة. وإن صنعن في صاج صرن فطائر صاج. أين خبزوا تلك الفطائر يا نيكو، في طاس أم في صاج؟

نيكولاس

لم أشهد تحضيرها في الحقيقة يا سيدي. فأنا جديد هُنا.

ف.ك.ر.

سيدك؟ ينادوني هُنا بالعجوز ف.ك. فقط.

(ثمّ)

أرى أنّها فطائر صاج.

(ويصبّ عصير التوت)

آنسة ميركوري، لا أدري ما هو جدول أعمال اليوم، لكن ألغِ

كل شيء.

الآنسة ميركوري

أخر مرّة أمرتني فيها بذلك، جعلتني أضرب الأرض عبر المسيسيبي كي تستطيع شراء كل مزارع التيل في الدلتا.

ف.ك.ر.

أعتقد أنّي حولت تلك المزارع إلى مرفق لتوليد الطّاقة الشمسيّة .

الآنسة ميركوري

مرحى. لا أمزح. رائع.

تتنهّد وتهوي فوق الأريكة. وتبدأ في تصفّح الإنترنت عبر ساعتها الحاسوب.

(تقول لنفسها)

سيغدو نهارًا طويلًا...

يلتقط ف.ك.ر. طبقه ويمشي صوب حواسيبه الثلاثة، يصطفي صورًا، ويُشير بشوكته التي يقطر منها عصير التوت.

ف.ك.ر.

نهر شيبرتون الجاف ليس بالشيء الكبير الآن؛ إذْ صار مستويًّا وواسعًا ويملؤه التراب. لكنّها معجزة الطبيعة الأم التي تلقي عليه بأشعة شمس تفوق ما تحصل عليه تايلور سويفت من إعجاب على الفيسبوك.

الآنسة ميركوري

(تسجِّل الآنسة ميركوري «إعجابًا» بواحد من منشورات تايلور

سويفت على صفحتها بالفيسبوك.)

هذا قدر هائل.

ف.ك.ر.

كما أنّ الطريق رقم 88 القديم قريب من نهر شيبرتون الجاف.

الآنسة ميركوري

حقًّا؟ أجهل هذا الأمر.

ف.ك.ر.

سيشرع أي شخص لديه الجرأة في شراء تلك الأرض التي تمتد بمحاذاة الطريق السريع كي يستفيد من حالة الرواج التي سيتسبب فيها الطريق.

الآنسة ميركوري

(تشعر بالسأم، وتتفحّص أظافرها)

آه، هاها.

ف.ك.ر.

لذلك، هيًّا بنا!

الآنسة ميركوري

إلى أين؟

ف.ك.ر.

إلى طريق 88 القديم. ستكون رحلة ممتعة! مثل رحلتنا إلى كوستاريكا على طريق بان أميركان السريع لجمع العناكب.

الآنسة ميركوري

بلى. كانت مذهلة. يومئذ عضّني عنكبوت.

ف.ك.ر.

وشفيتِ.

الآنسة ميركوري

خُذ نايك معك اليوم.

ف.ك.ر.

لا أستطيع أن آمر نيك؛ إذْ أنّه عضوٌ بالاتحاد.

(ثمّ)

ألست عضوًا في الاتحاد؟

نيكولاس

بلى يا سيدي. أعني، يا سيد ف.ك.

الآنسة ميركوري

لِم لا تتزوج وتصطحب زوجتك في هذه الرحلات؟

ف.ك.ر.

لا أريد زوجة؛ إذْ يكفيني وجودك يا آنسة ميركوري. الزوجات لا يستسغن الحياة مع أمثالي.

الآنسة ميركوري

لكنّي مضطرة؟ لديّ مهام كثيرة ينبغي تنفيذها من أجل استمرار إمبراطوريتك.

ف.ك.ر.

ستفيدنا هذه الرحَلة.

تُبدي استسلامها.

الآنسة ميركوري

أرأيت يا نيكولاس! أنت وفطائر الصّاج!

نيكولاس

ماذا اقترفت؟

ف.ك.ر.

ماذا فعل نيك؟

الآنسة ميركوري

سأترك هذه الوظيفة يومًا، وأمتهن عملًا وقورًا، مثل التزلّج على الماء...

(تكتب شيئًا على السّاعة الحاسوب)

سأجهّز الطائرة.

ف.ك.ر.

بل الطائرتان الكبيرة والصغيرة. استقلي أنت الطائرة الصغيرة وابحثي لنا عن وسيلة مواصلات أرضيّة، وسألحق بك في الطائرة الكبيرة بعد أن أفرغ من التمرين.

الآنسة ميركوري

كما ترغب يا عملاق الصناعة. أي سيارة جامحة ترغب في إضافتها إلى المستودع؟ مونزا؟ أم سيرفر وودي؟

ف.ك.ر.

لتكن سيارة عاديّة كي نمتزج بالسكّان المحليين؛ ذلك أنّ نظامنا الاقتصادي قد تجاوز هذا الجزء من البلاد.

(وسحب رزمة نقود.)

اشتر لي أي سيارة لا يتجاوز سعرها ثمانمائة دولار.

الآنسة ميركوري

ثمانمائة دولار؟ لشراء سيارة؟ هذا سعر سيارة خُردة.

يسحب ف.ك.ر. مزيدًا من الدولارات.

ف.ك.ر.

لنجعلها ثمانمائة وخمسين دولارًا.

ويسحب عشرين دولارًا.

نيك؟ هذه لك.

يأخذ نيك النقود.

نيكولاس

أشكرك يا سيد ف.ك.

قَطْع:

مشهد خارجي. مطار ما في قلب مكان مجهول. نهارًا.

مهبط طائرات صغير ومكتب عمل ميداني تبدّلت ألوان دهاناته بسبب الجو. لا تهبط طائرات كثيرة في هذا المكان، لكن انظر هنا...

طائرة ضخمة تصل وتنضم إلى طائرة صغيرة متوقّفة. كلتا الطائرتان تحملان شعار فندق أوليمبوس على جانبيهما.

تجلس الآنسة ميركوري- ولا تزال في ثيابها السوداء- خلف مقود سيارة بويك تنتمي للسبعينيات، وقد أعادت سقفها للخلف.

تنفتح سلالم الطائرة الكبيرة، ونرى ف.ك.ر. في ثياب يعتقد أنّها ما يلبسه العاديون؛ قميص غربي منقوش بصور فاكهة مع بنطلون جينز قديم من نوع جورديك تملأه الكثير من الزينة، وحزام بمشبك معدني ضخم يحمل شعار سجائر مارلبورو، وحذاء رعاة بقر أحمر زاه.

يعتمر قبعة أنيقة من جون ديري ويحمل في يده قبعة رعاة بقر أخرى مصنوعة من القشّ.

الآنسة ميركوري

مرحبًا أيها الدوق، أو الزّعيم، أو أيّما تكون. هل جاء رئيسي على متن هذه الطائرة؟

ف.ك.ر.

(يُلقي نظرة على ثيابه)

مُذهلة، أليس كذلك؟ الأصالة هي الأساس.

الآنسة ميركوري

يُسعدني أنْ أذنت لك بعض فتيات استعراض الكازينوهات باقتحام غرفة ثيابهن.

ف.ك.ر.

(يُلقي نظرة على السيارة)

ماذا عنها؟

الآنسة ميركوري

استهلكت نصف خزّان بنزين ونصف لتر من الزيت خلال المسافة من المرأب إلى هُنا فقط. لكن الأنباء الطيبة هي أنّي ساومت البائع واشتريتها بسبعمائة دولار.

ف.ك.ر.

ضعي الباقي في خزينة النثريات، هُنا.

(قبّعة رعاة البقر)

امتزجي بالناس!

يضع القبّعة فوق رأسها.

ف.ك.ر. (تابع)

(يضحك)

ألا نبدو رائعين؟

الآنسة ميركوري

رغم كل تلك الثروة لا تزال فكرتك عن اللهو هي ارتداء ثياب قاتل فقير دون أي لمسة أناقة. أستطيع ترتيب حياة مشابهة لك مدى الحياة، أعطني فحسب كل ثروتك، وستعيش سعيدًا إلى الأبد.

يدور ف.ك.ر. حول السيارة إلى حيث المقعد المجاور للسائق، ويحاول الوثوب فوق الباب. يهبط متكوّمًا فوق المقعد الأمامي، وقد علقت ساقه.

الآنسة ميركوري (تابع)

هيّا إلى المغامرة!

تضغط دواسة البنزين فتزمجر السيارة وتنطلق، مثيرة التراب والحصى.

موسيقى أغنية «أي هاف بين إفريوير» لهانك سنو.

مشهد خارجي. طريق 88 السريع. لاحقًا.

تنطلق البويك مثيرة الصّخب عبر الطريق السريع، وتملأ الابتسامة وجه ف.ك.ر. في وجه الرياح.

ف.ك.ر.

ينبغي أن أخرج من تلك السقيفة كثيرًا!

الآنسة ميركوري

منذ أسبوعين كنت ترقص في الحيد المرجاني العظيم!

ف.ك.ر.

كي أرى أميركا الحقيقيّة. إذ لم أر ما يكفي من بلادي. الطريق المفتوح والسماء والواسعة وشريط الأسفلت الّذي لا يحمل سوى خطّ متقطّع والأفق. أحبّ هذه البلاد! كان الله في عوني، لكنّي أحبّها بقوّة!

(ثمّ)

النزول من قِمّة الجبل مُفيد للروح أحيانًا يا آنسة ميركوري. وإلا لن تري إلا قمم الجبال. لابد أن أضع ذلك في مذكّرة لسائر الموظفين.

الآنسة ميركوري

افعل؛ سيلهمنا ذلك.

(ثمّ)

لكن، إلى أين سنذهب يا قوي الشكيمة؟

يبعث رسالة من ساعته إلى ساعتها...

ف.ك.ر.

ثمّة بلدة صغيرة هُنا اسمها فريجيا.

(يُجرِّب نطقها ثلاث مرّات)

يبلغ عدد سكّانها مائة واثنين ساكن.

في السّاعة: صور فوتوغرافيّة وحقائق ومعلومات عن فريجيا...

ف.ك.ر.(تابع)

فيما مضى توقّف هُنا قيادي في طريق 88 الّذي كان يُعلن نفسه باعتباره عاصمة الضيافة الأمريكيّة. لنر مقدار

سخائهم مع أمثالنا.

الآنسة ميركوري

قبل أن تشتري كل متر لديهم.

(تتفحّص ساعتها)

آه، يا إلهي. ستستغرق هذه المسافة ساعات من القيادة!

سأشوى!

مشهد خارجي. يافطة عملاقة- باهتة؛ قديمة؛ تُزيّنها أعمدة نيون مكسورة ودهان مقشور يُعلن نُزل أوليمبوس...

مع ذلك، نرى بالكاد الجسدين الضخمين لرجل وامرأة يُشيران لسيارة لا وجود لها، ويهتفان بحروف لوحتها الشّمس "ابقوا معنا!"

موسيقى أغنية «*Que Te Vaya Bonit*» على آلة أكورديون.

نرى ترجمة للكلمات الإسبانية إلى اللغة الإنجليزيّة.

"لا أدري إن كان غيابك سيقتلني

فحتّى صدري مصنوع من فولاذ..."

قَطْع:

مشهد خارجي. نُزل أوليمبوس. فريجيا. نهارًا. نفس المشهد.

لا شيء يبقى على حاله في لاس فيجاس... لا شيء على الإطلاق.

ومثل اليافطة، شهد نُزل أوليمبوس أيامًا أحلى، وأجمل ما كان فيها؟ نظافة النُزل.

نسمع عزف خيسوس هيدالجو للمقطع الأخير من أغنية لم يقلل العزف على الأكورديون من جمالها الآسر.

الترجمة الإنجليزيّة: « لكن لن يصفني أحد بالجُبن
دون أن يعرف كم أحبّها...»

يُصفِّق زوجان عجوزان؛ فيل وبيا (بلى؛ نفس الشخصين على اليافطة) أثناء لملمة خيسوس آلته الموسيقيّة ووضعها داخل شاحنته القديمة.

فيل

موهبة لم أشهد مثلها قطّ!

بيا

تتفكك أعضائي في كل مرّة أسمعك تعزف فيها. أنت موهوب يا خيسوس.

خيسوس

كلماتكما تُثلج صدري يا سيد فيل، ويا سيدة بي. لطالما جعلتماني أشعر كأنّي في بيتي.

بيا

لأنّك يا خيسوس في بيتك حقًّا. في بيتنا.

فيل

حظًّا سعيدًا هناك في شيسترتون. سمعت أنّهم يجنون فوائد جمّة من مصنع زجاج السيارات هذا.

خيسوس

أشكرك. سأعود لزيارتكما مرّات عديدة. أعدكما.

بيا

أحضر لنا معك زجاجًا أماميًّا صنعته بيديك.

يتسلّق خيسوس سُلّم شاحنته التي تُغادر ساحة

انتظار النُزل. فيل وبيا يُراقبان الشاحنة تغيب بعيدًا على الطريق. ويُخيّم عليهما الصمت برهة.

فيل

ها هو نزيلنا الوحيد يُغادر. فراش آخر لن نُرتّبه.

بيا

يا ربّي، سأفتقد عزفه على الأكورديون.

فيل

ها هي اثنتان وستون دولارًا أخرى نخسرها كل أسبوع. تُرى، لم يرغب الناس في مغادرة هذه البقعة الصغيرة من الفردوس من أجل الحياة داخل بلدة حقيرة مثل شيسترتون...

بيا

كفى رعاية للتفّاح البري. أزل بعض الأعشاب الضّارة.

يُحدّق فيل في المرأة التي تزوّجها؛ المرأة التي لا يزال يراها بارعة الجمال...

فيل

لا تُعامليني كأني أجير.

(ثمّ)

ما لم يكن قصدك من وراء ارتداء هذا الثوب الزّاهي إغراء الأجير.

بيا

ربّما أفعل إن خرجت حاملًا جزازة العشب الضار ومرّنت عضلاتك اليابسة.

فيل

أعطني عشرين دقيقة أُنظّف خلالها الفناء، بعدئذ قابليني في الغرفة رقم 10؛ تجديني عاريًا في الحمّام.

بيا

اتفقنا.

يريان سيارة بويك مكشوفة على الطريق تومض إشارة الانعطاف.

بيا (تابع)

مهلًا. يبدو أن لدينا ضيوف.

فيل

بل صعاليك.

(يصيح)

عودوا في غضون ساعة يا رجال!

تتوقّف السيارة أمام النُزُل. نرى داخلها ف.ك.ر. والآنسة ميركوري! لا يزال السقف مكشوفًا.

ف.ك.ر. يبتسم، ويبدو على الآنسة ميركوري الإنهاك الشديد بسبب قيادة سيّارة مكشوفة ثلاث ساعات. توقف السيارة أمام فيل وبيا بالضبط.

ف.ك.ر.

مرحبًا!

فيل

مرحبًا؟

بيا

مرحبًا بكما.

الآنسة ميركوري

مرحبًا بك.

ف.ك.ر.

(بلهجة حميمة)

كما تريان، فنحنُ مسافران متعبان قطعا مسافة طويلة على الطريق.

الآنسة ميركوري

بدون كريم يقي من أشعة الشّمس.

ف.ك.ر.

نريد أن نرتاح من السفر. ونأمل أن نحظى بحفاوة حقيقيّة في الواقع.

بيا

ما رأيكما في تجربة نُزُل ما؟

ف.ك.ر.

هل تعرفين نُزُلًا مناسبًا قريبًا؟

بيا

حسنًا، هيّا نفكّر. نُزُل. تُريد نُزُلًا...

فيل

أفضل نُزُل في العالم يوجد هُنا في ضواحي فريجيا، واسمه الأوليمب؛ أو الأوليمبيان أو ما شابه.

يُلقي ف.ك.ر. نظرة على اليافطة الباهتة.

ف.ك.ر.

نُزُل أوليمبوس!

فيل

هذا هو.

ف.ك.ر.

آنسة ميركوري! نُزُل أوليمبوس! هذا قدرا

تتلهّف الآنسة ميركوري إلى مُغادرة السيّارة والاستمتاع بحمّام في أسرع وقت ممكن.

الآنسة ميركوري

بلا شكّ؛ فساحة الانتظار هذه تصرخ هُنا نصيبكما.

بيا

مرحبًا بكما. اسمي بيا، وهذا فيل. ابقوا معنا!

يتجمّد هذان العجوزان الفاتنان كهيئتهما في اليافطة من خلفهما، ويرفعان ذراعيهما بالتحيّة. يتبادل ف.ك.ر. نظرة مع الآنسة ميركوري، ولا يتزّحزح فيل وبيا، بل يظلان مُتجمدين مثل هيئتهما في "اليافطة". ويبقيان هكذا، دقيقة؛ دقيقتان؛ ثلاث دقائق.

الآنسة ميركوري

حسنًا، هل لديكما غرف شاغرة؟

بيا

(تقطع وقفتها)

ليس لدينا سواها.

قَطْع:

مشهد داخلي. مكتب استقبال النُزُل. نفس الشخصيات.

لقطة قريبة:

صورة فوتوغرافيّة باهتة التقطت منذ خمسين عامًا لفيل وبيا في شبابهما، يقفان بالطريقة ذاتها. يبدو أنّها المثال الأول لليافطة حين تم بناء النُزُل.

المكتب نظيف ومُريح. يتفحّص ف.ك.ر. الصورة الفوتوغرافيّة أثناء ملء بيا الأوراق المطلوبة.

بيا

إن كنت تشعر أنّك الوحيد هُنا، فهذا صحيح.

ف.ك.ر.

ثمّة ركود؟

بيا

منذ شيّد أيزنهاور الطُرق السريعة.

ف.ك.ر.

أهذا يرجع لتاريخ ملكيتكما لهذا المكان؟

بيا

ليس بالضبط، لكنّي أنا وفيل هُنا منذ كانت فريجيا محطّة ذات ثلاث نجوم مع نادّي السيارات.

تُعطيه بطاقة تسجيل وقلم جاف رخيص.

مشهد خارجي. نُزُل أوليمبوس. نفس الشخصيات.

تركن الآنسة ميركوري السيارة، يُصدر المُحرّك ضوضاء مُزعجة. يظهر فيل.

فيل

أظنّ أنّ المُحرّك يلفظ أنفاسه الأخيرة.

الآنسة ميركوري

ثلاثة أو أربعة أرباع جالون زيت ويختفي الصرير.

يظهر دخان من أسفل غطاء المُحرِّك.

فيل

ثمّة أخشاب تحترق!

(ثمّ)

أوقفيه يا عزيزتي.

هل حقًّا نادى على الآنسة ميركوري بـ "يا عزيزتي"؟

الآنسة ميركوري

لا بأس، كأنّنا في حفل شواء.

تُغلق المُحرِّك ونسمع صوت فرقعة. يتوقّف المُحرِّك، لكن صوت القرقرة التالية يجعل السيارة تبدو كأنّها لا تزال تعمل.

فيل

هذه السيارة لديها حياتها الخاصّة. ارفعي غطاء المُحرِّك!

الآنسة ميركوري

تُرى كيف أرفع مثل هذا الغطاء؟

تعثر على رافعة وتسحبها. يرتفع الغطاء، ويقذف عمود دخان.

مشهد داخلي. مكتب استقبال النُزُل- نهارًا.

يرى ف.ك.ر. الدخان أثناء تفحّص بيا بطاقة التسجيل التي عبأها.

بيا

ف.ك.ر.؟

ف.ك.ر.

حاضرا

بيا

لا توجد بطاقة ائتمانية، هه؟

ف.ك.ر.

أقسم بالله أن لا. كانت لديّ واحدة يومًا ما من أجل مركز تسوّق في فلينت بميتشغان، اشتريت بها وحين تراكمت الديون، تبخّرت.

لم يفعل شيئًا كهذا قطّ.

بيا

مرّت علينا حالات مماثلة.

(ثمّ)

الدفع نقدًا، ومسبقًا؛ لأنّي لا أعرفك.

ف.ك.ر.

كم المبلغ؟

بيا

سعر الغرفتين ثمانية وثلاثين دولارًا ونصف.

يُخرج محفظة نقود ينتمي تصميمها للغرب الأمريكي، كان قد انتقاها بنفسه.

ف.ك.ر.

(مضطرب البال)

أووووووه...

بيا

أو غرفة واحدة بسريرين، باثنين وعشرين دولارًا ونصف.

ف.ك.ر.

(يُفتّش محفظة النقود)

هل ثمّة غرفة أرخص؟

بيا

غرفة بسرير مزدوج بستة عشر دولارًا.

ف.ك.ر.

مهلًا، فكل ما لديّ هو اثني عشر دولارًا... وبعض الفكّة.

بيا

حسنًا... سأهبك إذن التخفيض الخاص بالنزلاء الوحيدين في النُزُل.

مشهد خارجي. نُزُل أوليمبوس. نهارًا.

تميل الآنسة ميركوري فوق غطاء السيارة إلى جوار فيل الّذي يتنقّل حولها حاملًا مفتاح ربط.

الآنسة ميركوري

وما أدراني بالسيارات؟ أزودها بالبنزين فقط وأنطلق.

فيل

ربّما دار في خلدك أنّه أمرٌ يسير، أليس كذلك؟

(ويسحب مضخّة الوقود)

هل تعرفين ما هذا؟

تُلقي نظرة على القطعة كأنها فأر ميت.

الآنسة ميركوري

فأر ميت؟

فيل

بل مُعجِّل انصهار مزوّد بمعوّق هواء مقاوم للحرارة.

الآنسة ميركوري

حقًّا؟

فيل

أستطيع أن أجلب لك واحدًا آخر، ينبغي فقط أن أجري اتصالًا بتومي بوير، كي يُعيد بناء قطعة أخرى هُنا بأسرع وقتٍ ممكن.

الآنسة ميركوري

رائع. ممتاز.

فيل

وسأقوم بتركيبه كي يتسنّى لك السفر مع بزوغ الفجر.

الآنسة ميركوري

سأكون في الفراش عند الفجر كي أنام ثلاث ساعات أخرى، لكن هيّا.

ف.ك.ر.(لا نراه)

آنسة ميركوري!

يدور رأسا الآنسة ميركوري وفيل. ثمّ نرى ف.ك.ر. برفقة بيا التي تفتح باب إحدى الغرف.

ف.ك.ر.(تابع)

تعال وألق نظرة على مكان إقامتنا.

مشهد داخلي. إحدى غُرف النُّزُل. نهارًا.

تقف بيا وفيل ويراقبان ف.ك.ر. يتفحّص الفراش في حين تُراجع الآنسة ميركوري الحمّام.

ف.ك.ر.

لا أريد أن أكون شخصًا مزعجًا، لكنّي أعاني آلامًا في عمودي الفقري بسبب انزلاق أصبت به أثناء قطع الأشجار في ألبرتا.

تُلقي عليه الآنسة ميركوري نظرة سريعة؛ إذ لم يفعل شيئًا كهذا قطّ.

ف.ك.ر. (تابع)

ستقتلني هذه الحشيّة قبل أن أنام.

بيا

(تُفكّر)

ألا يوجد في الغرفة رقم ثلاثة حشيّة جديدة؟

فيل

مضت عليها بضعة شهور فحسب. سأبدلها على الفور.

ف.ك.ر.

(يتحسس الملاءات)

وهذه «الملاءات»؟ خشنة جدًّا. لديّ حساسيّة.

بيا

سأحضر لكما طقمًا جديدًا.

ف.ك.ر.

هل ستغسليها؟ إذْ ما من ملاءات أسوأ من الملاءات الجديدة.

بيا

ولا حتّى مرض القلب. سأنقعها لكما.

فيل

(يبدو عليه الاهتمام)

جرِّب الوسائد؛ ذلك أنّ الوسائد الصلبة قد تؤذي ظهرك.

ف.ك.ر.

لن أستطيع تحريك عنقي في الصباح في حال كانت الوسائد صلبة أكثر من اللازم.

(يُجرِّب وسادة، لكنه يرفع عنقه سريعًا.)

ربّاه! هذا مُحال!

بيا

ننام على وسائد منخفضة مُريحة، سأضعها داخل أغطية نظيفة وأحضرها لكما كي تناما عليها هذه الليلة.

ف.ك.ر.

وأخيرًا هذه الصورة فوق الفراش.

كانت لوحة لنهر صغير يجري ومنزل ريفي.

ف.ك.ر. (تابع)

تذكّرني بدار رعاية نزلت فيها فترة طويلة. هل لديكما لوحة أخرى يُمكننا تعليقها؟

تُردد الآنسة ميركوري عبارة "دار رعاية "بينها وبين نفسها باستهجان.

فيل

يوجد في الغرفة رقم اثني عشر لوحة تصوِّر بعض طيور البطّ.

ف.ك.ر.

أخاف من الطيور المائيّة.

فيل

ثمّة لوحة تصوِّر بعض عجلات السيارات في غرفة رقم ثمانية.

الآنسة ميركوري

عجلات سيّارات؟ ما الداعي لرسم عجلات سيارات؟ لا أفهم ذلك.

فيل

يوجد قناع مُهرِّج في غرفة رقم ثلاث عشرة.

مُحال؛ ذلك أنّ الفكرة أصابت ف.ك.ر. بقشعريرة.

بيا

ما رأيكما لو أزلنا كل اللوحات؟

ف.ك.ر.

هذا حل مناسب.

قَطْع:

مشهد داخلي. غُرفة نُزُل. نهارًا.

بعد فترة. يحمل فيل حشيّة جديدة، وتُبدي الآنسة ميركوري إعجابها بنعومة فوط الحمام، وتضع بيا أغطية جديدة فوق الوسائد المُستعارة.

الآنسة ميركوري

(بدهشة غامرة)

ماذا تستخدمان كي تجعلا هذه الفوطة بمثل هذه النعومة؟ كأنّها من فرو المِنك!

بيا

أغسلها فحسب يا عزيزتي. ثمّ أقوم بنشرها كي تجفّ.

الآنسة ميركوري

أتلهّف على الاستحمام!

بيا

افتحي صنبور الماء السّاخن حين تدخلين الحمّام، سيستغرق وقتًا.

ف.ك.ر.

حسنًا، شيء أخير. كيف نأكل هُنا؟

فيل

كان ثمّة مقهى على الجانب الآخر من الطريق اسمه مقهى ترومان، يُقدِّم فطائر رائعة، ولحوم مشوية في قِدر. لكنّه أوصد أبوابه عام 1991.

بيا

توجد مطاعم للوجبات السريعة في شيسترتون، بعدنا بستة وثلاثين ميلًا مباشرة.

فيل

أفضِّل أن آكل غرابًا على تناول الطعام في شيسترتون.

الآنسة ميركوري

أنا أيضًا. نحنُ عالقان هُنا؛ إذْ تعطّل مُعجِّل الانصهار في السيارة.

فيل

(يتذكّر ويجفل)

ينبغي أن أتصل بتومي بوير!

يُغادر...

الآنسة ميركوري

هل ثمّة خدمة غُرف؟

بيا

اعتمدي على نفسك قليلًا، من فضلك.

قَطْع:

مشهد خارجي. خلف النُزُل- بعد قليل.

مزرعة صغيرة، تضم حظيرة دجاج وبستان منمّق. تتفحّص بيا الخضروات بخبرة واضحة وتُحاول الآنسة ميركوري قطف ثمرة طماطم.

الآنسة ميركوري

(تُلقي ما قطفته داخل سلّة)

حسنًا. طماطم، وفجل، وهذه الأشياء الخضراء الطويلة، ونصف أظافري.

بيا

أليس الأفوكادو مثاليًّا؟ ينبغي أن أغرس بعض أشجار الأفوكادو.

الآنسة ميركوري

هل تنمو الأفوكادو على أشجار؟

بيا

بلى. لكنّك تحتاجين إلى شجرتين، ذكر وأنثى، وإلا لن تري ثمرًا.

الآنسة ميركوري

هل تمارس الأشجار... الجنس؟

بيا

مرّة كل أسبوع. مثلي ومثل هذا الرجل العجوز.

تضحك بيا، وحتّى الدجاج قأقأ مازحًا.

الآنسة ميركوري

هذه معلومات غير معهودة...

قَطْع:

مشهد خارجي. مَسْبَح. عند الغروب.

أعدّ فيل حفل شواء تدور فيه دجاجة هزيلة حول سيخ. المَسْبَح خالي من الماء ...

ف.ك.ر.

إذن فأنتما لم ترزقا بأبناء؟

فيل

(ينفض كفّيه)

لم نستطع، ولم نبال أيضًا. كان هذا المكان في الأيام الخوالي يحتشد بالأطفال طوال الوقت؛ بسبب وجود هذا المسبح. كان ثمّة عشرة نُزُل على طول الطريق 88 قبل أن يعزلنا الطريق السّريع، ثلاثة منهم فقط كانت تضم مسْبحًا. لذلك كنت أضع يافطة كل عشرين ميلًا كُتب عليها «ماونت أوليمبوس- مَسْبَح.» وخمّن المكان الّذي كان الأطفال يطلبون الإقامة فيه؟

ف.ك.ر.

في رفقة فيل وبيا.

فيل

هل عملت يومًا في مجال الفندقة؟

ف.ك.ر.

ليس بشكل قانوني.

يحدجه فيل بنظرة تساؤل.

فيل

هذا عمل لا تستطيع تعلّمه. بل ينبغي أن تكون مطبوعًا عليه؛ عليك أن تحب النّاس وتثق بهم، وتكذب قليلًا حين يسألك أصحاب العيون الكسولة عن غرفة شاغرة. لا حياء في ذلك؛ هذه حكمة.

ف.ك.ر.

لابد أنّك تحب العمل في النُّزُل.

فيل

أحبّ هذا النُّزُل، لكنّه في حاجة لمزيد من التحسينات.

موسيقى أغنية «الموعد الأخير» للعازف فلويد كريمر.

قَطْع:

مشهد خارجي. مشهد طبيعي. الغروب.

عند هذه اللحظة تحديدًا تغطس الشّمس؛ تغيب، وراء الأفق.

قَطْع:

مشهد خارجي. نُزُل أوليمبوس؛ المكان بالكامل. ليلًا.

اليافطة نفسها غير مضيئة، بل يلقي أحد مصابيح البستان

الرخيصة نورًا عليها.

نرى إلى جوار المسبح صاحبا النُزُل وضيفاهما يستمتعان بعشاءٍ في الهواء الطلق.

فيل

أخبراني، كم مضى عليكما سويًّا؟

الآنسة ميركوري

ماذا؟

فيل

أنتما الاثنان. كزوجين؟

بيا

هذا ليس من شأنك يا فيل.

الآنسة ميركوري

(تتسع عيناها!)

هل نحن زوجان؟ زوجان؟ زوجان؟

فيل

رجل وامرأة داخل السيارة نفسها، يدخلان النُزُل معًا، ويحجزان نفس الغرفة. مثل هذا المشهد يتكرر ملايين المرّات...

تدور عينا الآنسة ميركوري في محجريهما. ثمّ تهزّ رأسها، ثمّ تضحك في سرّها.

الآنسة ميركوري

(تُشير إلى ف.ك.ر.)

مُحال أن يغدو هذا الرجل نصفي الآخر، حتّى لو صار الريح

الّذي أخرجه خبزًا محمّصًا.

بيا

آه، سأسرق تلك العبارة.

ف.ك.ر.

كما تقول الآنسة ميركوري، بيننا علاقة رئيس ومرؤوس ملائمة في كل الأحوال.

الآنسة ميركوري

في حال لم ينم على الأريكة، وهو ما لن يفعله لأنّه لم ينم على أريكة من قبل قطّ، فلا ريب أنّي من سينام عليها!

فيل

لا بأس.

(ثمّ)

هل أنت سحاقيّة يا آنسة ميركوري؟

الآنسة ميركوري

كلا. لست من هذا النوع. أنا عزباء فقط.

بيا

ما من رجل في حياتك؟

الآنسة ميركوري

انظرا... ائذنا لي بتفسير هذا الجانب من حياتي لغريبين بعض الشيء، لطيفان مثلكما.

(ثمّ)

قد يُعقِّد حياتي وجود رجل فيها إلى أبعد حدّ؛ ذلك أنّ حاجتي للرجل الآن مثل حاجة قفص دجاجكم إلى طبق

قمر صناعي. أنا لا مرتبطة، ولا على صلة بأحد. سيأتي هذا اليوم حين ألقي بكل ذلك وأودّع رئيسي، وأمضي طلبًا للزواج والأبناء وثياب عيد القديسين التي أصنعها بنفسي، وغيرها من أمور الزواج. لكن حتّى تحين هذه السّاعة، أنا سعيدة بكوني عزباء تعمل في خدمة هذا الرّجل...

(تُشير إلى ف.ك.ر. الّذي يومئ برأسه)

الّذي يُصيبني بالجنون لكنّه يضحك حين ألقي نكتة. أتقاضى راتبًا جيدًا وأرى العالم، من تاسمانيا إلى هذا النُزُل البهي. ما من متسع عندي لوجود حبيب.

يسود الصمت برهة.

بيا

إذن، هذا هو ردّي.

يسود الصمت برهة أخرى. السكوت يلفّ الجميع، وجميل.

ف.ك.ر.

أنصتي.

الآنسة ميركوري

إلام؟ أنا لا أسمع شيئًا.

ف.ك.ر.

لأنّك لا تنصتين.

بيا

للصمت. يقصد أنصتي للصمت.

الآنسة ميركوري

آه.

(تُنصت)

أحاول حقًّا... لكنّي لا أسمع شيئًا.

ف.ك.ر.

الموقف الوحيد الّذي يراودني فيه شعور مماثل لما يجعلني هذا الهدوء أشعر به هو...

(لكنّه يحتفظ بالسرّ لنفسه.)

سوى أنّه لا يدوم أبدًا.

فيل

لكنّه يدوم هُنا.

بيا

إنّ كمال الصمت يحبس أنفاسي؛ إذْ بصرف النظر عن المشاكل والهموم، أجد عزاءً في سكون الليل.

يُلقي فيل نظرة على زوجته، ويرمق ف.ك.ر. بيا هو الآخر، أمّا الآنسة ميركوري فتتأمّل ظلام الليل.

الآنسة ميركوري

آه، أسمعه الآن. لا شيء. تقصد صوت الخواء.

(وتُنصت)

أوه. آه.

يدوي بوق سيارة بعيدة، ويظهر نور المصابيح الأماميّة، وتتوقّف شاحنة صغيرة أمام النُزُل.

ف.ك.ر.

كفى.

ببيا

هذا تومي بوير.

فيل

جاء بتلك القطعة من أجل سيارة العزباء رقم واحد.

(ثمّ للآنسة ميركوري)

قد يروق لك تومي؛ ما دمت امرأة غير عصريّة.

الآنسة ميركوري

(تدور عيناها في محجريهما)

ربّاه، لابد أن أصفف شعري...

فيل

(يُنادي)

تومي!

ينزل تومي بوير من الشّاحنة، يبدو أوسم رجل على سطح الأرض.

الآنسة ميركوري

هل هذا هو تومي بوير؟

(تقف مذهولة)

ربّاه...

تُسارع بترتيب شعرها.

الآنسة ميركوري (تابع)

آه يا. يا يا ...

ببيا

يعشق الطبخ.

الآنسة ميركوري

(تلعق خصلة من شعرها وتثبّتها في مكانها)

هل تسخرين مني؟

يدنو تومي بوير الأكبر، يحمل أحد أجزاء مُحرِّك سيارة.

تومي بوير

أسعد الله مساءك يا بيا. طاب مساؤكم يا رفاق.

بيا

هل أكلت يا تومي؟

تومي بوير

بلى، أشكرك. هل اتّصلت من أجل مضخة وقود سيارة جنرال موتورز قديمة يا فيل؟

فيل

نعم. من أجل هذه السيدة الصغيرة هُنا.

نرى الآنسة ميركوري مفتونة بتومي.

تومي بوير

مرحبًا.

الآنسة ميركوري

(برأس دائخ)

كيف حالك!

بوير

أثمّة مشكلة في سيارتك؟

الآنسة ميركوري

بلى في الواقع. تُعاني سيارتي الصغيرة هذه مشاكل مزعجة.

تومي بوير

هل هذه هي؟ البويك.

الآنسة ميركوري

هل هي بويك؟ نعم. سيارتنا البويك المُعطّلة الرديئة المكروبة...

تومي بوير

هيّا نر لِمَ لا تعمل.

الآنسة ميركوري

حسنًا. سأرفع لك غطاء المُحرّك.

(وتهمس لبيا)

ساعديني؛ فأنا أتحدّث مثل فتاة في السادسة من عمرها.

بيا

حصل تومي على الطلاق منذ ثلاثة أعوام. ولديه ابنة صغيرة. أقلع عن التدخين الصيف الفائت. ويقرأ كثيرًا.

الآنسة ميركوري

فهمت. أشكرك.

تبتعد برفقة تومي بوير

فيل

ها هي تعويذة نُزُل أوليمبوس السحريّة تعمل مرّة أخرى.

بيا

(تنهض)

سأنظّف المكان. أنتم معشر الرجال تهدرون الوقت دائمًا،

كما تفعل أنت، حين تشرع النساء في التنظيف.

فيل

حسنًا.

(ثمّ تحوّل إلى ف.ك.ر.)

ما رأيك في أن نقوم بجولة حول المكان؟

قَطْع:

مشهد خارجي. نُزُل أوليمبوس. على أطراف المكان. ليلًا.
يتمشّى فيل وف.ك.ر. على أطراف فناء النُّزُل.

فيل

(يُشير أمامه)

كنت أرجو أن أستفيد من تلك الفدادين العشرة هُناك، لكن دون جدوى. كدت يومًا أبني كوخ ثعابين.

ف.ك.ر.

كوخ ثعابين؟

فيل

بلى. فلدينا يافطات على طريق 88 كُتب عليها: "زوروا كوخ الثعابين بعد 140 ميلًا"، "كوخ الثعابين، 62 ميلًا، مُكيّف الهواء!" لكن بيا نبّهتني إلى معلوماتي المحدودة جِدًّا عن تربية الثعابين، لذلك اكتفينا بالنُّزُل.

ف.ك.ر.

إنّه نُزُلٌ لطيف. مكان صغير مضياف. أحبّ الاسم.

فيل

لا نطيق البقاء هنا أسبوعًا كاملًا؛ لذلك نقضي يومًا كل

أسبوع في شيسترتون، في البنك والتسوّق، واستعمال الواي فاي في فناء مقهى ثيو، كي نتصل بالعالم الخارجي ساعتين كل أسبوع.

ف.ك.ر.

(محزونًا)

هكذا تجري الأمور.

(ثمّ يستعيد شخصيته الشعبيّة)

إنْ قُدِّر يومًا لي أن أمتلك أحد تلك الحواسيب المحمولة، سأجرّب الاتصال بالإنترنت.

يرمق فيل ف.ك.ر. أثناء سيرهما.

فيل

ما هو الاسم الأوسط الّذي يبدأ بحرف ك؟ باستثناء كزا فييه ؟

(ثمّ)

فرانسيس كزافييه روستان.

يتوقّف ف.ك.ر. وقد علم أنّ حيلته انكشفت.

لقد خمّنت بيا شخصيتك الحقيقيّة حين وقّعت باسم ف.ك.ر.، هل سمعت يومًا عبارة «اسم مستعار»؟

ف.ك.ر.

(وقد فارقته الشخصيّة «الشعبيّة»)

أرجو المعذرة لأنّي لم أكن صادقًا معكما.

فيل

بل كنت صادقًا، باستثناء ما يتعلّق بكونك رجل ثري وشهير

يركب سيارة رثّة.

(ثمّ)

هل تقضى إجازة تنكريّة مرحة؟

ف.ك.ر.

لا.

فيل

هل ستقاضينا بسبب الاسم؛ لأنّ أوليمبوس علامة تجاريّة تخصّك؟

ف.ك.ر.

لا أعمل بتلك الطريقة.

فيل

قليلون من يشبهونك.

ف.ك.ر.

أبحث عن الأرض وأشعّة الشّمس.

فيل

الكثير منهما حولك. الأرض ستدفع ثمنها، أمّا الشّمس فبالمجّان.

(ثمّ يُتابع مشيرًا بيده)

نمتلك من هُناك إلى هُناك. ولن نتجاوز هذه الحدود بحسب المنطق وكلام الأطباء، بل نتمنّى أن نختم أيامنا بمكان جميل يُشبه نُزُلنا هذا.

ف.ك.ر.

إذن، هل أطرح عرضًا؟

فيل

(يوقفه بإشارة من يده)

تكلّم مع بيا فيما يخصّ العمل؛ فهي الرئيس.

(ثمّ)

سأعود لتناول كوب حليب مُحلّى.

يُراقب ف.ك.ر. الرجل العجوز يبتعد.

قَطْع:

مشهد خارجي. نُزُل أوليمبوس، ساحة انتظار السيّارات. ليلًا.

غطاء السيارة البويك مرفوع. تُمسك الآنسة ميركوري مصباح الكهرباء لتومي بوير، وتناوله العُدّة.

الآنسة ميركوري

إذن، فالعُدّة المتريّة تختلف عن العُدّة المعياريّة؟

تومي بوير

هذه هي القواعد.

(ثمّ)

حسنًا. حاولي تشغيل السيّارة.

تثب خلف المقود.

الآنسة ميركوري

حسنًا! هيّا اعملي!

تُدير المفتاح، فتعود الحياة إلى السيّارة!

الآنسة ميركوري (تابع)

مرحى! لابد أن تقرأ المزيد من الكتب حول إصلاح السيارات!

يظهر ف.ك.ر.

سيدي! أنا وتومي بوير سنختبر السيارة.

تومي بوير

حقًّا؟

الآنسة ميركوري

أريد أن اختبرها عبر مسافة طويلة من طريق 88! سنغيب بعض الوقت، لذلك لا تسهر في انتظاري، وكأنّك ستسهر. اسهر، وانتظر عودتي من اختبار قيادة السيّارة...

(ثمّ توجّه حديثها لتومي أخيرًا)

هل نحمل بندقيّة؟

يدخل تومي السيّارة ويربط حزّام مقعده. تُدير الآنسة ميركوري الراديو ثمّ تعود بالسيارة إلى الخلف، قبل أن يبتلعهما الظلام.

موسيقى أغنية «لقد بدأنا توًّا» للشقيقين كاربنتر.

مشهد داخلي. مكتب استقبال النُزُل. ليلًا.

نسمع دقّات مفاتيح آلة كاتبة. يدخل ف.ك.ر. ويرى بيا جالسة أمام طاولة تنقر مفاتيح آلة من نوع أوليمبيا.

ف.ك.ر.

هل لديكما حقًّا حليب مُحلّى؟

بيا

فوق الموقد.

يجد ف.ك.ر. وعاء حليب، وكوب، وجرّة. يُعدُّ لنفسه حليبًا ساخنًا مُحلّى.

بيا (تابع)

أطلب سعرًا كبيرًا لحدٍّ ما مُقابل المرافق، رغم أنّي أعرف أنّك ستهدم كل شيء على أي حال.

هل تعتزم شراء كل الأراضي المحيطة هُنا؟

ف.ك.ر.

إن استطعت.

بيا

سنغدو إذن أولى صفقاتك، هذا شرفٌ لنا.

يُحدّق في صورة بيا وفيل الفوتوغرافيّة؛ المصدر الأصلي لليافطة التي فارقتها الحياة أمام النُزُل.

ف.ك.ر.

كم كان عمركما وقت التقاط هذه الصورة؟

تراه يُحدّق في الصورة.

بيا

كنتُ في التاسعة عشرة من عمري، وكان فيل في الثالثة والعشرين. أثناء شهر العسل في اليونان. فوق جزيرة شديدة الدفء والهدوء جعلتنا نتمنّى إلا نغادرها أبدًا، لكننا اضطررنا طبعًا. هو التحق بالقوات الجويّة وأنا أنهيت دراستي، بعدئذ رأينا هذا المكان أثناء رحلة على طريق 88 القديم، وأدركنا أنّه مناسب كي نستثمر فيه كل مدخراتنا، وحقق نجاحًا كبيرًا.

تسحب الورقة من الماكينة وتعطيها له.

سيضع عليها محاموك لمساتهم، لكن هذه هي الأساس؛ إمّا أن تقبلها كما هي أو ترفضها.

لا ينظر إليها حتّى.

ف.ك.ر.

ألم تعاودا زيارة اليونان قطّ؟ في إجازة؟

بيا

نحنُ صاحبا نُزُل؛ أي أننا كل يوم في إجازة.

قَطْع:

مشهد خارجي. نُزُل أوليمبوس، فريجيا- ساحة انتظار السيّارات- في وقت لاحق.

يطوي ف.ك.ر. ورقة مطبوعة ويحشرها داخل جيبه العلوي أثناء رجوعه إلى غرفته. تُطفأ الأنوار داخل المكتب خلفه، وتضيء المصابيح الخافتة فوق اليافطة القديمة.

يتوقّف في قلب الليل الهادئ...

اختفاء تدريجي

موسيقى أغنية *«Mi Reina y Mi Tesoro»*.

شريط الترجمة: "الآن أعرف

أنّي أحبّها بإخلاص..."

ظهور تدريجي

مشهد خارجي. نُزُل أوليمبوس، فريجيا- في وقت مبكّر من الليل.

يكتمل الغروب، ويكتسي ضوء النهار باللون الأزرق.

شريط الترجمة: "سأبذل كل ما أستطيع

كي أغزو قلبها..."

نرى حفلًا. الأضواء ممدودة عبر ساحة انتظار السيارات

وتضفي سحرًا على الليل الزّاحف.

نرى خيسوس هيدالجو يعزف مع فرقته الموسيقيّة لرجل وامرأة يرقصان. يُغنّي هيدالجو عن ملكته وحبّه لها بكل جوارحه، ونرى أسرته الواسعة والأطفال يلهون داخل المسبح الّذي امتلأ بالماء حديثًا.

نرى تومي بوير برفقة ابنته الصغيرة ورفيقاتها يلعبن نطّ الحبل مع الآنسة ميركوري التي تغيّر مظهرها جِدًّا، وتلبس الآن بنطلون جينز رياضي وصدار مكشوف.

يحتشد عُمّال حول بعض الشّاحنات، يُعيدون أدواتهم إلى أماكنها، ويُغادرون العمل أخيرًا بعد أن أصابهم التعب.

يضع نيكولاس؛ موظّف خدمة الغُرف، اللمسات الأخيرة على عشاء فاخر يُشبه ما يُقدّم على ضفاف مسبح قارب الحُبّ[13] الفخم.

سُكّان محليون من بعيد؛ مثل شيسترتون، جاءوا من أجل الحفل الكبير يحملون كراسيهم الخفيفة.

يرتدي ف.ك.ر. حُلّة بسيطة وأنيقة. يتحدّث حول مشاريع بناء بالاشتراك مع نصف دستة من المهندسين.

يجلس فيل وبيا معصوبا العينين فوق مقعدين بارزين كما في برنامج المسابقات «قُل الحقيقة».

بيا

آه، لكم افتقدت ذلك الرّجل وهذا الأكورديون!

فيل

---

(13) إشارة إلى مسلسل أمريكي شهير بطولة بيرني كوبيل وفريد جراندي، استمرّ عرضه بين عامي 1977 و1986. [المترجم]

من طريقة سير الأمور يبدو أنّنا سنشهد سيركًا بعد أن ينتهي هذا العرض.

تتمايل بيا مع اللحن المكسيكي، ويأتي رئيس عُمّال اسمه كولينز ويهمس شيئًا في أذن ف.ك.ر. الّذي يصرف المهندسين بلباقة.

ف.ك.ر.

آنسة ميركوري! نحن جاهزون.

الآنسة ميركوري

(تلفّ الحبل الّذي تلعب به)

ومن هي الانسة ميركوري؟

ف.ك.ر.

آه، آسف. إن هي إلا عادة قديمة.

(يُحاول من جديد)

ديانا! نحن جاهزون!

الآنسة ميركوري

حسنًا، ف.ك.! سأكون هناك!

(وتُخاطب ابنة تومي)

تعال يا ليزي. هيّا نشاهد الاستعراض!

يختتم خيسوس أغنيته بلحن مثير، ويعلو تصفيق للفرقة.

يتجه ف.ك.ر. إلى فيل وبيا.

ف.ك.ر.

هل تسترقان النظر؟ لا تكتما الحقيقة.

فيل

لا.

بيا

هل تصُفّ فريق إطفاء؟

ف.ك.ر.

هل العصابة قاتمة بما يكفي يا ديانا؟

الآنسة ميركوري

نعم.

ف.ك.ر.

حسنًا يا كولينز!

يقف كولينز عند مفتاح الكهرباء الرئيس.

كولينز

سأطفئ الأنوار!

يطفئ كولينز الأضواء داخل فناء النُزُل، فيغرق المكان الآن في ظلام دامس.

ف.ك.ر.

لا بأس. يُمكنكما الآن أن تنزعا عصابتيكما.

ينزعان عصابتي رأسيهما، ويجدان المكان غارقًا في الظلام.

فيل

تبًّا، أعجز عن رؤية أي شيء.

بيا

إلى أي جهة عليّ أن أنظر؟

فيل

أين السيرك اللعين؟

ف.ك.ر.

(يصيح)

اضيئوا الأنوار!

يكبس كولينز مفتاحًا آخر، فتغرق ساحة انتظار السيّارات وكل من فيها في أضواء نيون ...حمراء وزرقاء وذهبيّة.

ترى الآنسة ميركوري مشهدًا شديد الروعة، وإلى جوارها تومي بوير ممسكًا بابنته.

تومي بوير

يا للجمال!

يرفع الضيوف عيونهم إلى السماء تملؤهم الرّهبة والحماس.

الآنسة ميركوري

ربّاه! يا لها من أضواء فردوسيّة!

لقطة قريبة: نرى فيل وبيا صامتين، والأضواء تتراقص فوق وجهيهما كأنّها استعراض سحري يجري في السموات...

اليافطة

صورة كبيرة لفيل بيا؛ تزينهما ألوان زاهية وقويّة، يحييان العالم كعملاقين توأمين يلفهما ليلٌ دامس.

يقولان: "ابقوا معنا!" بذراعين مرفوعين؛ باشّين؛ مضيافين؛ شابّين.

اليافطة رائعة. رائعة بحقّ.

تمدّ بيا يدها وتلتقط ذراع زوجها. وينظر كل منهما في عينيّ الآخر.

بيا

يبدو كأنّنا سنعيش هُنا إلى الأبد...

يسمعها ف.ك.ر.، فيرفع عينيه إلى اليافطة، وتتراقص الألوان فوق وجهه هو الآخر.

قَطْع:

مشهد خارجي. نُزُل أوليمبوس -المكان بالكامل- نفس الشخصيا ت .

تُشرف اليافطة على مشهد نُزُل أوليمبوس.

ثمّ...

يتحوّل المشهد ببطء إلى ...

مُفترق طُرق يحتشد بالسيارات.

تغدو الصحراء مباني مُرتّبة بعناية، كل منها آية معماريّة.

محطّة الطاقة الشمسيّة مُشيّدة وتمتد على مرمى البصر.

اتّسعت فريجيا وغدت مدينة صغيرة بديعة...

بالقرب من يافطة...

تحمل صورة بيا وفيل؛ اللذان سيظلان لأجيال يدعوان كل من يمرّ بهما أنْ ابقوا معنا.

تختفي الصورة بالتدريج



اذهب وقابل كوستاس

أوفى إبراهيم بوعده وأعطى حسن زجاجتي جوني ووكر ريد ليبل بسعر زجاجة واحدة. كانتا مسروقتين دون أدنى شكّ، لكن لا إبراهيم ولا حسن اكترثا بالأمر. ففي تلك الأيام، كان الكحول الأمريكي أثمن من الذّهب والسجائر الأمريكيّة نفسها.

ارتدى حسن حُلّته المخططة الزرقاء شبه الجديدة، وحمل الزجاجتين اللتان أصدرتا صليلًا داخل حقيبة ظهره، وفتّش في مطاعم ميناء مدينة بيرايوس الكثيرة عن قائد سفينة بيرنجاريا الّذي يشتهر بحبّه لمذاق وتأثير خمر جوني ووكر ريد ليبل. كما كان معروفًا أيضًا أنّ السّفينة بيرنجاريا تنقل بضائع إلى أميركا.

عثر حسن على القائد في مطعم أنتوليس يُحاول الاستمتاع بقهوته الصباحيّة، فعاجله قائلًا: "لا أحتاج إلى إطفائي آخر."

"لكنّي على دراية بالسفن، وأتقن لغات كثيرة، وماهر بالعمل اليدوي، ولا أتباهى أبدًا." ابتسم حسن بسبب مزحته الصغيرة، لكن القائد لم يبتسم، فأردف: "سل أي شخص في جزيرة ديسبوتيكو."

أشار القائد للنادل أن يحضر قهوة أخرى، وسأل حسن: "لست يونانيًا؟"

أجاب حسن: "بل بلغاري."

"وما هي هذه اللكنة في حديثك؟" وكان القائد قد أنجز صفقات كثيرة مع البلغاريين أثناء الحرب، لكن لكنة هذا الرجل كانت ذات إيقاع غريب.

"أنا من الجبال."

"من البوماك[14]؟"

"هل هذا أمرٌ سيء؟"

هزّ القائد رأسه وأجاب: "كلا، فالبوماك مهذّبون وأشدّاء. لكن الحرب كانت قاسية عليهم."

قال حسن: "بل كانت الحرب قاسية على الجميع."

أحضر النّادل القهوة الأخرى للقائد الّذي قال: "وكم مضى عليك في جزيرة ديسبوتيكو؟"

"ستة أشهر الآن."

"وتريد أن آخذك للعمل معي كي تغادر السفينة في أميركا." لم يكن القائد غبيًا.

"بل أريد أن أعمل عندك لأنّ لديك وقود نفطي، ويلزمك إطفائي يتفقّد وجود فقّاعات في الأنابيب. إطفائي لا يرفش الفحم؛ فالبقاء

---

(14) هم المسلمون البلغار، ويُعرفون أيضًا باسم أهرياني Ahryani. [المترجم]

طويلًا برفقة مجرفة يجعلها تغدو كل ما يعرفه الرّجل."
أشعل القائد سيجارة دون أن يعرض واحدة على حسن، وقال: "لا أحتاج إلى إطفائي آخر."
مدّ حسن يديه إلى حقيبته الموجودة بين قدميه، وأخرج في كل يدّ زجاجة جوني ووكر ريد ليبل، ثمّ وضعهما فوق الطاولة إلى جوار قهوة القائد الصباحيّة. "إليك هاتين الزجاجتين، فقد تعبت من حملهما."

بدأ بعض أفراد طاقم السفينة في تصدير المتاعب للقائد بعد مرور ثلاثة أيام؛ إذْ مرضت ساق الطاهي القبرصي فلم يعد ينظّف آنية الطعام بعد الوجبات بالسرعة الكافية، وكان البحّار سوريانوس كذّابًا يزعم أنّه تفقّد بالوعات السفينة دون أن يفعل. أمّا إياسون كاليمريس فقد هجرته زوجته؛ مرّة أخرى، فغدا أكثر تهوّرًا واندفاعًا، وأصبح كل حديث معه يتحوّل إلى خصام، ولو بشأن الدومينو. ومع ذلك، لم يتسبب حسن في أي متاعب؛ إذْ لم يره أحد قطّ يتبطّل عن العمل ويُمسك بسيجارة بين شفتيه، بل كان دائمًا إمّا ينظّف الصمامات أو يحمل فرشاة سلكيّة كي يجلو بها الصدأ. لعب الورق والدومينو بهدوء، وربّما كان أفضل ما فعله هو البقاء بعيدًا عن عينيّ القبطان الّذي كان يُراقب كل شيء؛ هكذا كان القائد يعرف، لكنّه لم ينتبه لوجود حسن.
صادفت السفينة أمواج الأطلنطي المتدفّقة بعد أن عبرت مضيق جبل طارق. وهناك، كان القائد يصحو في وقت مبكّر كل صباح كي يطوف في أرجاء بيرنجاريا بحثًا عن متاعب مُحتملة. وهذا اليوم؛ كما هي العادة، صعد إلى حجرة قيادة السفينة كي يحتسي قهوته التي

تنتظره هناك دائمًا، قبل أن يشقّ طريقه إلى الأسفل مرّة أخرى، ويطمئن على أن كل شيء على ما يُرام، إلى أن وصل إلى محطّة الوقود وسمع حديثًا باللغة البلغاريّة.

كان حسن جاثيًا فوق ركبتيه، يُدلّك ساقي رجل يتكئ على الحاجز؛ رجلٌ يُغطيه سخام زيتي أسود، وتلتصق ثيابه الرطبة بجلده.

قال الرّجل المتّسخ وهو يتردد ذهابًا وإيابًا فوق السطح الصلب: "أستطيع أن أمشي الآن." كان يتحدّث اللغة البلغارية هو الآخر. "آه، أشعرُ بتحسّن." وشرب قدرًا كبيرًا من الماء من زجاجة، ثمّ التهم شريحة خبز سميكة من رغيف ملفوف في منديل.

قال حسن: "نحنُ في عرض المحيط الآن."

أنهى الرّجل الرغيف وشرب المزيد من الماء، وقال: "أستطيع الشعور بذلك؛ فالسفينة ترتج. كم تبقّى أمامنا؟"

"ربّما عشرة أيام."

"ليتها أقل."

قال حسن: "الأفضل أن تعود إلى الداخل الآن، إليك علبتك."

أعطاه حسن علبة صفيح فارغة كانت تحتوي في السابق على بسكويت، وأخذ من الرجل المتّسخ علبة كانت تحتوي في السابق على بُنّ لكنها تمتلئ الآن؛ هكذا ميّز القائد رائحتها، بماء صرف. غطّى حسن الصفيحة بمنديل ثمّ ناول الرّجل زجاجة ماء مُغلقة بفلينة، قبل أن يزحف الأخير عائدًا إلى داخل تجويف؛ مخبأ ضيق في أرضية السفينة مغطّى بلوح، حشر الرجل المتسخ نفسه بصعوبة داخله واختفى. واستعمل حسن عتلة رفع بها الغطاء الفولاذي وأعاده إلى مكانه؛ كأنّه قطعة بازل.

لم ينقل القائد خبر ما رآه للقبطان، بل عاد إلى حجرته ورمق زجاجتي الجوني ووكر ريد ليبل. زجاجتان؛ واحدة لحسن والأخرى لصديقه الّذي يختبئ في نصف متر داخل السطح الفولاذي. لم يكن المسافرون المتهربون أمرًا غير شائع على متن السّفن المسافرة إلى أمريكا، وتغدو الحياة أسهل إن لم تر العيون شيئًا ولم تبحث العقول عن إجابات. لكن بطبيعة الحال، أحيانًا ما يترتب على ذلك تابوت يضم جثّة هامدة.

آه، لكم كان العالمُ غارقًا في الفوضى. لكنّه بدا أكثر انتظامًا بعد جرعة من أول زجاجة مفتوحة. سيتحمّل حسن الوزر إن اكتشف شخصٌ آخر الرجل المتّسخ يزحف بالقرب من التجويف المعتم في أرضية السفينة؛ إذْ سينفجر غضب عارم، فضلًا عمّا سيتخذه القبطان من إجراءات. أمّا إن لم يعرف القبطان؛ فلا بأس؛ إذْ لن يعرف القبطان أبدًا.

أبطأت عاصفتان السفينة بيرنجاريا، ثمّ اضطرت للانتظار يومين كاملين عند المرسى حتّى جاء مُرشد بحري على متن قارب صغير، وتسلّق سلّم البحارة، ثمّ شقّ طريقه إلى حجرة القيادة كي يُرشد السفينة داخل المرفأ، وكان الليل قد حلّ حين انتهوا من ربطها إلى الرصيف بين السفن الأخرى. حينئذ رأى القائد حسن يقف عند السّور، يحدّق في أفق مدينة بعيدة.

"هذه هي فيلادلفيا، بنسلفانيا. أميركا."

سأله البلغاري: "وأين تقع شي-كا-جو؟"

"بينها وبين فيلادلفيا مسافة أكبر مما بين القاهرة وأثينا."
"لهذا الحدّ؟ تبًّا."
"فيلادلفيا تُشبه فردوسًا، أليس كذلك؟ لكن حين نرسو في نيويورك؛ نيويورك، سترى مدينة أمريكيّة حقيقيّة."
أشعل حسن سيجارة، وعرض واحدة على القائد الّذي قال: "السجائر أفضل في أميركا."
دخّن القائد السيجارة، ورمق البلغاري الّذي لم يتسبب له في أي متاعب على الإطلاق، ثمّ أردف: "غدًا سيفتشون السفينة."
"من؟"
"المسؤولون الأمريكيون. يفتّشون كل ركن في السفينة بحثًا عن مسافرين متهربين؛ شيوعيين."
بصق حسن من فوق السّور عند ذكر الشيوعيين.
تابع القائد: "يحصون عدد الرؤوس، وتبدأ المتاعب حين لا تتفق الأعداد مع المُثبت في الأوراق. أمّا إن لم يعثروا على شيء، آنئذ نُفرغ حمولتنا ثمّ نتجه إلى نيويورك؛ نيويورك. سآخذك كي تحلق هناك، أفضل بكثير من حلاقة الأتراك."
لم ينطق حسن بشيء برهة، ثمّ قال وهو يبصق من فوق السور مرّة ثانية: "ليتهم يعثرون على الشيوعيين إن كان ثمّة أحدًا منهم هنا على متن هذه السفينة."

تمدد حسن فوق سريره يتظاهر بالنوم وأفراد الطاقم يروحون ويجيئون. وعند الرابعة صباحًا ارتدى ثيابه في هدوء وتسلل إلى الممر وهو يتفحّص كل ركن حوله كي يتأكّد أنّ لا أحد يراه، ثمّ شقّ طريقه

صوب محطّة الوقود واستخدم العتلة الحديديّة في فتح الغطاء الفولاذي.

قال حسن: "الآن."

تسلّق إبراهيم التجويف، وقد تسلّخ مرفقاه وركبتاه ونزفوا بسبب الحياة داخل الحيّز المعتم بين سطح السفينة وهيكلها الدّاخلي. كم مضى عليه هناك؟ ثمانية عشر يومًا؟ عشرون؟ لكن من يعبأ؟ همس إبراهيم بصوتٍ أجشّ: "دعني أحمل علبتي."

"دعها؛ سنغادر. الآن."

"لحظة من فضلك يا حسن. ساقاي."

دلّك حسن ساقي إبراهيم قدر استطاعته، ثمّ عاون صديقه على النهوض. لم يكن إبراهيم يقف على قدميه سوى دقائق معدودات كل يوم، فأحسّ آلامًا فظيعة في ظهره، وكانت ركبتاه ترتعدان صدقًا.

قال حسن: "علينا أن نغادر. اتبعني من مسافة مترين. سنتمهّل عند كل زاوية، وإن سمعتني أتحدّث مع أحد، اختبئ حيث تستطيع."

أومأ إبراهيم برأسه علامة الموافقة، وتقدّم بضع خطوات خلف حسن.

قادهما دَرَجٌ إلى كوّة في السّقف، والكوّة إلى غرفة، والغُرفة إلى كوّة أخرى، والأخيرة إلى ممر، والممر إلى دَرَجٍ آخر في نهايته ممر آخر ودَرَج ثالث، مع أنّ هذا الأخير كان يُشبه دَرَجًا في منزل. جذب حسن بابًا فولاذيًا ثقيلًا فانفتح إلى الدّاخل ووقف ثابتًا. شمّ إبراهيم رائحة الهواء المنعش لأول مرّة منذُ واحد وعشرين يومًا، وهي الفترة التي أمضاها على متن السفينة منذُ غادرت بيرنجاريا مرفأ بيرايوس، مختبأً أسفل السطح الفولاذي.

همس حسن: "اطمئن الآن."

تقدّم إبراهيم عبر الباب وأصبح في الهواء الطلق أخيرًا. كان الليل لا يزال جاثمًا فحاول أن يؤقلم عينيه على العتمة، لكن النسيم كان صيفيًا دافئًا. كانا يقفان عند السور المقابل للمرفأ، ويوليان ظهريهما للرصيف. كان سطح المُحيط يبعد عنهما مسافة اثني عشر مترًا، وكان الإطفائي البلغاري قد عقد حبلًا لا يُمكن تمييزه عن الحبال الأخرى على سطح السفينة، في أخر عارضة من السّور قبل ذلك بساعات.

"انزل على هذا الحبل، ثمّ اسبح إلى الرصيف وتسلّق إلى السّطح."

قال إبراهيم: "أرجو أن أكون لا أزال قادرًا على السباحة." وضحك كأن ما قاله مزحة طريفة.

"ثمّة غابة قريبة. تخفّ داخلها إلى أن آتي غدًا."

"وفي حال كان ثمّة كلاب؟"

"صادِقها." ضحك إبراهيم مرّة أخرى وهو يتدلّى عبر السّور، ممسكًا الحبل في يده.

كان القائد برفقة القبطان على الجهة اليُمنى داخل كشك القيادة يرتشفان قهوتهما الصباحيّة. وكان الملاحون قد أفرغوا أغلب الشحنة، والأرصفة تزدحم بالشاحنات والرافعات والعُمّال.

قال القبطان: "سنذهب إلى فندق والدورف." ورأى القائد حسن يعبر الممشى ويُغادر السفينة حاملًا حقيبة الظهر التي أحضر بها في السّابق زجاجتي الجوني ووكر ريد ليبل. وكان يحمل أيضًا صُرّة أسفل ذراعه. كان أفراد الطاقم يعودون إلى السفينة محمّلين بما لا يستطيعون شرائه سوى في أمريكا، لكن ها هو حسن يُغادر السفينة محمّلًا.

رفع القبطان أصابعه كي يُشير إلى السُمك المناسب لشريحة اللحم قائلًا: "شرائح سمينة، هكذا. لديهم في فندق والدورف أستوريا الشرائح المثالية."

قال القائد: "يا له من مكان طيب." واختفى حسن بين بعض الأشجار.

لم ير حسن أثرًا لإبراهيم فقلق أن تكون الشرطة الأمريكيّة قد فتّشت الغابة بحثًا عن شيوعيين ومسافرين دون أوراق قانونيّة. لم يشأ الصياح بصوتٍ عال، فراح يعوي مثل كلب، وسمع كلبًا يعوي ردًّا عليه. لكنّه لم يكن سوى إبراهيم الّذي برز من الغابة عاري الصّدر يحمل حذائه الملطّخ بالشّحم.

سأل مبتسمًا: "تُرى من هو الكلب الكبير؟"

"هل مضت ليلتك في سلام؟"

قال إبراهيم: "صنعت فراشًا من البوص. كان وثيرًا، ولم أشعر بالبرد قطّ طوال الليل."

فتح حسن الصُّرة التي كانت تضم بعض الثياب وصابون وطعام وأدوات حلاقة وصحيفة مطوية ومعقودة بخيط، وفي داخلها نصيب إبراهيم من الدراخما التي ادّخراها معًا من سائر الأشغال الغريبة التي عملا بها في اليونان. دسّ إبراهيم الأوراق المالية في جيبه دون أن يعدّها، وسأل: "بكم تذكرة السفر إلى شي-كا-جو بالقطار يا حسن؟"

"كم كانت التكلفة من أثينا إلى القاهرة؟ حاول العثور على مكتب صرافة عند محطّة القطار."

أكل إبراهيم واغتسل، وساعده حسن على الجلوس فوق صخرة ثمّ بدأ الأول يحلق لصديقه بالموسى؛ إذْ لا توجد مرآة كي يستطيع

الحلاقة بنفسه.

تفحّص القائد الغابة من مكانه داخل كشك القيادة مستعينًا بنظارته. وأبصر؛ عبر فجوة بين أغصان أشجار يحرّكها الهواء، حسن يحلق وجه رجل عجز عن تمييزه. ها هو مأزق يرحل عن السفينة دون إزعاج القبطان، ودون حاجة لتابوت أيضًا. لكم كان حسن بوماك بارعًا.

مرر إبراهيم مشطًا عبر شعره المبلل، وحاول حسن تنظيف حذاء صديقه قائلًا وهو يناوله له: "أفضل ما في وسعي."

مدّ إبراهيم يده داخل جيبه وأخرج دراخما ثمّ دسّها في يدّ حسن هاتفًا: "إليك أجرك. لمعة مثالية لحذاء مثالي." فانحنى حسن وانفجر الاثنان بالضحك.

مشيا معًا حتّى نهاية ورش بناء السّفن، وتمكّنا من مخالطة الذّاهبين والعائدين. أبصرا سيارات ضخمة وشاحنات بحجم البيوت تصدر عنها جلبة هائلة وتجرّ شحنات ضخمة، والمزيد من السّفن؛ أوسع وأحدث من سفينتهم بيرنجاريا التي نال من دلائها الصدأ. شاهدا رجالًا يأكلون لفائف الخبز المحشوة بالسجق أمام كشك يحمل يافطة تمكّن حسن من قراءة حروفها؛ إذْ كان يتعلّم الأبجدية الأمريكيّة، هوت دوجز. كان البلغاريان جائعان لكنّهما لا يحملان نقودًا أمريكيّة. ثمّ صادفا بوابة عند نهاية الترسانة يقف عندها حارس داخل مكتب صغير، لكن الأمريكيين كانوا يعبرون دون أن يقفوا ولو للحظة.

قال إبراهيم باللغة البلغارية: "سأرك يومًا ما في شي-كا-جو يا حسن."

ثمّ تابع بإنجليزيّة ركيكة: "شكرًا جزيلًا لك."

قال حسن: "لم أفعل الكثير." والتقط سيجارة ثمّ أعاد العلبة إلى إبراهيم. راح يدخّن وهو يُراقب صديقه يمشي نحو البوابة، ويتجاوز الحارس بإيماءة واحدة، ثمّ يغيب في الطريق الّذي يمتد في أفق فيلادلفيا.

عاد حسن إلى السفينة، وظلّ مشغولًا طيلة ساعات الصباح فلم يذهب إلى المطبخ إلا مع قُرب نهاية الوقت المُحدد للوجبة الأولى، حيثُ لم يبق سوى عدد محدود من الموظفين. أخذ ما تبقّى من خبز وخضار وحساء وجلس إلى طاولة، وأحضر له القبرصي الّذي يعرج قهوة من المطبخ.

سأل حسن: "هل هذه زيارتك الأولى إلى أمريكا؟"

"بلى."

"بصراحة أمريكا هي الأجمل، وفي نيويورك كل ما تشتهي. انتظر وسترى."

سأله حسن: "والمسؤولون. متى يصعدون على متن السفينة؟"

"من تقصد بالمسؤولين؟"

"الأمريكيون الّذين يفتّشون السفينة بحثًا عن شيوعيين، ويثيرون المتاعب."

"عمّ تتحدّث؟"

"أولئك الذين يتأكدون من تطابق أعدادنا مع المثبت بالأوراق. هكذا قال لي القائد، إنّ المسؤولين يصعدون ويفتّشون السفينة بأكملها."

"يفتشون عن ماذا؟" وعاد القبرصي إلى المطبخ كي يُعدّ قهوة لنفسه.

"ألا يفحصون أوراقنا؟ ألا يصفوننا في طوابير ويفحصون أوراقنا؟"

وكان حسن قد سبق له أن وقف كثيرًا في طوابير من أجل فحص أوراقه، فبدا له تكرار الشيء ذاته في أمريكا منطقيًّا.
شرب القبرصي نصف قهوته دفعة واحدة وقال: "القبطان يتولّى مثل هذه الأمور." ثمّ تابع: "مرحى، أعرف مبغىً في مدينة نيويورك. احضر نقودك غدًا وسنقضي ليلة رائعة."

كان حسن قد شاهد هُناك في قريته، أفلامًا بالأبيض والأسود تومض فوق جدار أبيض. كانت الأفلام أمريكيّة في بعض الأحيان حيثُ يُطلق رعاة البقر الرصاص من مسدسات تندفع منها أعمدة طويلة من دخان. لكنّه كان يحبّ بدرجة أكبر جريدة سينمائيّة كانت تعرض مصانع ومواقع بناء ومباني جديدة ترتفع إلى عنان السماء داخل مدينة اسمها شيكاغو؛ كانت شيكاغو تضم الكثير من المباني الشّاهقة والشوارع التي تزدحم بالسيارات الضخمة.
لكن نيويورك نيويورك بدت وكأنّها مدينة بلا نهاية؛ مدينة تبثّ ضبابًا رقيقًا إلى السماء ليلًا، فتضفي لونًا ذهبيًّا على السحب المنخفضة، وتجعل الماء يُشرق كأنّه دخّان ملوّن. هبّت رياح ساخنة أثناء إبحار السفينة ببطء عبر النهر الواسع، وراحت المدينة تمضي كأنّها ستارة مرصّعة بجواهر زاهية؛ كُتلة تتألف من ملايين النوافذ المُضيئة والأبراج السّاطعة كأنّها قلاع وأضواء كشّافات سيارات؛ سيارات لا تُحصى تُطلق زماميرها كأنّها حشرات تطن. وقف حسن عند السور وترك الريح تُحرّك ثيابه، بفم فاغر وعينين مفتوحتين على اتساعهما.
ثمّ صاح في نيويورك، نيويورك: "أيتها الدّاعرة."

عثر عليه القائد في الصباح عند محطة الوقود، فقال: "يا حسن، ارتد حُلّتك المخططة. أريد أن أحلق."

"لديّ مهام هُنا."

"لكنّي أقول أنّ لا مهام لديك، وأنا القائد. هيّا. واترك نقودك هُنا كي لا تُسرق في يومك الأول."

كانت السيّارات تندفع في الشوارع، وأغلبها مدهون باللون الأصفر وعلى جانبيها كلمات مطبوعة، تُطلق الزمامير حين تقف جانبًا كي يهبط منها رُكّاب ويركب آخرون. وأضواء تلمع في صناديق مُعلّقة فوق أعمدة باللون الأحمر تارة، والأخضر تارة، والبرتقالي تارة أخرى. كانت اليافطات منتشرة في كل مكان؛ مثبّتة في أعمدة وفي جدران وفي نوافذ؛ لذلك كثيرًا ما توقّف حسن كي يُحاول استيعاب الحروف. كان الأمريكيون ميسورو الحال يسرعون الخُطى، وكذلك الفقراء منهم. رأى ثلاثة رجال سود مفتولي العضلات أسفل قمصانهم التي لطّخها العرق، ينقلون صندوقًا خشبيًّا ضخمًا فوق دَرَج داخل مبني. سمع صياحًا وموسيقى وأصوات محركات وأصواتًا تنطلق من مذياع، تأتي من كل حدب وصوب.

كاد شاب يركب درّاجة بخارية مرقت بسرعة كبيرة مُطلقة زئيرًا هادرًا، أن يُصيب حسن والقائد أثناء عبورهما شارعًا عريضًا. وكان حسن قد شاهد جريدة سينمائية عرضت مشاهد لرجال بوليس يركبون دراجات بخارية ضخمة، لكن هذا الشاب لم يكن شرطيًّا. تُرى هل يسع الجميع ركوب مثل هذا الشيء في أميركا؟

عبرا من أمام كشك يبيع الصّحف والحلوى والمشروبات والسجائر والمجلات والأمشاط والأقلام والولاعات. وبعد دقيقتين أخريين عبرا

من أمام كشك آخر يبيع نفس السلع، وتبيّن لهما أنّ الأكشاك تنتشر في كل مكان، وأنّ نهرًا من السيارات المتحرِّكة والناس والحافلات المزدحمة والشاحنات، بل والجياد التي تجرّ عربات، يتدفّق عبر الشوارع التي امتدت حتّى حافّة البصر.

هرول القائد، قائلًا: "في نيويورك نيويورك عليك أن تهرول كمن تأخّر عن اجتماع هام، وإلا تتبعك اللصوص." عبرا شارعًا تلو الآخر، ولفّا حول نواصي عديدة، وطوى حسن سترته الزرقاء المخططة فوق ذراعه. كان العرق يغمره وأصابه دوار؛ إذْ كانت رأسه تفيض بصور أميركا.

توقّف القائد عند إحدى النواصي وقال: "مهلًا، أين نحن؟"

"ألا تدري أين نحن؟"

"بل أفكِّر في أفضل طريق للخروج من هُنا." وتفحّص القائد المكان من حوله ورأى شيئًا جعله يضحك، فهتف: "هلا ألقيت نظرة؟"

أمال حسن رأسه هو الآخر، ورفعها صوب نافذة في الطابق العلوي من مبني، فأبصر راية في النّافذة مُلصقة مثل يافطة؛ علم اليونان الأزرق والأبيض وصليب الكنيسة والخطوط التي تمثِّل البحر والسماء. ثمّة رجل يرتدي قميصًا وربطة عنق مفكوكة يقف خلف النّافذة ويصيح في هاتف ويلوِّح بسيجار.

ضحك القائد مرّة أخرى وهتف: "نحنُ اليونانيون منتشرون في كل مكان، أليس كذلك؟" ثمّ رفع راحة يده وتابع: "انظر، نيويورك نيويورك مدينة من السّهل حفظ دروبها؛ فهي على هيئة راحة يدك، وطرقها الرئيسة المرقّمة طويلة وتمتد من أطراف أصابعك إلى معصمك، أمّا شوارعها المرقّمة فتمتد بعرض كفّك. شارع برودواي

هو خطّ الحياة الّذي يشق المدينة، أمّا الأصبعان الأوسطان فهما السنترال بارك."

تفحّص حسن راحة يده.

ثمّ استطرد القائد: "الآن يأتي دور تلك اليافطات..." وأشار إلى يافطتين على هيئة حرف X فوق مُلصق، وأردف: "تخبرنا هذه اليافطة أنّنا عند تقاطع الشارع رقم ستة وعشرين مع الجادّة السابعة، أي أنّنا هنا تقريبًا، أترى؟" وأشار إلى الخارطة فوق كفّه قائلًا: "ستة وعشرين والجادة السابعة، هل فهمت؟"

"المدينة الدّاعرة تُشبه كفّ يدي." أحسّ حسن أنّه فهم الدرس، فتابعا المشي بالجانب الظليل من الجادة السّابعة، ثمّ دارا حول ناصية، وتوقّف القائد أمام درج يؤدّي إلى محلّ حلاق في الطابق السفلي.

"ها هو المكان." قال القائد وهبط الدرجات المؤدية إلى الباب.

كان المكان مُخصصًا للرجال فقط كمحلات الحلاقة في اليونان، وقد راح كل الحاضرين يحدّقون في القائد وحسن حين دخلا. ثمّة مذياع لا يبثّ موسيقى، بل رجل لا يكفّ عن الثرثرة بين أصوات جمهورٍ ما في الخلفيّة. كان الجمهور يضجّ أو يُصفّق بين الحين والآخر، وقد اصطفّت فوق الأرفف زجاجات تمتلئ بسوائل مُختلفة ألوانها. كان أغلب الحاضرين يدخّن السجائر؛ فطفحت منفضتا سجائر قائمتان بالأعقاب.

تحدّث القائد بالإنجليزيّة مع الحلاق الأكبر سنًّا؛ إذْ كان ثمّة حلاق آخر أصغر، ربّما كان ابنه. ثمّ جلس فوق مقعد جانبي، وجلس حسن إلى جواره يُصغي إلى اللغة الإنجليزيّة ويرمق المجلات التي زينتها صور

محتالين يحملون بنادق ونساء بتنانير ضيقة. ثمّة ثلاثة أمريكيون ينتظرون أيضًا، إلى أن نهض واحد منهم وجلس أمام الحلاق الآخر فوق مقعد ضخم وثير مصنوع من الجلد والفولاذ. سدد زبون أجرة الحلاقة وقال شيئًا جعل الرجال يقهقهون، ثم خرج من الباب وصعد الدَّرَج المؤدّي إلى الشّارع. وحين انتهى زبون آخر قال أيضًا شيئًا مرحًا، وأعطى الحلاق بعض العملات المعدنيّة، ثمّ غادر.

جلس القائد فوق مقعد الحلاق الجلدي الضخم وتكلّم مُشيرًا إلى حسن؛ كأنّه يشرح شيئًا. فنظر الحلاق إليه وصاح: "بلا شك." ثمّ غطّى القائد بفوطة بيضاء وثبّتها بإحكام حول عنقه، وبدأ بالحلاقة. ثلاث مرّات بالفوطة السّاخنة ورغوة الصابون والموسى، تمامًا كحلاقة الأتراك في القسطنطينيّة، ثمّ شذّب شعر الرأس، وحلق الشعر النابت حول الأذنين والقفا بالصابون والموسى. كان الرجلان يضحكان ويحكيان قصصًا، وفكّر حسن أنّ القائد لا ريب يجيد اللغة الإنجليزيّة لأنّه يتحدثها بطلاقة واضحة. ضحك الأمريكيون ورمقوا حسن؛ كأنّه يدري ما يُقال من مزاح.

انتهى القائد من الحلاقة وفاحت منه رائحة الكولونيا، فدفع للحلاق نقودًا ورقيّة وقال شيئًا باللغة الإنجليزيّة، ثمّ أشار إلى حسن فكرر الحلاق قوله: "بلا شك." وأشار مرّة أخرى إلى حسن كي يجلس فوق مقعد الحلاقة.

كان الحلاق يغطّي حسن بالفوطة حين تحدّث إليه القائد باللغة اليونانيّة قائلًا: "هذه الحلاقة بالمجّان؛ إذْ دفعت ثمنها بالفعل. وهذه لك." وناوله رزمة أوراق مالية مطوية؛ دولارات أمريكيّة، مردفًا: "لا ريب أنّ رجلًا بارعًا مثلك سيبلي بلاءًا حسنًا في أميركا. حظًّا سعيدًا."

وكان أخر ما رآه حسن من القائد هو حذائه أثناء تسلّق الدَّرَج عائدًا إلى الشّارع.

راح حسن يتمشّى على مهل تفوح منه رائحة الكولونيا ومتحسسًا بين الحين والآخر وجهه المصقول. وخيّم ليل أواخر الصيف على مدينة نيويورك نيويورك، فطفقت أضواء المصابيح تتبارى في بثّ دفء جديد. رأى أشياءً مُذهلة كثيرة؛ نافذة تمتلئ بعشرات الدجاجات المشوية التي تدور حول أعمدة آلية؛ ورجل يبيع سيارات لعب بزنبرك فوق صندوق يُحيط بسطحه العلوي سور خشبي لمنع اللعب من السقوط؛ ومطعم له جدار من زجاج كان الأمريكيون يجلسون في داخله أمام طاولات وفوق مقاعد عالية أمام منضدة طويلة. كانت النادلة تتمايل بينهم وهي تحمل صحونًا تضم وجبات كاملة وأطباقًا صغيرة تحمل كعكًا وفطائر مُحلّاة. نزل حسن فوق دَرَج طويل يؤدّي إلى مكان أسفل الشّارع مُحاط بسور معدني مزخرف، ويزدحم بروّاد يروحون ويجيئون، وكلّهم في عجلة من أمرهم حيثُ ما من أحد منهم فريسة سهلة للسرّاق.

انتهت العمارات وامتد الأفق مفتوحًا، فرأى حسن على الجانب الآخر من شارع مزدحم أشجارًا كثيفة، وعرف أنّه لابد عند أصابعه الوسطى، في السنترال بارك. لم يعرف كيف يعبر الشّارع الواسع لكنّه تبع الآخرين حين ساروا. رأى رجلًا أمام عربة إلى جانب حائط مدوّر خفيض يبيع الهوت دوج، فأحسّ بجوع شديد مباغت. أخرج العملات الورقيّة التي كان القائد قد أعطاها له ووجد ورقة منها تحمل الرّقم واحد. أعطاها للرجل الّذي انطلق يسأله دون أن يُجيب، لكن

الكلمة الوحيدة التي استطاع نطقها كانت كوكاكولا؛ كل ما يعرفه في اللغة الإنجليزيّة حقًّا.

أعطاه الرّجل شطيرة سجق تقطر مرقًا يتألف من بصل أحمر وأصفر لزج طري، فضلًا عن زجاجة كوكاكولا. ثمّ ناوله حفنة عملات معدنيّة ذات ثلاثة أحجام مختلفة دسّها داخل جيبه بيده الخالية. وجلس فوق مقعد يتناول أشهى وجبة أكلها في حياته. انتهى من الشطيرة وتبقت نصف زجاجة من الكوكاكولا؛ فعاد إلى الرجل وأخرج العملات المعدنية، لكن الرجل أخذ قطعة واحدة من أصغر القطع النقديّة وأعدّ له شطيرة أخرى منتفخة بالسجق.

غربت الشمس وخيّم الظلام وسطعت أعمدة الإنارة. مشي حسن فوق دروب الحديقة الجميلة، وأنهى زجاجة الكوكاكولا. رأى نوافير وتماثيل. رأى رجالًا ونساءً يمشون أزواجًا متشابكي الأيدي ويضحكون. ورأى امرأة ثريّة تُريّض كلبًا صغيرًا؛ ألطف كلب رآه حسن في حياته. كاد ينبح أمامه على سبيل الدعابة، لكنّه خشي أن تشتكي المرأة الثرية لرجل شرطة، وكان أخر ما يرغب فيه حسن هو أن يسأله رجل شرطة عن أوراقه.

عند مدخل جانبي للحديقة؛ باب في جدار، وصل حسن إلى حيثُ بدأت المدينة من جديد. كان الوقت قد تأخّر الآن، والناس يعبرون الشّارع في اتّجاه الحديقة العامّة يحملون أغطية ووسائد. رأى حسن أنّ أولئك الناس لا يشبهون المرأة الثرية وكلبها، بل عائلات تضم بيضًا وسودًا وملونين برفقة أطفالهم الّذين لا يكفون عن الضّحك، ورجالًا ونساءً تبدو عليهم أمارات الإنهاك بسبب العمل طيلة النهار. أحسّ هو الآخر بالتعب فجأة، فتعقّب إحدى الأسر العائدة إلى الحديقة،

في اتّجاه حقل فسيح يُغطيه العشب بسط فوقه آخرون أغطيتهم وفرشهم استعدادًا للنوم في العراء في ليلة رطبة ساخنة. غلب النوم بعضهم، والبعض الآخر راح يُهدهد أطفاله ويُعدّ أماكن للنوم بالقرب من الأشجار الموجودة على أطراف الحقل.

عثر حسن على بقعة يغطيها عشب ناعم، فخلع حذائه واستخدم سترته كوسادة، ثمّ نام على أصوات السيارات البعيدة والمحادثات الهامسة بين الأزواج والزوجات.

غسل حسن وجهه داخل حمّام عام في مبنى حجري. نفض الغبار عن بنطلونه وسترته وقميصه الأنيق، ثم عاد يرتدي ثيابه من جديد، ثم تساءل عن وجهته لهذا اليوم.

آنئذ تذكّر الرّجل الّذي كان يصرخ في هاتف؛ الرّجل الّذي دفع القائد للضحك؛ الرّجل الّذي كان يقف خلف النافذة التي تحمل العلم اليوناني. تُرى أين كان؟ رمق راحة يده حيث خارطة المدينة وتذكّر القائد يقول تقاطع شارع ستة وعشرين مع الجادّة السّابعة، فعرف حسن أنّه يستطيع العودة إلى هناك مرّة ثانية.

لا أحد كان في النافذة عند الشّارع رقم ستة وعشرين حين رفع حسن عينيه، لكن العلم كان لا يزال حيث هو. عثر على مدخل قريب يحمل فوقه يافطة صغيرة وعلم صغير آخر لليونان كُتب عليه: الجمعيّة الهلينيّة الدوليّة. عبر حسن الباب وصعد الدَّرَج.

كان النهار حارًّا والمكتب خانق حتّى والباب مفتوح النوافذ مواربة. سمع حسن موسيقى تُعزف؛ لحن هادئ وصوت يُكرر كلمات....Ay *space..es..es..es..space..ay..ay.* ومع كل كلمة يدوي

صوت جلبة مفاتيح آلة كاتبة. ...Dee...clack...dee...clack
dee...clack. ورأى حسن عند الباب مكتبًا غارقًا في الفوضى وبعض المقاعد البسيطة. ...Eff...clack...eff...clack...eff...clack
space...thunk. دخل حسن ورأى فتاة داخل مكتب صغير تجلس أمام آلة كاتبة صغيرة خضراء فوق طاولة دقيقة. كانت تصبّ كل تركيزها على أصابع يدها اليُسرى، وتكبس المفاتيح التي تُطابق التعليمات التي يرددها الشريط المسجّل. ظل حسن صامتًا لا يريد مقاطعة درس الطباعة.

"ماذا تفعل؟[15]"

التفت حسن. كان الرّجل الّذي كان يصرخ في الهاتف بالأمس يدخل الغرفة، ويحمل كيسًا ورقيًّا صغيرًا. سأله الرجل باليونانيّة: "من أنت؟"

"حسن شابيك."

"لست يونانيًّا؟"

"بل بلغاري. لكنّي جئت من اليونان. رأيت العلم."

أخرج الرجل من الكيس الورقي كوبًا من الورق المقوى يمتلئ بما دلّت رائحته على أنّه قهوة، إضافة إلى كعكة مدوّرة يتوسطها تجويف. "لم تقل لي أنّك ستأتي اليوم يا حسن، وإلا كنت أعددت فطورًا!" وضحك بصوتٍ عالٍ هاتفًا: "دوروثي! نريد قهوة أخرى هنا من أجل حسن."

يُكرر الصوت Ell...ell...ell...space وتهتف دوروثي: "لقد بدأت توًّا درسًا جديدًا!"

"أوقفيه؛ إذْ يُصاب البلغار بالجنون حين يُصيبهم الجوع." والتفت إلى

---

(15) باليونانيّة في الأصل. [المترجم]

حسن مردفًا: "ستحضر دوروثي لك قهوة، أو على الأقل ما يُطلقون عليه قهوة هُنا."

ارتشف حسن مشروبًا ساخنًا يتألف أغلبه من الحليب والسكّر إلى جانب القليل من البنّ. وعادت دوروثي إلى آلتها الكاتبة تدق المفاتيح تبعًا للتسجيل.... *You...you...you...space...eye...eye...eye space*. وسأل ديمتري باكاس؛ هكذا كان اسم الرجل، حسن عن بعض الأمور، وأطلعه الأخير على وظيفته على متن السفينة بيرنجاريا وأنّه غادرها بالأمس فقط، لكنه لم يذكر شيئًا عن اختباء إبراهيم أسفل الأرضيّة أو عن نزوله في مدينة تُدعى فيلادلفيا.
لم يقل حسن شيئًا أيضًا عن السنوات الأربع لأنّ الحرب انتهت، ولا قال شيئًا عن محاولاته عبور الحدود بين بلغاريا واليونان، ولا عن ساعات الصباح الباكر حين ارتكب شقيقه خطأً وأشعل نارًا كي يُسخِّن بعض الماء. آنذاك كانا في الجبال ينامان بين الصخور ويُخططان للتحرّك سريعًا، لكن حسن كان يحمل بعض البنّ في جيبه وأراد شقيقه تناول كوب قهوة كي يمنحه بعض الطاقة كما قال، في حين كان يشتهي حقًّا المذاق السّاخن للقهوة في ساعات الصباح البارد. وكان صائدو المكافآت الشيوعيون يتعقبون آثاراهما حين رأوا دخان النار. كان حسن يتغوّط وراء بضع أشجار فرأى شقيقه يشن هجومًا عليهم حين أرداه أحد الشيوعيين برصاصة في الرأس.
لم يقل لديمتري شيئًا أيضًا عن الرجل الّذي اضطر لقتله؛ إذْ كان حسن يشرب من جدول يجري بمحاذاة طريق حين كاد أحد أبناء البلدة يتعثّر به. كان الرّجل يُثبِّت دبوس الحزب في سترته البالية،

وفضحت نظرة عينيه كل ما كان حسن في حاجة إلى معرفته. انطلق الرجل يركض عائدًا إلى أقرب قرية كي يُبلغ أنّه رأى خائنًا يحاول عبور الحدود، لكن حسن لحق به وضربه بحجر، ثمّ ألقى بالجثّة داخل خندق. بعدئذ التزم حسن الصمت عندما وصل أخيرًا إلى اليونان وصادق رجلًا نصحه بالذهاب إلى منزل مُعيّن يعيش فيه اللاجئون أمثاله. عمل حسن بنصيحة الرّجل، لكنه تعرّض للضرب وألقوا به داخل شاحنة بدون أرقام أعادته عبر الحدود إلى بلغاريا مُكبّل اليدين مع آخرين سقطوا أيضًا في فخّ الخائن. لم يقل حسن شيئًا عن النقيب الشيوعي الّذي قيده في كرسي ثمّ راح يسأله بصوت عال، وحين لم تعجبه الردود، كال له اللكمات واستخدم أدوات تعذيب خاصّة أثناء إعادة طرح الأسئلة المرّة تلو الأخرى. لم يقل حسن شيئًا عن المعسكر؛ أو عن المعتقلين الّذي رآهم يُقتلون بالرصاص داخل المعسكر؛ أو عن المعتقلين الّذين رآهم يُشنقون داخل المعسكر.

لم يقل شيئًا عن المرأة التي قابلها بعد إطلاق سراحه؛ وعن علاقتهم القصيرة؛ أو عن قدر الجوع الّذي تعرّضوا له. لم يقل أنّ اسمها كان ناديجدا وأنّها حبلت، أو عن زواجهما قبل شهور قليلة من أن يُولد لهما صبي؛ ابنه الّذي أسماه بيتار. لم يقل شيئًا عن زوجته الشّابة ومعاناتها أثناء الولادة وعن القابلة التي كانت تجهل طريقة توقف بها النزيف. لم يعش الصبي سوى شهر واحد بسبب حرمانه من صدر أمّه. لم يسمع ديمتري شيئًا عن ابن حسن؛ بيتار.

لم يقل حسن شيئًا عن اعتقاله بسبب سرقة زجاجات فارغة، رغم أنّه لم يسرق أي زجاجات فارغة. كان اسمه على إحدى القوائم فأرسلوه إلى السجن مرّة أخرى. ولا قال شيئًا عن محاولته الرابعة للهرب؛

واعتقاله؛ والسنة التي قضاها داخل معسكر عمل؛ ولقائه إبراهيم هناك والليلة التي أتى فيها القطار الّذي فصل بينهم وبين الحرّاس على الجانب الآخر من السكة الحديد، وكيف ألقيا رفشيهما ووثبا في قلب النهر. لم يقل شيئًا عن الفلاح الّذي عثر عليهما على مسافة أميال مبللين وقد جمدهما الصقيع؛ الفلاح الّذي كان في مستطاعه أن يسلمهما لموظّف الحزب في القرية، لكنّه قدّم لهما طعامًا ساخنًا إلى أن تجف ثيابهما. بل أعطاهما بعض النقود أيضًا؛ عشرون ليفًا[16] لكل منهما.

اشترى حسن وإبراهيم تذكرتين على متن الحافلة المتجهة إلى الجبال القريبة من الحدود مع اليونان، ولم يجد الشّرطي الّذي صعد لفحص الأوراق أوراقًا ثبوتية معهما، لكن تصادف أن تشابهت ثياب السجن التي يلبسانها مع ثياب جنود الجيش، ولا تنقصها سوى الصفائح المعدنية والشارات. حينئذ أخبر حسن الشرطي أنّهما في الطريق إلى مستشفى الجيش لأنّهما مصابان بالتيفوس، فاتسعت عينا الشرطي عندما سمع كلمة تيفوس وكاد يقفز من الحافلة.

اجتازا الحدود عبر الجبال، وجنيا الدراخما بالعمل بالمعاول والرفوش بأيديهما وظهريهما طيلة العام تقريبًا، إلى أن حصل حسن على وظيفة إطفائي في الديسبوتيكو؛ حيثُ يجرف الفحم داخل المرجل والمعدية تشق طريقها بين مدينة بيرايوس والكثير من الجزر اليونانيّة.

لم يقل حسن شيئًا من ذلك؛ بل اكتفى بأنّه يعمل إطفائيًّا على متن السفينة بيرنجاريا يُتابع فقاعات الوقود داخل الأنبوب، وأنّه الآن هُنا في أمريكا بعد أن غادر السفينة.

---

(16) العملة البلغارية قبل التحوّل إلى اليورو. [المترجم]

علم ديمتري أنّ حسن يُخفي الكثير لكنه لم يعبأ. "هل تعلم ما أستطيع عمله لأجلك خارج هذا المكتب؟"

"أن تعلّمني الكتابة على الآلة الكاتبة؟" وكانت دوروثي تنقر الآن حروف Cap...thunk...cue...clack...space...thunk...Cap... .thunk...Double-You...clack...Thunk

قهقه ديمتري بصوت عال وهتف: "لدينا أشخاص طيبون سيساعدوننا على مساعدتك. قد يستغرق هذا وقتًا. لكن اسمح لي أن أحذّرك الآن، أنّه إن تورطت في مأزق قانوني؛ أي مشكلة مع الشرطة، آنئذ ستغدو في مأزق حقيقي. هل تعي ما أقول؟"

"بالتأكيد طبعًا."

"حسنًا. الآن ستتعلّم الحديث بالإنجليزيّة. هُنا عنوان مدرسة مسائيّة مجّانيّة. اذهب إلى هناك وسجِّل اسمك وانتبه."

التقط حسن العنوان.

"هل تحمل شيئًا ذا قيمة يُمكن بيعه؟ ذهب أو أشياء ثمينة من بلادك؟"

"كلا. تركت كل شيء على ظهر المركب."

"هكذا فعل أبي عام 1910." وأخرج ديمتري سيجارًا من جيب سترته، ثمّ أردف: "عُد بعد بضعة أيام وسنقدّم لك ثيابًا بديلة. يا دوروثي! خُذي مقاسات بنطلونات لحسن، وبعض الأقمصة أيضًا!"

"بعد أن أنتهي!" لم ترفع دوروثي عينيها عن لوحة المفاتيح قط، بل تابعت: Cap.Tee.Space.Cap.Gee.Space.Thunk-clack- ..thunk-clack

أشعل ديمتري سيجاره في كُرة لهب صنعها عود ثقاب ضخم وقال:

"هل تعرف طريقة للحصول على عمل يا حسن؟"
وكانت إجابة حسن بالسلب.
"اذهب إلى هذا العنوان، إنّه على أطراف المدينة." وكتب ديمتري شيئًا فوق ورقة أخرى وأعطاها لحسن قائلًا: "سل عن كوستاس."
"كوستاس. حسنًا." وغادر حسن المكتب مع توقّف درس الكتابة على الشريط المسجّل، فقلبته دوروثي استعدادًا للدرس الثاني.

كان العنوان في أدنى راحة حسن، حيثُ لا تحمل الشوارع أرقامًا وتتشعّب في كافّة الاتجاهات. قضى أغلب النهار في رحلة شاقة على قدميه بين العمارات غريبة الهيئة يلف دون توقّف ويمر بنفس النقطة أكثر من مرّة. لكنّه عثر أخيرًا على وجهته، وكانت مطعمًا صغيرًا يحمل يافطة كُتب فوقها عبارة الشواية الأوليمبيّة تُحيط بها الحدود اليونانيّة الرئيسة. ثمّة أربع طاولات صغيرة تلتصق بالحائط إلى جانب مقاعد جلدية وثمانية مقاعد عموديّة أمام منضدة طويلة. كانت كل المقاعد مشغولة والمقهى حار. رأى حسن امرأة تقف خلف المنضدة الطويلة منعها انشغالها الشديد من النظر إليه، إلى أن وقف ثابتًا في مكانه فترة أطول من المعتاد، آنئذ هتفت باليونانيّة: "انتظر في الخارج حتى يفرغ مقعد أيّها الأحمق!"
قال حسن: "جئت لأجل كوستاس."
صاحت المرأة: "ماذا؟"
فعاد حسن يهتف: "جئت للقاء كوستاس!"
لعلعت المرأة وأولت ظهرها لحسن: "يا حبيبي! ثمّة أحمق يسأل عنك!"

كان كوستاس رجلًا قصيرًا زيّن وجهه شارب ضخم. لم يكن لديه وقت للحديث مع حسن لكنه تكلّم معه على أي حال. "ماذا تريد؟"

سأله حسن: "هل أنت كوستاس؟"

"ماذا تريد؟"

قال حسن ضاحكًا: "عمل."

هتف كوستاس مُلتفتًا للجهة الأخرى: "ربّاه!"

"ديمتري باكاس أرسلني إليك."

"من؟" وكان كوستاس ينظّف صحونًا ويأخذ نقودًا من زبون.

"ديمتري باكاس. وقد قال لي إنّك ستوفّر لي عملًا."

توقّف كوستاس عمّا كان يفعله ونظر إلى حسن في عينيه، كان قصيرًا فاضطر إلى أن يتراجع للوراء كي يحملق في البلغاري.

"اخرج من هنا! وإياك أن تعود." رفع الزبائن الّذين يتقنون اليونانيّة عيونهم عمّا يأكلونه، أمّا من لا يتحدثون سوى الإنجليزيّة فقد تابعوا الأكل.

فدار حسن وخرج.

استغرقت العودة إلى الأصبعين الأوسطين حيث السنترال بارك وقتًا طويلًا جِدًّا. كان الهواء ساخنًا وثقيلًا، وتشبّع قميص حسن بالعرق فوق ظهره دون أن يجفّ. استمرّ في المشي عبر الطريق العريض إلى أن صادف أضواءً ساطعة تتألق حيثُ بدا أنّ تسعة شوارع تتصادم في عاصفة من البشر والحافلات وسيارات الأجرة الصفراء، بل وجنود يمتطون الجياد، أو ربّما كانوا من رجال الشرطة. لم يسبق لحسن قط أن كان وسط هذا العدد الهائل من البشر الذين يسيرون

في كافّة الاتجاهات.

أنفق عددًا من العملات المعدنية داخل كافيتريا ضخمة على سجق الهوت دوج وكوب ورقي يمتلئ بعصير مثلّج حلو ولذيذ بشكل لم يجرّبه من قبل على الإطلاق؛ ولا حتّى الكوكاكولا. أكل واقفًا كأغلب الموجودين في المكان، رغم أنّ رغبته في خلع حذائه كانت تفوق أي رغبة أخرى في العالم. وميّز على الجانب الآخر من الإنسانيّة مثلثًا صنعته ثلاثة شوارع ما، أدرك أنّها دار سينما مُزينة بعناقيد من النّور. رأى حسن ثمن التذكرة، وكان خمسًا وأربعين سنتًا، أي أربع قطع من العملات الصغيرة الموجودة في جيبه إضافة إلى قطعة أكبر وأكثر سُمكًا نُقش فوق أحد جانبيها بقرة حدباء. أراد حسن فجأة أن يجلس فوق مقعد مُريح، وأن يخلع حذائه، وأن يُشاهد فيلمًا. وتمنّى لو كان يدور في شيكاغو.

كانت السينما تُشبه كاتدرائيّة يعمل بها موظفون من الرجال والنساء الّذين يوجّهون سيلًا من المتفرجين إلى مقاعدهم. أزواج يثرثرون؛ جماعات من الشباب، وكلهم يتحدثون بصوت عال ويلعلعون بالضحك. كانت الصفوف الطويلة تُشبه مثيلتها في معبد البارثينون بأثينا، لكن الملائكة المُعاصرة كانت محفورة باللون الذهبي فوق الجدار، وثمّة ستار أحمر داكن يبلغ ارتفاعه ثلاثين مترًا.

خلع حسن حذائه بمجرد فتح الستار وعرض فيلم قصير على شاشة في ضخامة هيكل السفينة بيرنجاريا. ثمّ عزفت موسيقى مع ظهور ودوران كلمات مزخرفة فوق الشّاشة. كانت الكلمات تظهر وتختفي بسرعة كبيرة فأخفق حسن في التعرّف على حرف واحد. وعرض الفيلم نساءً يرقصن ورجالًا يتجادلون، ثمّ عرضوا فيلمًا قصيرًا آخر

عامر بالمزيد من الموسيقى والكلمات الخاطفة. لكن هذا الفيلم كان يضم ملاكمين وسماوات تحفل بالطائرات. وعرض فيلم ثالث قصير امرأة شديدة الجديّة تقول أشياءً شديدة الجديّة، ثمّ تبكي، ثمّ تركض في شارع وتنادي أحدًا ما باسمه، ثم انتهى هذا الفيلم. وبعد هنيهة تدفّقت على الشّاشة ألوان زاهية حين ظهر رجل ذو مظهر مضحك يلبس مثل رعاة البقر، لكنه ليس راعي بقر حقيقي، وامرأة فاتنة ذات أشعر أسود وتضع أغمق أحمر شفاه سبق أن رآه، وشرعا في الغناء وإطلاق الدعابات التي جعلت جدران الكاتدرائيّة تردد أصداء الضحك. لكن رغم ذلك، سرعان ما سقط حسن في نوم عميق.

في اليوم التالي لم يجد أحدًا في الجمعيّة الهلينيّة، وبدت المدينة بأكملها غارقة في الصمت ولا يوجد سوى عدد قليل من الناس يُغادر السلالم المؤدية إلى الأنفاق والكثير من المباني الخالية. عثر حسن على مكان دروس اللغة الإنجليزية في شارع ثلاثة وأربعين، لكنه لم يجد أحدًا فيه يستطيع أن يتبادل معه حديثًا بالإنجليزيّة.

عاد حسن إلى الحديقة، وبدا أنّ كل المباني المحيطة بالأصبعين الأوسطين قد أفرغت كل من فيها بالأشجار والطرقات والملاعب والحقول الخضراء الواسعة. كان الأطفال والعائلات ينتشرون بكل مكان: في حديقة الحيوان؛ على متن زوارق تجديف؛ أو يتزلجون بعجلات مثبّتة في أحذية؛ أو في حفل موسيقي؛ أو يلهون بالكلاب؛ والأطفال يلقون ويمسكون ويركلون كل أنواع الكرات. أحبّ حسن الكلاب وطفق يراقبها أغلب الوقت.

حين أعتمت السحب سماء الأصيل، رحلت العائلات وتوقّف اللعب بالكرة وفرغت الحديقة، وسرعان ما هطل المطر. عثر حسن على ممر

مُغطّى وانتهى به الحال بقضاء الليلة هناك، حيثُ تقاسم المكان مع بضعة رجال آخرين ناموا فوق صناديق وتغطّوا بستراتهم فقط. كانوا جميعًا يتكلمون بلغات يجهلها حسن، ولم تبد السعادة على ملامح أي واحد من أولئك الآخرين بخلاف حسن الّذي سبق له أن علق بسبب المطر، فلم يشعر بالأسف على الإطلاق. كان قد اختبأ تحت جسور، وتبللت ثيابه، ومشى أيامًا، بل وهرب من رجال في بلاده كانت التعاسة ترتسم على وجوههم كما ترتسم على وجوه هؤلاء الرجال. أمّا هذا؟ فلا شيء.

في الصباح، استيقظ حسن مُصابًا بالسعال.

قالت دوروثي باليونانيّة: "ينبغي أن يكون هذ البنطلون على مقاسك. وهذا الحذاء أيضًا. جربهما في المرحاض الموجود بالردهة."

"وما هو المرحاض؟" إذْ لم يسبق لحسن قط أن سمع الكلمة.

"المبولة. حجرة الرجال."

كان البنطلون مناسبًا بدرجة معقولة، أمّا الحذاء المستعمل فلم يكن مناسبًا فحسب لقدمه الصغيرة، بل كان مُريحًا أيضًا. أعطته دوروثي زوجًا من الجوارب، وعددًا من الأقمصة المختلفة، وبنطالين ثقيلين. كانت الثياب كلها مُريحة بعد أن قضى أيامًا كثيرة بنفس الحُلّة الزرقاء المخططة التي أخذتها دوروثي منه لتنظيفها.

"ماذا جرى لذلك الفتى البلغاري الّذي كان هنا الجمعة الماضية؟" دخل ديمتري يحمل كيسًا يضم كعكًا مدوّرًا مثقوبًا من المنتصف وقهوة أمريكيّة أحلى طعمًا، واستطرد: "حسن؟ تبدو كمن يعيش في جيرسي!"

عادت دوروثي تجلس أمام الآلة الكاتبة ووضعت شريطًا آخر في المسجّل، فعزفت الموسيقى بوتيرة أسرع- Cap tee aitch eee space cue you eye sèe kay space، فيما تدوي دقّات دوروثي فوق المفاتيح.

سأله ديمتري: "هل قابلت كوستاس؟"

ارتشف حسن قهوته وقضم كعكة مدوّرة آذت حلقه لكن طعمها كان لذيذًا، وقال: "بلى، وطردني." وألقى نظرة سريعة عبر الباب على دوروثي التي لم تسمع عبارته لحسن الحظّ.

"لابد أنّ مظهرك لم يرق لكوستاس. لكنّك الآن تُشبه أبناء هوبوكين؛ كأنّك سيناترا تقضي عطلة نهاية الأسبوع." ولم يفهم حسن ما كان يقصده ديمتري الّذي تابع: "كوستاس يدين لي، لذا عُد وقل له أني أرسلتك. هل قلت له أنّي أرسلتك؟"

"لم يكترث بمن أرسلني."

"قل له أنّي أرسلتك."

قطع حسن المسافة إلى أطراف المدينة مرّة أخرى، ووصل إلى مطعم الشواية الأوليمبيّة ولم يزل نصف مقاعده غير مشغول. كان كوستاس يجلس فوق أبعد مقعد عن الباب يقرأ صحيفة وأمامه كوب قهوة. كان قصيرًا فراح يؤرجح قدميه للأمام والخلف كأنّه صبي صغير. اقترب حسن منتظرًا أن يرفع كوستاس عينيه عن الصحيفة، لكنه لم يفعل.

"ديمتري يقول أنّك ستعطيني وظيفة."

استمرّ كوستاس في القراءة وغمغم: "هه؟" ثمّ كتب شيئًا في دفتر

بقلم رصاص. وكان ثمّة كلمات كثيرة بالصفحة.

"ديمتري باكاس. لقد أرسلني إليك."

لم يتحرّك كوستاس، لكنّه حوّل تركيزه من الصحيفة وقائمة الكلمات إلى حسن، وهتف: "تبًّا، ما هذا؟"

"ديمتري باكاس. لقد أوصاني بلقائك؛ لأنّك مدين له."

عاد كوستاس للقراءة والكتابة، وقال: "لا أدين بشيء لديمتري باكاس. إمّا أن تطلب شيئًا من المطعم أو ترحل من هنا."

"لقد أوصاني بلقائك من أجل وظيفة."

نهض كوستاس من مقعده والشرر يتطاير من عينيه الداكنتين صائحًا: "من أين أنت؟"

"بلغاريا. لكن جئت من أثينا."

"عُد إذن إلى أثينا! لا أستطيع أن أساعدك بشيء! هل تعلم أين كنت أنا وقت أن كنت تستمني داخل حظيرتك القذرة في بلغاريا؟ كنتُ هُنا! كنت في أميركا. وهل تعرف ما كنت أقوم به؟ أتعرّض للإهانة لمجرد التفكير في هذا المطعم!"

"لكن ديمتري قال لي أن أذهب للقائك. ولذلك جئت."

"ليفعل ما يشاء أمّا أنت فاخرج من هُنا! أنا أرشو الشرطة هُنا! وسيشقون رأسك نصفين إن طلبت. إياك أن تعود مرّة أخرى وإلا سلمتك لهم!"

هرع حسن خارج المطعم. تُرى ماذا بيده؟ وكان لا يرغب بأي متاعب مع الشرطة.

كان النهار حارًّا كالعادة. وكان زئير السيارات والحافلات صاخبًا كأنّه

رياح عاصفة. وسدّت أذني حسن ثرثرة الكثيرين ممن يحظون جميعًا بوظائف ونقود في جيوبهم إضافة إلى مخاوف أقل. كان حلقه يحترق وساقاه ثقيلتان كأنّهما كيسان يمتلآن بالرمال.

كان يتجه إلى شارع ثلاثة وأربعين لحضور درس اللغة الإنجليزيّة، لكنّه توقّف فوق بقعة مثلثة صغيرة يغطيها العشب والشجر حين أصابته نوبة ألم. صداع جديد راح يضرب رأسه فوق عينيه مباشرة. كوّر كفّيه أمام صنبور ماء كي يشرب سريعًا لكنّ آلام حلقه لم تخفّ. رأى رجلين يتقاسمان مقعدًا أسفل ظلال الأشجار؛ مقعد كبير يسع أربعة أشخاص، وكان يريد الجلوس بأسرع وقت ممكن. ثمّ أصابته وخزة ألم عنيفة غير مرئيّة في بطنه جعلته ينثني وبدأ يتقيأ.

راح رجل يطرح عليه أسئلة عجز عن فهمها، وحمله آخر من كتفيه إلى المقعد الظليل، وأعطاه آخر؛ ربّما كانت امرأة، منديلًا كي يمسح فمه، وناوله رابع زجاجة صودا دافئة استعملها حسن في المضمضة وبصقها، فاحتج شخصٌ ما على صنيع حسن، لكنّه لم يقل شيئًا. بل أمال رأسه فوق المقعد وأغمض عينيه.

اعتقد أنّه نام بضع دقائق، لكن حين فتح عينيه كانت الظلال قد صارت أطول ورأى أشخاصًا مختلفين داخل الحديقة الصغيرة؛ أمريكيون تجاهلوا شخصًا نائمًا فوق مقعد.

مدّ حسن يده داخل جيبه، واكتشف أنّ دولاراته الأمريكيّة قد اختفت. ولم يعثر سوى على بعض العملات المعدنيّة. تمامًا كما حذّره القائد؛ سرقه لصّ ما أن كفّ عن الحركة. ولم يفارقه الصداع فترة طويلة قضاها جالسًا.

تحوّلت ساعات العصر إلى ساعات المساء الأولى، ولم يكن يرغب في قطع المسافة إلى السنترال بارك مشيًا على قدميه، لكن شرطيًّا اقترب منه ورآه، لذلك انطلق سائرًا، وبعد نحو ساعة كان ينام أسفل أحد أشجار الحديقة، متوسّدًا بنطلونه الإضافي الملفوف.

رأى أشخاصًا آخرين في مكتب ديمتري. جميعهم يلبسون حللًا ويحملون حقائب جلدية تمتلئ بالأوراق. لا أحد منهم يوناني. أمّا ديمتري نفسه فوقف أمام النافذة يصيح في الهاتف بالإنجليزيّة، تمامًا كما كان حين رأى حسن هذا المكان أول يوم. ضجّ اثنان من الحاضرين بالضحك على شيء قاله ديمتري، وأشعل الباقون سجائرهم. نفخ رجل دخّان سيجارته في دوائر، وسمع حسن دوروثي تنقر آلتها الكاتبة دون مساعدة من شريط التسجيل.
قال ديمتري لمحدثه حين رأى حسن: "ابق معي." ثمّ أحاط سمّاعة الهاتف بكفّه مردفًا: "دوروثي تحتفظ بحلّتك. يا دوروثي!"
رمق جميع الحاضرين حسن وثيابه المجعّدة وذقنه النابتة، وأبصروا لقيطًا مسكينًا جاهلًا آخر مِمَن يظهرون دائمًا في مكتب ديمتري.
جاءت دوروثي تحمل الحُلّة فوق مشجب؛ السترة والبنطلون ناضران وجديدان، والقميص مطوي بعناية على هيئة مربّعة كأنّه مفرش مائدة. أخذ حسن ثيابه وخرج من المكتب يهزّ رأسه علامة الامتنان.
جعلته عيون ووجوه الرجال في المكتب يحسّ أنّه ضئيل؛ كحاله في بلاده حين كان الجنود يفتشونه ويركلونه ويتفحصّون أوراقه أكثر مما يلزم، وكحاله حين أجبره الحرّاس على الوقوف وتكرار الإجابات المرّة تلو الأخرى؛ وكحاله حين كان يصطف هو وسائر السجناء الآخرين في

المعسكر أثناء تفقّد الطابور الّذي كان يستغرق ساعات.
نزل درجات السلّم إلى الشّارع، وسمع الرجال ينفجرون بالضحك ودوروثي تعود للنقر فوق مفاتيح آلتها الكاتبة. تكّ-تكّ تكّ. تِكّ.

كان كوستاس يُحصي مؤونته من العملات الصغيرة بمسجلة النقود، وثمّة رجل يرتدي حُلّة زرقاء مخططة نظيفة يجلس فوق مقعد أمام منضدة المطعم الطويلة. كان صخب الغداء على وشك البدء، حيثُ يجيء ويروح الزبائن العاديون إلى ما بعد الثالثة عصرًا، وكان كوستاس في حاجة لتجهيز عملات صغيرة كبواقي للعملات الورقيّة. بعدئذ سيتوفر وقت لكوستاس يقرأ خلاله الصحيفة ويعثر على قائمته من الكلمات الجديدة. لم يكن تعلّم اللغة الإنجليزيّة أمرًا صعبًا طالما تدرس الصحيفة يوميًا ولديك الكثير من الزبائن الأمريكيين تصغي إليهم ولا تكفّ عن الحديث معهم.
كانت زوجته تمسح الطاولات، لذلك كان كوستاس هو من سأل الرجل صاحب الحلّة الزرقاء المخططة النظيفة المنشّاة: "ماذا أحضر لك يا صديقي؟"
وضع حسن بضع عملات معدنيّة فوق المنضدة؛ وكانت أخر نقود في جيبه، وقال: "قهوة من فضلك. قهوة أمريكيّة مُحلّاة وبحليب."
تعرّف كوستاس على حسن فاستشاط غضبًا وهتف: "هل ترى نفسك ظريفًا؟"
"لكنّي لا أمزح."
"هل أرسلك ديمتري إلى هنا؟ مرّة أخرى؟"
"كلا. بل جئت كي أحتسي القهوة."

"لا أصدّق أنّك جئت لاحتساء قهوة فقط!" وكان كوستاس غاضبًا جِدًّا فألقى قدحًا بعنف أمام جرّة القهوة حتّى تصدّع. وهتف: "نيكو!"
برز صبي قصير مثل كوستاس من المطبخ وأجاب: "هه؟"
"المزيد من أقداح القهوة!"
حمل نيكو صينية تمتلئ بأقداح القهوة الأمريكيّة الثقيلة، ولم يكن ثمّة احتمال ولو ضئيل أنّه ليس ابن كوستاس؛ إذْ كانت الاختلافات الوحيدة بينهما هي عشرين عامًا وعشرة كيلوجرامات.
رمى كوستاس القهوة السّاخنة في حضن حسن تقريبًا وهتف: "خمس سنتات!" والتقط قطعة معدنية من القطع السميكة فوق المنضدة؛ إحدى القطع التي نُقش عليها بقرة حدباء. صبّ حسن الحليب ووضع السكّر داخل القدح وراح يُقلّب ببطء.
"لعلّك تظنّ أنّك حين تأتي إلى هُنا ستجد عملًا ينتظرك لا لشيء إلا أنّك نجحت في الوصول إلى أميركا." كان كوستاس يميل فوق المنضدة وعينيه في نفس مستوى عينيّ حسن بسبب قصره الواضح. "تمضي وتبكي لهذا اللقيط من جزيرة كورفو فيقول لك: «اذهب وقابل كوستاس» وعليّ أنّ أدفع لك لقاء العمل عندي؟"
ارتشف حسن قهوته.
"ما اسمك؟"
"حسن."
"حسن؟ لست يونانيًّا حتّى وتأتي إلى هنا تطلب عملًا!"
"أنا هنا اليوم من أجل القهوة فقط."
كان كوستاس يدق على كعبيه، وكرجل يتميّز غيظًا كان على وشك القفز فوق المنضدة وإشعال شجار، لكنّه استطرد: "يُفترض أن أكون

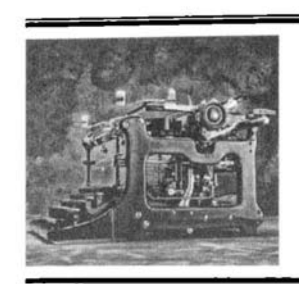
الثري الّذي يوفّر وظائف للجميع، صحيح؟ «كوستاس شخصيّة بارزة! لديه مطعمه الخاص! ويُدير أعمالًا كثيرة لذلك تخرج الوظائف من مؤخّرته! تعال إلى أميركا واعمل لديه«هراء!»"

كاد قدح حسن يفرغ، فقال: "أحضر لي قدحًا آخر من فضلك."

حملق كوستاس في عينيّ حسن برهة طويلة ثمّ صاح: "لا! لن أحضر لك قهوة أخرى! أنت بلغاري، صحيح؟"

أنهى حسن قهوته ووضع القدح فوق المنضدة قائلًا: "بلى."

عندئذ قال كوستاس: "حسنًا. اخلع الآن هذه السترة اللطيفة وعلّقها فوق المشجب الموجود في الخلف، وسيعلّمك نيكو كيف تنظّف القدور."



بلدتنا اليوم مع هانك فيست

بشيرتك المُخلصة، إسبيرانزا

قدح قهوة يا صديقي؟ تدمنها القهوة أقصد. أعمل مراسلًا صحافيًا كما ترى، وغرفة الأخبار التي تخلو من القهوة تُصدر صحيفة رديئة، أراهن على ذلك. تمتلئ الآنية هُنا في التريسيتيز ديلي نيوز/هيرالد إلى حافتها، رغم أنّ أغلب العاملين يغادرون إلى المحلات الرفيعة التي تنتشر فروعها في كل مكان؛ المحلات التي يعمل بها سقاة وتقدّم قهوة ذات نكهات مُختلفة بستة دولارات للقدح الواحد. ستكشف لنا جولة بين صالونات الكافيين بمدننا المتضامة الثلاثة الكُبرى أنّ قهوة ويكهام أب طيبة المذاق محمّصة ومخمّرة ومُحضَّرة في ضغط بخار مناسب وتُصب بأسلوب أنيق. جرِّب مطعم آميز درايف ثرو للوجبات المكسيكيّة المُعدّلة الذي يقع في ميراكل مايل، ستتسع عيناك من الدّهشة بسبب قدح الإسبرسو الضخم بنكهة الفلفل الحار.. كما عرض مؤخّرًا مقهى ذا كوركر آند سمايث الكائن في المبنى التجاري بميدان ترايمف القهوة السفاري التي لا أتحمّس لها؛ إذ الأفضل أن تجلس أمام المنضدة

الرئيسة وترتشف الإكسير القاتم في تلك الأقداح العميقة المصنوعة من الخزف... أمّا كافيه بوس فلديها ثلاثة فروع؛ واحد منها في وادزوورث وسيكويا، وتقدّم قهوتها للزبائن المحليين في أقداح مكسوة بالجلد. لكن مهما كان نوع القهوة التي تطلبها، إياك أن تطلب حليبًا أو مبيّضًا؛ ذلك أنّهم عاشقون مخلصون للقهوة ولديهم وجهة نظر معقولة في تفسير ذلك. وينفرد مقهى جافا-فا-فووم بالجادّة الثانية شمال باين في ايست كورنينج بما تعجز المقاهي الأخرى عن مضاهاته؛ أقصد الأصوات البديعة. فثمّة وشيش الرّغوة؛ وأحاديث الزبائن والموظفين الهامسة؛ والموسيقى النّاعمة في الخلفيّة كأنّها لحن موسيقي في فيلم يُعرض في المبنى المجاور. ومن حين لآخر، يتردد صوت دقّات على مفاتيح آلة كاتبة، لكن ليس بالمعنى المعتاد للكلمة.

* * *

تعمل إسبيرانزا كروز بسترمنته؛ التي ولدت ونشأت بالقرب من أورانجفيل، مستشار حسابات في بنك محلّي رغم أنّها بالنسبة لكثيرين وظيفتها الثانية. إذْ يعرفها أقربون كثيرون باعتبارها مُبشّرة؛ وكعاملة آلة كاتبة تستخدم مهارتها في الطباعة بسرعة في خدمة الآخرين. وكانت الراهبات المتعلمات في المكسيك القديمة يخدمن رعاياهن من خلال كتابة الوثائق الهامّة مثل الالتماسات والإيصالات والأوراق الرسميّة وسجلات الضرائب، بل وأحيانًا رسائل الحبّ، للأميين والعاجزين عن التعامل مع ما كان يومًا أعجوبة تكنولوجيّة وأقصد بها الآلة الكاتبة. وقد أتقن والدا إسبيرانزا؛ شأن كثيرين، استعمال الآلة الكاتبة على يد المبشّرين الإنجيليين، قبل أن تغدو كتابة الخطابات والمراسلات الرسميّة والمذكرات التي يحتاجها الناس، مصدر رزقهما. لم يغتن أحد منهم، لكنّهم طبعوا عبارات لا تُحصى فوق الورق.

* * *

لدى إسبيرانزا طاولة خاصّة في مقهى جافا-فا-فووم حيثُ؛ إلى جانب قهوتها

الكبيرة المخلوطة بحليب الصويا، ترصّ كومة من الأوراق البيضاء التي تستخدمها في الكتابة على آلتها الكاتبة الجاهزة إلى جوارها. تستعمل المكان منذ فترة طويلة، وقد استغرق أولئك الذين لم يعتادوا صوت إيقاع مفاتيح آلة إسبيرانزا الكاتبة بعض الوقت. تقول إسبيرانزا: "اشتكى البعض في البداية، وطلبوا منّي الكتابة في مكان آخر، وسألني آخرون لم لا أعمل على حاسوب محمول فهو أهدأ وأيسر. وذات مرّة أتى شرطيان فقلت في نفسي تُرى هل استدعوا الشرطة من أجلي؟ لكن تبيّن أنّهما جاءا لاحتساء قهوة بالحليب."

* * *

سألتها: "لم لا تستخدم التكنولوجيا؟" فأجابت: "تعرّض بريدي الإلكتروني للقرصنة." مِمَن؟ "الروس؟ مجلس السلامة الوطني؟ أمراء نيجيريين مزيّفون؟ من يدري؟ لقد تعرّضت بياناتي للسرقة، وغرقت حياتي في الفوضى شهورًا." تقتصد الآن في استعمال الإنترنت ولديها هاتف نقّال عتيق الطراز يُمكنها الكتابة عليه لكنّها تفضّل استخدام الطريقة القديمة؛ أقصد استقبال وتلقّي المكالمات الهاتفيّة العاديّة. لا تضطر أبدًا لطلب كلمة سر الإنترنت اللاسلكي، وبالنسبة للفيسبوك والسناب شات والإنستجرام، وغيرهم؟ تقول بشبه فخر: "تخلّيت عنهم، فحين تعرّضت للقرصنة وخرجت من وسائط التواصل الاجتماعي، ظفر يومي بنحو ست ساعات! إذ كنتُ أتحقق من هاتفي كل بضع دقائق، ناهيك عن الوقت الّذي كنت أهدره في لعبة سنوكن حيثُ ألتقط كرات الثلج الملوّنة الموجودة داخل كوب مثلث صغير من أجل تسجيل نقاط." والعيب الوحيد؟ "اضطرار أصدقائي لتعلّم كيف يتصلون بي." وماذا تكتبين بالضبط على تلك الآلة الكاتبة؟ "الكثير! فلديّ عائلة كبيرة. أعياد ميلاد أرسل فيها لبنات وأبناء العائلة تهنئة إضافة إلى خمسة أو عشرة دولارات. كما أكتب مذكرات للعمل إمّا أنسخها أو

أعيد كتابتها قبل أن أرسلها من المكتب إلكترونيًّا. وهنا..." ورفعت صفحة كُتب عليها الوثيقة الأكثر تنظيمًا وتنسيقًا على الإطلاق مستطردة: "هذه قائمة بما أحتاجه من بقالة."

* * *

يبحث زبائن آخرون عن إسبيرانزا من أجل خدماتها المتواضعة كراهية. "الأطفال شغوفون بآلتي الكاتبة؛ لذلك أتركهم ينقرون أسمائهم ريثما أنتهي من طلبات أمهاتهم. أمّا البالغون منهم فيدونون قصائد وأغاني راب." كما يسعى الكبار إلى خدماتها أيضًا. "لم يعد لدى أحد آلات كاتبة تعمل. لكن الرسائل المطبوعة على آلة كاتبة ذات طابع استثنائي. لذلك يأتيني البعض وبحوزتهم رسائل كتبوها على الحاسوب ويطلبون منّي أن أطبعها لهم على الآلة الكاتبة كي تغدو فريدة من نوعها. ربّما أجلس هنا قبل عيد الحب أو عيد الأم ساعات أكتب خلالها رسائل موجزة لزبائني الّذين يصطفون في طابور طويل حول المبنى. لو كنت أتقاضى أجرًا لصرت في ثراء بائعة زهور بارعة." لكن إسبيرانزا قد تكتفي لقاء مثل هذه الخدمات الشخصيّة بقهوة مجّانية. عادية في الصباح، ومنزوعة الكافيين بعد الظهر.

* * *

"كان هذا الشاب ينتظر تحضير قهوته وبدأ يروي لي عن آلته الكاتبة التي تخلّص منها. كان يتمنّى لو كانت لا تزال لديه، وكان يعتزم الطلب من صديقته أن تقبل الزواج به، ويرى أنّه إن تقدّم إليها بهذا الطلب من خلال رسالة مطبوعة على الآلة الكاتبة، فستغدو الرسالة واللحظة خالدتين إلى الأبد. تُرى هل كان أمامي خيار آخر سوى أن أدخل صفحة جديدة وأتركه يُملي عليّ ما يُريد؟ أصبحت رسولة غرامه، وكتبنا ست مسودات مختلفة." سألتها: ماذا قال ليعرض عليها الزواج؟ "ليس من شأنك." وهل قبلت الفتاة؟ "لا أدري. لقد قرأ الرسالة عشرات المرات كي يتأكّد أنّ الكلمات مناسبة للموقف، ثمّ غادر يحمل الرسالة

وقدح كابتشينو بالفانيلا ولم أره منذ ذلك الحين."

* * *

تُتيح الآلة المحمولة لإسبيرانزا تقديم خدماتها في أي مكان، لكن يظل مقهى جافا-فا-فووم هو قصرها الرئيس المصطنع. "هذا المكان يتحمّلني ويقدح زناد عقلي." وتستطرد: "كما أنّ البعض منهم أصبح في حاجة لي." آه، أكثر مما تتخيلين أيتها البشيرة إسبيرانزا.



ستيف وونج لاعب مثالي

لأنّ مقاطع الفيديو تنتشر بسرعة خاطفة جِدًّا، شهدنا الحفاوة بخنازير صغيرة تُنقذ حملان رضيعة من الغرق[17]. لكن مهلًا، هذا الفيديو كان محض أكذوبة على الإنترنت. في حين كان ما فعله ستيف وونج حقيقة حدثت أمام شهود، ورغم ذلك حقق انتشارًا مدويًّا. كُنّا خرجنا للعب البولينج ذات ليلة، وكان ستيف بحقّ هو الهدّاف الّذي سجّل عددًا غير مسبوق من الضربات[18]، فاستحق تبجيل كل من يلعب البولينج بغرض المتعة أو الربح. ورغم ذلك، ربما يساورك

(17) إشارة لفيديو مُدته ثلاثين ثانية انتشر عام 2013 يُصوِّر خنزيرًا صغيرًا يُنقذ حملًا رضيعًا من الغرق، لكن تبيّن لاحقًا أنّه مُفبرك بعد أن حقق ما يزيد على السبعة ملايين مشاهدة. [المترجم]

(18) الضربة أو Strike هي أن يتمكّن اللاعب من إصابة كل القطع الخشبيّة من المحاولة الأولى، أمّا إذا تبقت بعض القطع وتمكّن اللاعب من إصابتها كلها في المحاولة الثانية فتسمّى Spare، وإذا أخفق يُسمى الدور دورًا مفتوحًا. [المترجم]

الشكّ؛ ما لم تكن قد رأيت بنفسك ما فعله ستيف، أن تكون آنا ومداش وأنا قد اختلقنا الأمر.

لم تكن إنجازات ستيف مفبركة ولا كانت ضربة حظّ؛ إذْ كان قائد فريق فريشمان للبولينج في مدرسة القديس أنطوني كنتري داي الثانوية، وحاز على جوائز في بطولات البولينج للشباب بالسيرفسايد لينز. بل أنجز مباراة نظيفة؛ اثنتا عشرة ضربة متعاقبة بمجموع نقاط بلغ الثلاثمائة، ولم يزل بعد في الثالثة عشرة من عمره، وقد نُشر اسمه في الصّحف ومنحته السيرفسايد الكثير من الهدايا المجّانية.

كُنّا نحتفي بمداش بمناسبة مرور عام على حصوله على الجنسية الأمريكيّة، فاصطحبناه للعب البولينج وأقنعناه بأنّ ذلك عُرف أمريكي عظيم؛ أنْ يخرج المهاجرون من فيتنام وشيلي وغيرهما من الدول للعب البولينج بعد مرور عام من الحصول على الجنسية، وأنّ عليه هو الآخر أن يمتثل لهذا العُرف. وصدّقنا. فأحضر ستيف وونج فردة قفّاز المُحترفين خاصّته وحذاء البولينج المصنوع حسب طلبه! كُنّا نلبس أحذية مستأجرة مزرية معقودة بأربطة متنافرة كانوا يحتفظون بها داخل حجيرات رطبة خلف مكتب الاستقبال، في حين لبس نعلين مُخصصين للعب البولينج باللونين الأصفر والبُنّي كُتبت حروف اسمه فوقهما، فضلًا عن حرف X مكررًا ثلاث مرّات فوق كل كعب، تُمثّل الإطار الأخير بتلك المباراة النظيفة منذ سنوات مضت. كان الحذاء داخل حقيبة ملائمة بنفس اللونين البشعين الأصفر والبُنّي، فطفقنا ندعكهما كما لو كانا مصباحين سحريين آملين أن يخرج منهما جِنّي. فلما وصلت البيرة التي طلبناها هتفت: "ها هي أمنيتي تحققت!"

لم يكن مِداش قد لعب البولينج على الإطلاق في قريته جنوب الصحراء الكُبرى، لذلك أفردنا له مضمارًا بعينه وطلبنا من الموظفين رفع السور المُخصص للأطفال؛ وهو السور الّذي يُساعد الأطفال الصغار على ألا تسقط كراتهم داخل القناة الجانبية. كانت كُل كرة يرميها تنزلق من مصدّ إلى آخر، لكنه كان يُصيب دائمًا بعض القطع وبلغ أعلى نقاطه ثمانية وخمسين ونقطة. كنتُ أحرز 138 نقطة؛ وهو رقم متواضع في ضوء كمّ الكرات التي أدحرجها. أمّا آنا بارك الله فيها فقد ركّزت بقوّة في تكنيكاتها وتفوّقت عليّ بست نقاط؛ أي 144 نقطة. أصابها الانتصار عليّ بالدوخة وتورّد وجهها واحتضنت مداش بذراعيها المفتولين كأنّهما حبل مشدود وأطلقت عليه لقب "صديقنا الأمريكي."

لكن مفاجأة الليلة كانت ستيف وونج وبراعته في مضمار البولينج؛ إذْ جعلت النقاط التي حققها خلال ثلاث جولات؛ 236 و243 وأخيرًا 269، قدرتنا على التنافس محل شكّ. كان شديد البراعة درجة أنهكتنا وكُنّا نستغرب من قدرته على إحراز نقاط عالية بضربات تبدو غير موفّقة، لحدّ أنّه أصاب القطع العشر إحدى عشرة مرّة خلال جولتين، فهددته أن أسرق ذلك القفّاز وأن أشعل فيه النار.

لكنّه قال: "سأحضر كرتي في المرّة القادمة. لا أستطيع العثور عليها."

"لكن تحتفظ بذلك الحذاء القبيح حيثُ تستطيع العثور عليه في لمح البصر؟"

لعبنا نحن الأربعة مرّة أخرى في الأسبوع التالي، حيثُ عثر ستيف على كرته بمساعدتي. انتزعته من منزله الهائل في أوكسنارد وفتّشنا المرأب وثلاث حجرات للثياب. كانت حقيبة كرة البولينج؛ تلك الحقيبة

الجلدية الرائعة المدهونة بالأصفر والبنّي، خلف حقيبة آلة كاتبة قديمة منقوشة بالية فوق أعلى أرفف ما كان في السّابق خزانة ثياب شقيقته، بالقرب من صندوق يضمّ نحو مائة عروسة دمية، ترتسم على وجوههن ابتسامات خاوية ولهن خصور نحيلة لحدّ غير ممكن. كانت الكرة هي الأخرى ملوّنة بهذه التركيبة اللونيّة الغريبة؛ كأنّها كومة قيء زائفة اشتراها من متجر للحلي المنزليّة. ثمّة حروف صينية لامعة مُثبّتة بين فتحات دخول الأصابع الثلاث. وصلنا مجمّع فنتورا للبولينج، ووضع الكرة داخل آلة تبيّن أنّها لصقل كرات البولينج، وأعطى آنا قفّازًا على مقاسها يدعم معصم اليدّ.

كان مِداش لا يزال داخل مضماره المزوّد بمصدين إلى جوار الحارة التي نلعب فيها؛ حيثُ بلغ أعلى مجموع نقاط سجّله خلال أربع جولات سبع وثمانين نقطة. أحرزت 126 نقطة في الجولة الأولى، بعدها لم أعد أكترث بالنتيجة لأنّنا لعبنا الأسبوع الماضي وبالنسبة لي فإنّ أربع مباريات بولينج خلال عام واحد شيء لا بأس به. بالنسبة لآنا؟ مهووسة! من جديد! إذْ أبدلت الكرات ثلاث مرّات خلال الجولة الأولى قبل أن تركن إلى خيارها الأول. وأرضت غرورها بالوصول إلى مائتي نقطة طوال الليل؛ وصلت أخيرًا إلى مائتين وواحد، كانت خلالها تلبس قفّازًا خاصًّا وتصبّ تركيزها على المسافة بين قدميها ومكان رمي الكرة، وتجفف كفّها باستمرار أمام مروحة صغيرة فوق المخرج الّذي تعود منه الكرة. كانت بحالة مزاجية ممتازة لدرجة أنّها أخذت رشفات من بيرتي.

أمّا ستيف وونج؟ فقدّم استعراضه الكبير بأصابعه الثلاثة هذه المحشورة داخل الثقوب المحفورة بدقّة في تلك الكرة البرّاقة. وظهرت

سنوات خبرته في تألّق حركة قدميه، والقوس الّذي يصنعه حين ينثني، والطريقة الّتي يُفلت بها الكرة فتحلّق يده في اتّجاه لوحة النتائج المحوسبة. كان يحظى باتّزان راقص باليه؛ قدمه العالقة ممدودة خلف حذائه الأيسر، وأصبعه الأيمن يدق الأرضيّة الخشبيّة الصلبة بقبلة من حذائه الملوّن بالبني والأصفر الّذي نُقش عليه حرف X ثلاث مرات. لم تقل نقاطه تلك الليلة عن مائتين وسبعين نقطة قطّ، منتهيًا ببلوغ حدّ... الثلاثمائة نقطة.

حقًّا. وراح الحاسوب يلمع بعبارة مباراة نظيفة ثلاث مرّات، وقرع المدير جرسًا قديمًا كأجراس السفن خلف مكتبه. واقترب المشجعون الآخرون الّذين يكترثون بالبولينج، وصافحوا ستيف وربتوا فوق ظهره ودفعوا ثمن كل ما طلبته من بيرة الرولينج روك، مؤكّدين بشكل لا يقبل الشّك أنّ حذاء ستيف وونج حذاء سحري.

لعبنا مرّة أخرى بعد بضعة أيام بناءً على طلب مداش الّذي كان يحلم بالمباراة. "أرى فيما يرى النّائم الكرة السوداء تتدحرج نحو القطعة الأولى فتُسقط كل القطع، لكنّها لا تتحطم كما أتمنّى. أريد أن أحطّمها كلها." هكذا صار تخطّي حاجز المائة نقطة رؤيا يسعى لتحقيقها، لكنّه أوقع خمس كرات على التوالي داخل القناتين الجانبيتين، حين تخلّى خلال رحلته الثالثة فقط إلى مضمار البولينج عن السّور المخصص للأطفال.

قلت له قبل أن أخطئ القطعتين التاسعة والعاشرة بمسافة ضئيلة: "مرحبًا بك في المنتخب." لم تتضاعف نقاطي، في حين أوقعت آنا كل القطع في المحاولة الثانية بالتصويب على القطعة السابعة وبالتالي تغلّبت عليّ. وأخيرًا أصاب ستيف وونج كل القطع من الضربة الأولى.

يبدأ الطوفان المفاجئ بقطرة مطر واحدة فوق حجر، ويُعرف حريق الغابة بهبّة دخان من بعيد. كذلك تغدو مباراة البولينج النظيفة احتمالًا واردًا فقط حين يظهر حرف X داخل المربع الصغير في ركن الإطار الأول من اثني عشر إطارًا متعاقبًا. أصاب ستيف وونج كل الكرات من المحاولة الأولى تسع مرّات متتالية، لذلك في الدور التاسع والعاشر من أولى مبارياتنا تلك الليلة (وكان مداش قد حقق 33 نقطة، وأنا 118 نقطة، وآنا 147 نقطة) تجمهر نحو ثلاثين لاعبًا حول مضمارنا (إذْ توقّفت كل المباريات الأخرى عند الدور السادس من أجل مشاهدة ما قد يغدو مباراة ستيف وونج النظيفة الثانية على التوالي؛ وهو الشيء الغريب والعجيب والنّادر كأن ترى قوسي قزح توأمين.) استهلّ الدور العاشر بإصابة كل القطع من المحاولة الأولى، فشهق الحاضرون وهتفت آنا: "رائع يا صغيري!" ثمّ خيّم صمت وتمشّى ستيف على مهل ورمى، فسقطت كل القطع العشر مرّة أخرى خلال محاولته الأولى بالدور الحادي عشر، ولم يعد عليه إلا أن يكرر رميته الصائبة هذه كي يصل للكمال من جديد. أظنّ أنّي لو قلت: "أنّنا سمعنا صوت سقوط كل قطعة." ستعتبرون قولي مزحة سخيفة، لكن هذا ما حدث؛ إذْ خيّم الهدوء التام مع رمية ستيف الأخيرة، وتحوّل إلى صخب عارم حين أصدرت لوحة النتائج صفيرها وأعلنت انتهاء مباراة نظيفة أخرى، صخب تكاد تظن معه أنّ عشية عيد الميلاد تزامنت مع ليلة افتتاح جسر بروكلين، أو مشي نيل أرمسترونج على سطح القمر، أو القبض على صدّام حسين داخل مخبأه. صار الهوس بوونج في ذروته، ولم نتمكّن من مغادرة المكان قبل الثالثة صباحًا بالضبط. الثالثة صباحًا، هل تعي ما أقول؟

لو كنّا تجشّمنا عناء مباراة أخرى تلك الليلة، ربّما ما كنت لتقرأ هذا الآن. إذْ كان في مستطاع ستيف أن يُحرز 220 نقطة ثمّ يلعب لعبة الكرة والدبابيس. لكن القدر امرأة غريبة الأطوار. فعقب أربع ليال لعبنا خلالها البولينج مجّانًا تقديرًا لإصابته القطع العشر خلال المحاولة الأولى أربع وعشرين مرة متوالية، عدنا بليلة مجنونة كي نشاهد مداش يسعى لتحقيق شيء آخر بخلاف النقاط الثلاثة والثلاثين والقطع التي لم تُصب. لكن ستيف وونج بدّل مغزى الليلة حين رمى كرته البرّاقة ذات الحروف الصينية: البرق الصيني، وأصاب القطع العشر خلال المحاولة الأولى، ثمّ: يا أيتها البقرة المقدّسة كما يرددون في حارات البولينج بشبه القارّة الهندية، كرر الأمر.

أصاب ستيف القطع العشر المرّة تلو الأخرى خلال المحاولة الأولى. لم يتكلّم، ودخل منطقة التركيز التي تعزله عن باقي الوجود. لم يقل شيئًا، ولا جلس قطّ، ولا التفت على الإطلاق لما كان يجري خلفه. كان الحاضرون يرسلون رسائل نصيّة لزملائهم في اللعب كي ينزلوا إلى حارات البولينج، ويوزّعون فطائر مجانيّة، كما برزت كاميرات الهواتف الذكية بأعداد كبيرة، وظهرت عائلة مكوّنة من ستة أفراد، الأطفال الصغار بلباس النوم لأنّ الأب والأم لم يعثرا على جليسة للأطفال فانتزعوهم من الفراش كي لا تفوتهم مباراة نظيفة أخرى. هكذا لم يعد أمام ستيف إلا أن يُصيب القطع العشر من المحاولة الأولى خلال الجولة الثالثة. فتابع في أجواء من الذهول والسحر الكاملين إصابة القطع بالجولة الثالثة والرابعة والخامسة و؛ مهلًا، السادسة أيضًا على التوالي.

تسمّرنا نحن الثلاثة من الدّهشة وبحّ صوتنا من الصراخ، وكُنا

نقف بالقرب من الطاولة الصغيرة بين الحارتين السابعة والثامنة، وقد احتشد حولنا نحو مائة وأربعين شخصًا تقريبًا. كنت توقّفت عن اللعب وبدأت آنا بالركض بدلًا من لعب الدور الخامس بالجولة الثانية رغبة منها في عدم تشويه الحارة والتشويش على مباراة ستيف. مداش فقط هو من تابع اللعب، وفي مقابل كل كرتين تخرجان عن مسارهما، كُرة واحدة فقط هي التي تصيب القطع.

تصاعدت صيحات الابتهاج ثمّ هوت من المستويات الرفيعة إلى الصمت الثقيل والرئتين الساكنتين. وتحوّلت عبارة آنا "رائع يا صغيري!" إلى هتاف عام تشجيعًا لا لرميات ستيف وحدها، بل من باب البرّ والإحسان، لضربات مداش الحاسمة أيضًا. وحين أعلن الحاسوب أنّ ستيف وونج أصاب القطع العشر من المحاولة الأولى اثنين وسبعين مرّة متتابعة مُحققًا بذلك مباراته النظيفة السادسة على التوالي، وقف الرجل الحقّ عند أخر حدود الرمية القانونيّة ودعك عينيه، موليًا ظهره للجمهور الهائج الّذي راح يهتف ويسحق ويُهشّم زجاجات البيرة وأكواب الصودا؛ إذْ لم يسبق لأي منا أن شهد مثل هذا الإنجاز من قبل قطّ؛ ربّما يعتبره البعض شيئًا تافهًا مثل: أليست البولينج سوى لعبة؟ لكن مهلًا! فإنجاز أي شيء بإتقان ست مرّات يغدو ذكرى راسخة.

فتّش الإنترنت بحثًا عن مقاطع الفيديو الخاصّة بتلك الليلة، وسترى وجه ستيف الحجري والغرباء والرفاق يحتفون به كأنّه سيناتور مُنتخب. ثم ألق نظرة على التعليقات: نحو تسعين بالمائة من الجمهور المجهول يعتقد أن الفيديو مُفبرك، لكن إياك أن تعبأ بهم. في اليوم التالي كان ستيف يتلقى مكالمات من وسائل الإعلام التي ترغب

في الحصول منه على تعليقات وصور وأن يحضر أمام الكاميرا. ظهر بنشرات الأنباء المحلية، وصوّرته القنوات الأربع بمفرده أمام المضمار رقم سبعة وهو يقف مشدودًا؛ عنوان القلق من الوقوف أمام الكاميرا. هل أنجزت حقًّا كل تلك المباريات النظيفة؟ وبم تشعر حين تفكّر أنّك أنجزت كل تلك المباريات النظيفة؟ فيم كنت تفكّر؟ وهل تخيّلت يومًا أن تصيب القطع العشر من المحاولة الأولى كل هذا العدد من المرّات؟ بلى. رائع. هل ستسعى لإنجاز مباراة سابعة. لا.

كان كل فريق تصوير يطلب أن يُنهي اللقاء برمية فوق المضمار؛ هكذا اضطر لإصابة القطع العشر خلال المحاولة الأولى أربع مرات أمام الكاميرا في التوقيت المُحدد. لكن السلسلة استمرّت. وكانت الحلقة الأخيرة اتصالًا من شبكة ESPN تطلب منه الظهور في برنامج اسمه *Alley Nation* مقابل ألف وسبعمائة دولار، أمّا إن أدّى مباراة نظيفة أخرى فسيحصل على أحد تلك الشيكات التي يبلغ ارتفاعها ستة أقدام وتبلغ قيمتها مائة ألف دولار.

ربّما تتخيّل أنّ مثل هذه الأيام القليلة الطائشة كانت أيام استجمام، لا سيّما في وجود دعوة للظهور على شاشة التلفزيون وما شابه. لكن ستيف ينحدر من سلالة وونج العريقة المتواضعة والهادئة، لذلك ركن إلى الصمت، ورآه مداش في العمل بهوم ديبوت يقف كتمثال جامد في قسم المعدات الصناعيّة؛ حيثُ يُفترض أن يرصّ مناشير الكهرباء، لكن كل ما كان يفعله هو الحملقة بمنشارين مختلفين داخل علبتيهما الشفافتين كأنّ الرقعتين الملصوقتين مكتوبتان بلغة أجنبية. كان يصحو ليلًا مضطرب الأنفاس، وحين مررنا به في شاحنتنا الفولكس فاجن كي نُقلّه إلى حفل قناة ESPN، كاد ينسى الحقيبة التي تضم

الحذاء الّذي يحمل اسمه والبرق الصيني.

تقرر تصوير البرنامج في صالة بولينج كراون لينز بمدينة فونتين فالي التي يفصلنا عنها مسافة كبيرة، لذلك توقّفنا عند مطعم إن أند أوت برجر قبل أن نتجه إلى الطريق السريع. وأثناء انتظار دورنا في الصفّ أمام المطعم، اعترف ستيف أخيرًا بما كان يُقلقه وهو عدم رغبته لعب البولينج أمام الكاميرا.

سألته: "هل أنت ضد فكرة الحصول على نقود بالمجّان؟ أكثر مرّة اقتربت فيها من المائة ألف دولار كانت حين رأيت تذكرة يانصيب باوربول تحمل رقمين صحيحين."

أجاب ستيف: "لكن ينبغي أن يكون البولينج للمرح فقط. لانتزاع الضحكات في عقد اجتماعي غير رسمي. نرمي الكرة حين يأتي دورنا ولا يكترث أحد بالنتيجة."

وكانت رغبة مِداش أن يحصل على مكسبه دولارات فضيّة.

تابع ستيف أثناء زحفنا البطيء في الطابور؛ إذْ دائمًا ما يكون المطعم مزدحمًا: "لقد توقّفت عن خوض مسابقات البولينج في مدرسة القديس أنطوني كاونتري داي الثانويّة حين تحوّلت إلى رياضة مكتوبة، عليك أن تملأ استمارة وتوقِّع تقارير النتائج وتلتزم بمعدل ما. حينئذ لم تعد اللعبة ممتعة، بل صارت مرهقة، وهي لا تزال مرهقة الآن."

هُنا قالت آنا وهي تقترب من كرسيه وتمسك بوجهه بين كفيها: "استرخ! فما من شيء تعجز عن فعله في يوم كهذا اليوم!"

"بأي ملصق بغرفة انتظار قرأتِ تلك العبارة؟"

"بل هو كلامي، اجعل هذا اليوم ممتعًا قدر استطاعتك، فأنت اليوم يا ستيف وونج في الطريق إلى التلفزيون وستمرح. مرح مرح مرح مرح."

قال ستيف: "لا أظنّ. كلا، كلا، كلا، كلا."

كانت صالة كراون لينز في السابق مكانًا لإقامة بطولات رابطة لاعبي البولينج المُحترفين، فكان ثمّة مقاعد على غرار المدرجات ولافتات تحمل شعار شبكة *ESPN* وأضواء مُخصصة للتصوير وكاميرات عديدة. لكن حين أبصر ستيف المقاعد تمتلئ بمشجعي البولينج النهمين، أطلق سبابًا، وهو أمر نادر بالنسبة لستيف وونج.

وعثرت علينا امرأة متعبة تضع سمّاعة أذن وتحمل حاسوبًا لوحيًّا. "أيكم هو ستيف وونج؟" فرفعت أنا ومداش أيدينا. "حسنًا. ستنزل إلى المضمار رقم أربعة بعد مباراة شاكر الحسن وكيم تيريل كيرني. سيلعب الفائز في هذه المباراة مع الفائز في مباراة كيونج شين بارك وجاسون بيلمونتي من أجل الوصول للنهائي. لا ننتظر منك شيئًا إلى ذلك الحين."

خرج ستيف إلى ساحة انتظار السيارات ليتمشّى مع آنا على قدميه ويواصلا حديثهما عن قدر المرح الّذي يحظى به العاملون لا ريب في شبكة *ESPN*. وحملت أنا ومداش الصودا وجلسنا في الجزء المخصص لكبار الشخصيات كي نشاهد كيونج شين يغلب جاسون بيلمونتي بجميع الأدوار خلال عرض بولينج رفيع. في المباراة الثانية، ساند مداش بقوة شاكر الحسن؛ إذْ كان يعرف الكثيرين من آل الحسن قبل مجيئه إلى الولايات المتحدة، لكن كيم تيريل كيرني (الّذي كان مساندًا لحقوق المرأة بالمناسبة) سجّل 272 مقابل 269 لصالح الحسن. ثمّ بدأت الكاميرات تتحوّل إلى المضمار رقم أربعة وبدأ طاقم التصوير في تبديل الأضواء، فاندفع الجمهور على غير هدى وجاءت آنا تبحث عنّا.

قالت: "ستيف يتقيأ في ساحة انتظار السيارات، بين سيارات التلفزيون."

تساءلت: "بسبب التوتّر؟"

فسألتني هي الأخرى: "هل أصابك الخبل؟"

وغادرنا مداش ليلتقط صورة مع شاكر الحسن.

وجدت ستيف يجلس في الخارج فوق جدار منخفض إلى جانب المدخل، واضعًا رأسه بين كفّيه كأنّه يُصارع الحُمّى ويخشى أن يتقيأ مرّة أخرى.

قلت وأنا أعتصر كتفيه: "أخي وونج. إليك ما ستقوم به اليوم. سترمي كرتك عِدّة مرّات، وتعود إلى المنزل بألف وسبعمائة دولار. لذلك اهدأ، والتقط أنفاسك."

فرفع ستيف رأسه ورمق الأفق على الجانب الآخر من ساحة الانتظار قائلًا: "لا أستطيع يا رجل. فالجميع يتوقعون مباراة مثالية. أعدني إلى المنزل فورًا."

جلست إلى جانبه فوق الحائط المنخفض، وتابعت: "اسمح لي أن أطرح عليك سؤالًا. ألا تشبه صالة البولينج هذه كل صالات البولينج على سطح الأرض التي تضم حدّ الرمية القانونيّة والسهام المرسومة فوق الخشب؟ ألا توجد عشر قطع على الطرف الآخر من المضمار؟ وألن تعود إليك كرتك بصورة سحرية عبر فرجة تحت الأرض؟"

"آه، فهمت. أنت تحاول تشجيعي."

"أجب عن تساؤلاتي الثاقبة."

"بلى. صحيح. عجبًا، أنت على صواب. سيغدو كل شيء على ما يُرام بعد أن ساعدتني على التفكير ببعض المنطق." وكان ستيف يتحدّث

بنبرة رتيبة، ثمّ أردف: "أنا لاعب مميّز وأستطيع أن أفعل كل ما أريد والأحلام تصير حقيقة حين أنتهز الفرصة."

قلت: "رائع يا صغيري!" ولم نتحرّك طوال بضع دقائق، لكن المرأة المُتعبة التي تضع سمّاعة جاءت تهتف بنا أنّه حان وقت مباراة ستيف وونج.

مرر أصابعه بشعره الفاحم ثم نهض مُطلقًا سيلًا من الشتائم التي لا تليق بآل وونج. حمدًا لله أنّ والديه لم يكونا حاضرين.

سادت همهمة "مرحى...ها هو الفتى..." بين الحاضرين، حين ارتدى ستيف حذاء البولينج القبيح هذا. كانت أسطورته التي صنعها الإنترنت قد سبقته. دار شريط التسجيل، وقدّمه مذيع برنامج *Alley Nation* فضج المكان بالتصفيق، وتحوّلت أنظار اللاعبين المحترفين أيضًا إلى المضمار رقم أربعة.

قال المذيع: "ستيف وونج. ست مباريات نظيفة متتالية. اثنتان وسبعون مرّة على التوالي أصاب خلالها القطع العشر من المحاولة الأولى. لكن يبقى السؤال ما إذا الفيديو الّذي لا يُصدق ليس إلا نتيجة تنقيح بارع ومؤثرات خاصة أُستخدمت فيها قدرات الحاسوب. وما هو ردّ فعلك على مثل هذه المزاعم؟" ثم ألصق المذيع الميكروفون بشفتي ستيف.

ألقى ستيف نظرة على المذيع والجمهور وعلينا والأرضية ثم عاد إلى المذيع؛ بسرعة خاطفة كأنّه يسعى إلى جذب الانتباه.

"هل فكّرت يومًا أنّك قد تصل لمثل هذا التكنيك والشكل بحيثُ

تُسجِّل في مباراتك كل هذه الأدوار المغلقة[19]؟"

"أنا ألعب للمتعة ليس إلا."

"تومي جوليك يحمل الرقم القياسي لإصابته القطع العشر من المحاولة الأولى سبع وأربعين مرّة، لكنك تزعم هُنا أنّك أحرزت أربع وعشرين ضربة ثلاثيّة متوالية. يتساءل كثيرون في عالم البولينج إن كان مثل هذ الأمر ممكنًا. "

التفتُّ إلى جاري الّذي كان لا ريب؛ بقميص البولينج المُزين بشعار صالة الكراون لينز الّذي يرتديه، أحد متابعي البرنامج التلفزيوني، وسألته: "ماذا يقصد بالضربة الثلاثيّة؟"

"تبًّا، إصابة القطع العشر من المحاولة الأولى ثلاث مرّات متعاقبة. ويستحيل أن يُحرز هذا المُفلس عشرين ضربة ثلاثية ونيف." ثمّ صاح بأعلى صوته: "فبركة!"

"كما تسمع يا سيد ستيف وونج، ثمّة من يتشكك لا في ادعائك فقط، بل في الأنباء التي نقلها مديرو الصالات التي لعبت فيها؛ فنتورا وبلياردز ومجمّع البولينج."

ألقى ستيف نظرة سريعة على الجمهور، وربّما لم ير إلا عيون المشككين الغاضبين، ثم أجاب: "كما قلت من قبل: أنا ألعب للمتعة ليس إلا."

"حسنًا، وكما أقول أنا دائمًا: دليل أي لاعب بولينج هو إصابة القطع الخشبيّة؛ لذلك يا ستيف وونج، هيّا إلى اللعب وأرنا مباراتك الفريدة. لكن تذكّر يا عزيزي أنّ زمنًا عظيمًا ينتظرك أنت وعائلتك عند حارة البولينج هذه. هيّا خُذ الكرة وابدأ اللعب."

---

(19) الدور المغلق في لعبة البولينج هو الدور الّذي يُصيب فيه اللاعب كل قطعه الخشبية عند انتهاء الدور. [المترجم]

اتجه ستيف صوب المخرج الّذي تعود منه كُرة البولينج، وحزم قفّازه حول يده، ونحن الثلاثة نهتف ونصيح: "رائع يا صغيري!" وهو النداء الّذي استقبحه البعض. أطلق ستيف تنهيدة عميقة مفعمة بالعاطفة فرأينا كتفيه يرتخيان من حيث نجلس بعيدًا في الصفّ العلوي. أدار ظهره لنا وتنهّد مرّة أخرى، وحين جاء الوقت التقط البرق الصيني، وأدخل أصابعه في ثقوبها المُخصصة. وكُنا نعلم نحنُ الّذين على دراية بستيف وونج، أنّه غير مستمتع بالمرّة.

ومع ذلك، كانت حركاته لا تزال شديدة الإتقان؛ إذْ كانت رميته للكرة سلسة وهيّنة، وحركة يده تتخذ نفس الوضعيّة التي شهدناها عشرات المرّات، حيثُ تُشير أصابع إحدى يديه للسقف، وتربت أصابع قدمه اليّمنى فوق الأرضية الخشبيّة بجانب فردة الحذاء اليُسرى، وتلمع حروف X الثلاثة فوق كل كعب.

دمدمة. هزيم. ثمّ تسقط القطع الخشبية العشر وتعلو صرخات "محظوظ!" يتردد صداها في أرجاء الكراون لينز. يبرِّد ستيف يده موليًا ظهره لنا، وينتظر ظهور الكرة من الأسفل. ثم يعاود الوقوف بنفس الهيئة ممسكًا الكرة في يده. دمدمة. هزيم. ثم تسقط القطع الخشبية من الرمية الأولى مرّة ثانية.

بعدئذ تتوالى الضربات الثالثة والخامسة والسادسة ويسجِّل مجموع نقاط يبلغ 120 نقطة خلال الدور الرابع. وفي خلال ذلك، كان ستيف قد كسب الحاضرين إلى صفّه بصورة قاطعة، لكنّي أشكّ أن يكون قد لاحظ؛ إذْ لم يلق نظرة واحدة علينا.

يطرح المذيع سؤالًا على شاكر الحسن حول رأيه في أسلوب ستيف، فيجيب أمام الكاميرا متوجّهًا لكل مشاهدي البرنامج: "أسلوب روحي

مهيب."

أجبرت الضربات السابعة والثامنة والتاسعة المحترفين الأربعة على مناقشة توازن ستيف وتكنيكاته وسيطرته على انفعالاته، وما أطلق عليه كيونج شين بارك "النفق" وما كان جاسون بيلمونتي يعرفه بوصفه "خطّ القدر." وقال كيم تيريل كيرني أنّ رابطة لاعبي البولينج المُحترفين لديها مكان شاغر لمتسابق لديه استعداد مثل ستيف وونج.

تصدّرت حروف X العشرة شاشات التلفزيون، وأصاب الذهول المذيع بحقّ إذْ قال: "أنا مصعوق بسبب أداء هذا المثال الشاب البديع لكل لاعبي البولينج في كل مكان!" وانتصب الجمهور على قدميه يهتف بحماس مساو لما كان يحظى به مصارعو روما القديمة. وكانت رمية ستيف الحادية عشرة لحظة زمنية سرياليّة؛ باليه فائق الجمال؛ أو سقوط حرّ من السماء أصاب الجيب المثالي بين القطعتين الخشبيتين الأولى والثالثة وأطاح بكل القطع الخشبية الثمانية المتبقية.

لم يبق أمام ستيف إلا أن يُصيب القطع العشر من الرمية الأولى مرّة أخيرة كي يُنهي مباراة نظيفة أخرى ويحصل على المائة ألف دولار والخلود الّذي تمنحه شبكة *ESPN*، فعاد إلى مخرج الكرة بوجه خال من التعبير؛ لا ترقّب ولا قلق ولا خوف ولا متعة أيضًا. وبقدر ما يسعني أن أعرف من مكاني في الخلف، لابد أن وجهه كان يُشبه قناع ميت مفتوح العينين.

أمسك بالكرة أمام صدره استعدادًا لوضع خاتمة، وخيّم شيء ما يفوق الصمت على صالة الكراون لينز؛ فضاء يخلو من الأصوات كأنّ ثمّة من أفرغ القاعة من الهواء أو جرّدها من الموجات الصوتيّة. وراحت آنا تغرس أصابعها في ذراعيّ وذراعي مداش، وكلمات عبارتها

رائع يا صغيري تتشكّل في صمت فوق شفتيها.

كانت لحظة قذف ستيف الكرة للمرة الثانية عشرة والأخيرة شديدة الإحكام، كأنّها لحظة الانطلاق البطيء لصاروخ يتجه إلى القمر، اللحظة التي يكون فيها الصاروخ ثقيلًا فلا يكاد يتحرّك شيء رغم اشتعال المحركات واندلاع اللهب والسعير. ثمّ انفجر زئير هادر لحظة سقوط القطع العشر؛ زئير يجعلك تظن أنّ كل فرد من الحاضرين كان على أعتاب الوصول للنشوة مع حبّ حياته أو حب حياتها. حتّى المحركات النفّاثة الحديثة لا تُطلق مثل هذا الزئير الّذي اخترق السقف حين دارت تلك الكُرة ذات اللونين الأصفر والبُنّي، وحتّى قبل أن تلمس الكرة القطعة الخشبيّة الأخيرة ببضع بوصات، ابتلع جدار الصوت صالة الكراون لينز.

كان سقوط الكرة في الجيب الموجود بين القطعتين الأولى والثالثة قد جرى في مكان آخر؛ كهدير رعد على مسافة مئات الأميال. رأينا جميعًا الوميض الأبيض كأنّه ابتسامة عملاق ذي أسنان مثالية أسقط فجأة كل القطع العشر فتفرّقت ولعلعت إلى أن لم يبق إلا فضاء خالي وجنود ميتة. سقطت كل القطع العشر.

ها هنا وقف ستيف عند أخر حدود الرمية القانونيّة وتفحّص الفراغ على الجهة الأخرى من المضمار. ومع ظهور قطع مستقيمة أخرى عند إعادة الضبط التلقائي، ومع صياح المذيع أمام الميكروفون: "ستيف وونج لاعب مثالي!"، جثا صديقنا فوق إحدى ركبته كأنّه يشكر الله على هذا الانتصار.

لكنّه بدلًا من ذلك كان يفك رباط فردة الحذاء اليُسرى التي كُتب عليها حروف اسمه ستيف، ثمّ خلعها ووضعها عند حدّ الرمية القانونيّة.

كرر الشيء نفسه مع الفردة اليُمنى التي تحمل اسم وونج، ورصّ النعلين المصنوعين يدويًا بعناية بحيث تبدو حروف x الثلاثة واضحة على شاشة التلفزيون.

مشى حافيًا إلا من الجوربين صوب مخرج الكرة ثم تناول كرته، وحملها بين يديه كأنّها ليست إلا حجر رصف، ثمّ وضعها فوق حذائه في إشارة فهمت معناها أنا وآنا ومداش، تقول: "لن ألعب البولينج مرّة أخرى، أبدًا."

ألقى بقفاز البولينج إلى الجمهور، فنشب شجار على القفاز التذكاري، وركض كيم تيريل كيرني ثم عانقه وقبّل وجنته، في حين اكتفى اللاعبون الآخرون بمصافحته والتربيت فوق رأسه.

وقتئذ شققنا طريقنا وسط لاعبي البولينج المتيمين؛ إذْ أصبحوا جميعًا مُعجبين الآن، وكانت آنا تبكي. أحاطت ستيف وونج بذراعيها وأجهشت ببكاء غزير فانتابني قلق أن تُصاب بالإغماء. وراح مداش يردد شيئًا بلغته الأصليّة، أثق أنّه كان شيئًا مغالى فيه. شربت احتفاء بستيف بيرة كنت قد عثرت عليها داخل مُبرِّد كان إلى جانب أحد كاميرات التصوير، ثمّ تناولت ثياب اللعب وحشوتها داخل حقيبة. ولم يسمعه أحد إلا نحن الثلاثة يقول: "أنا سعيد أنّ هذا الأمر قد انتهى."

لم يلعب أحد مِنّا البولينج مرة أخرى خلال الشهور القليلة التالية، وإن لم نخطط لذلك. إذْ أصبت بخرّاج كبير نسبيًّا في ساقي، أصبح شكله منفّرًا ومُخيفًا بالنسبة لي، لذلك رتّبت لإزالته؛ قطعه أو تقشيره كثمرة بطاطا، من خلال جراحات العيادات الخارجيّة. لم يكن

خطيرًا. وحصل مداش على وظيفة جديدة، فتخلّى عمّا كان ينتظره في شركة هوم ديبوت وانتقل إلى عمل آخر في شركة تارجت لا يفصلها عن مكان عمله الأول إلا ساحة انتظار سيارات مشتركة واسعة. انتقل إلى المتجر الجديد وبدّل قميصه قصير الكمّين دون أن ينظر إلى الوراء أبدًا. وانتظمت آنا في دروس لتعلّم الصيد بالذبابة الصناعية في مكان تُديره هيئة الحدائق في ستانلي ب.سويت مينسيبل كاستنج بوندز؛ وهو مكان لم يسمع أحد به من قبل ولا يُمكن الوصول إليه إلا من خلال خدمة خرائط جوجل. وقد حاولت دفعي للتسجيل معها لكنّي اعتبر الصيد بالذبابة الصناعية صنو سباق الزلاجات الظهرية؛ أمران لن أقوم بأي منهما أبدًا.

استقرّت حياة ستيف وونج، إذْ تبيّن أنّ الكثير من دولارات شركة *ESPN* ستبتلعها الضرائب فخطط حياته وفقًا لذلك. عاد إلى العمل، حيثُ اضطر لالتقاط صور شخصيّة مع الزبائن فترة من الزمن، وصارح مداش بأنّ الانتقال من هوم ديبوت إلى تارجت يُشبه الهجرة من دياره جنوب الصحراء الكُبرى إلى كوريا الشمالية (وهذا هو الخطاب التنافسي لإدارة هوم ديبوت). وكان البولينج هو الشيء الوحيد الّذي لم يتكلّم عنه ستيف أبدًا.

لكن ذات ليلة كُنا نحن؛ أثناء مباراة بولينج مجانيّة، العاديون الّذين يميلون على ستيف ليصافحوا القبضة التي صنعت تلك المباريات النظيفة. وصلت أنا وستيف أولًا، وكنت قد مررت به في المنزل لكنه خرج خاوي اليدين!

قلت له وهو يصعد إلى المقعد المجاور للسائق في شاحنتي الفولكس فاجن: "أنت ثمل!"

"ماذا؟"

"عُد إلى الداخل وأحضر أدواتك. حذاؤك وحقيبتك وكرتك الصينية البرّاقة."

فقال بعد صمت طويل: "لا بأس."

وصلت آنا في الموعد المُحدد، ثمّ مداش، آنئذ كنت قد فرغت من شرب علبة بيرة وكان ستيف يدسّ أرباع دولارات داخل لعبة فيديو درّاجات بخارية. حملنا أداوته إلى المضمار المخصص لنا، ولبسا أحذيتنا المستأجرة، وتناولنا كرات البولينج التي أعتقد أنّ آنا درست كل كرّة منها. نادينا على ستيف وقلنا له أنّنا جاهزون للبدء، لكنه كان لا يزال منهمكًا في لعبة الفيديو واكتفى بالإشارة لنا دون اكتراث أن نبدأ بدونه. هكذا انتهى بنا الحال نحن الثلاثة بلعب مباراتين ربحتهما آنا وخسرتهما، أمّا مداش فراح يصيح متباهيًا بحصوله على المرتبة الثانية وتفوقه عليّ.

وكان ستيف قد نزل إلى مضمارنا وشاهد الأدوار الأخيرة في المباراة الثانية، حيثُ كُنا نناقش مسألة هل نلعب مباراة أخرى أم لا؛ إذْ كان الوقت قد تأخّر والليلة ليلة خميس.

كان رأيي أن نعود إلى المنزل، وأراد مداش هزيمة آنا والفوز بالمركز الأول، أمّا هي فأرادت تحطيم كل أحلامنا للمرة الثالثة على التوالي في ليلة واحدة. لم يكن ستيف يعبأ بما نفعله، وكان يردد أنّه سيكتفي بالجلوس في الصفّ الثاني وربّما يحتسي علبة بيرة أو علبتين.

نظرت إليه آنا بشكّ وقالت: "ألن تلعب معنا؟ متى أصبحت متغطرسًا هكذا؟"

وقال مداش بلهجة استعطاف: "هيا يا ستيف؛ فأمريكا بالنسبة لي هي

أنت والبولينج."

وقلت له: "إمّا أن تلبس حذائك، أو تعود إلى المنزل."

جلس ستيف مكانه برهة، ثم صاح يصفنا بحفنة حمقى وخلع حذائه العادي ليلبس نعل البولينج القبيح.

رميت الكرة أولًا، ولم أصب سوى أربع قطع برميتي الأولى، ثمّ فوّت القطع الباقية بملليمترات فقط، وكاد مداش يموت من الضحك. أسقطت رميته الأولى سبع قطع وبقيت أمامه ثلاث أصابها هي الأخرى في الرمية الثانية.

همس لآنا: "ستموتين هذه الليلة!"

وقالت آنا: "كفّ قليلًا عن السخرية؛ فلا أحد يموت من البولينج إلا في حال هبّ إعصار." ثمّ أوقعت تسع قطع وأغلقت الدور برمية خبيرة في المحاولة الثانية، فأصبحت هي ومداش متعادلين.

آنئذ جاء ستيف وونج يتنهّد وهو يُخرج كُرته الخاصّة من حقيبتها؛ أداة لعبه الأسطوري المدوّرة. ربّما أبالغ بقولي أنّ لاعبي البولينج في المكان تركوا ما بأيديهم كي يُشاهدوا السيد يلعب؛ إذْ خيّم الصمت على الصالة بأكملها، وساد التساؤل ما إذا كانت الكرة ستصيب القطع العشر من الرمية الأولى مرّة أخرى لتبدأ حلقة أخرى في سلسلة المباريات النظيفة، وتبرهن على أنّ ستيف وونج هو سيد الضربات الثلاثيّة بحقّ. وأعتقد أنّ هذا التساؤل كان في الغالب يدور داخل رأسي.

وقف ثابتًا داخل المضمار ممسكًا الكرة من جديد أمام صدره، وسلّط عينيه على القطع الخشبية العشرة البعيدة. ثمّ بدأ يتأرجح ويتقدّم خطوة بخطوة إلى حافّة منطقة الرمية القانونيّة وأطلق الكرة، رافعًا

يده التي أطلقت الكرة إلى السماء، ونقر أصبع قدمه اليُمنى الأرض خلف كعبه الأيسر فرأينا جميعًا حروف x الستة ماثلة أمامنا. انعطفت الكرة وتباطأت سرعتها فوق خطوط الأرضيّة اللامعة الطويلة، متجهة صوب ذلك الجيب بين القطعتين الأولى والثالثة، يملؤها يقين أنها ستُسقط القطع العشر دفعة واحدة.

شكر وعرفان

أشكر آن سترنجفيلد وستيف مارتن واستر نيوبيرج وبيتر جيزرس؛ أصهار هذه الكلمات.

كما أدين لابنتي إليزابيث آن هانكس، بفضل قلمها الرصاص الأزرق، وعينيها المُخلصتين الناهتين.

امتناني العميق أيضًا لجيل كولينز وديبورا ترايزمان.

كذلك أشكر كل العاملين في دار بنجوين راندوم هاوس الّذين فحصوا وأحبّوا ونقّحوا تلك القصص، وأخرجوها في هذه الصورة الجذّابة.

نمط غير شائع

"مُهاجر من أوروبا الشّرقيّة يصل إلى مدينة نيويورك بعد أن مزّقت الحرب الأهليّة في بلاده أسرته وحياته. وامرأة تحاول التأقلم مع الحياة في حي جديد بعد طلاقها. ومُحارب قديم شارك في الحرب العالميّة الثّانية يتعاطى مع ندباته الجسديّة والعاطفيّة. وصاحب عمود في صحيفة ببلدة صغيرة يُسجّل أفكاره عتيقة الطراز عن العالم المُعاصر. وأربعة أصدقاء يسافرون إلى القمر ويعودون على متن مركبة فضائيّة أنشأوها في الفناء الخلفي.

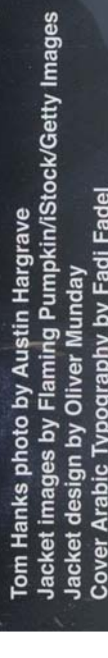
تلك بعض الشخصيات والمواقف التي يتطرّق لها الممثلّ الأمريكي الأشهر؛ توم هانكس، في كتابه القصصي الأول الّذي يضم سبع عشرة قِصّة. هَهُنا سنرى هانكس يتفحّص بدقّة وولع وخِفّة ظلّ وحكمة الظّرفَ الإنساني بكل نواقصه. وسنرى في كل قِصّة آلة كاتبة تلعب دورًا ما؛ هامشي أحيانًا وجوهري أحيانًا أخرى. إذْ تمثّل الآلات الكاتبة للكثيرين مستوىً من الحرفيّة والجمال والفرديّة بات من الصعب جِدًّا أن نصادفه في عالمنا الآن.

"تحمل كتابة توم هانكس شعورًا قويًّا بالآخرين وحياتهم المتخيّلة لم يكن ليكتسبه من خلال البحوث الكتابية، وإنما من تقمّص الشخصيّات نفسها"

صحيفة الغارديان

توم هانكس ممثّل وكاتب سيناريو ومُخرج، أنتج بعض الأفلام من خلال شركة الإنتاج السينمائي والتلفزيوني الأمريكيّة Playtone التي أسسها عام 1998. حائز على جائزة الأوسكار مرتين وجائزة إيمي وأربعة جوائز غولدن غلوب. اشتهر بأدواره التي لعبها في فيلم فورست غامب (1994)، وأبولو 13 (1995) والميل الأخضر (1999) والمنبوذ (2000). نُشرت كتاباته في نيويورك تايمز وفانيتي فير ونيويوركر. "نمط غير شائع" هي مجموعته القصصيّة الأولى.

مجدي عبد المجيد خاطر - كاتب ومترجم من مصر، ولد في الإسكندرية عام 1976. صدر له: مجرّد شكل (2005) مجموعة قصصية. وفي الترجمة: حرب أمريكية (2018) لعمر العقاد، وإفطار عند تيفاني (2011) لترومان كابوتي، وانهيار رجل (2016) لمايكل توماس، وحكاية أوزوالد (2012) لنورمان ميلر، وهوليوود (2015) لجور فيدال، من بين ترجمات كثيرة.






ISBN 978-9948-39-146-3
9 789948 391463
روايات
REWAYAT